

د. محمد توفيق صدقي

نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية



تحقيق وتقديم

خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية

د . محمد توفيق صدقى

مكتبة النافذة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

"محمد توفيق صدقى"

- * ولد محمد توفيق صدقى يوم ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م أى بعد مظاهرة عابدين (٩ سبتمبر ١٨٨١م).
- * تلقى تعليمه الدينى فى «المكتب=الكتاب» على عادة تلك الفترة الراقية، فأتى حفظ القرآن فى سن مبكرة.
- * نال جائزة المدرسة الابتدائية سنة ١٨٩٦ ثم دخل المدارس الثانوية ونال جازتها سنة ١٩٠٠م.
- * التحق بمدرسة الطب ونال إجازتها سنة ١٩٠٤م بتفوق، حتى أعطته وزارة المعارف شهادة شكر وتقدير مؤرخة (٢ يوليو سنة ١٩٠٤م).
- * فى هذه الفترة، وحين دراسته للطب فى الجامعة، كان قد دخل مرحلة من مراحل الشك المنهجى. نابذاً فيها التقاليد والعادات والعقائد. وكان يصاحب فى هذه الفترة صديقه وتربيه عبده إبراهيم والذى كان متديناً بالمسيحية. وكانت هذه الحقبة تتسم بعلو النزعة المادية فى تفسيرها للطبيعة والحياة، وما وراء الطبيعة من عالم الغيبات (الروح-البعث-الآخرة)، ولكن صاحبنا لم ير فى اعتناق هذه المذاهب المادية ما يشبع رغبة العاقل الباحث عن حق إلا بعد دراسة متجردة لا يقيم فيها أمراً على (مُسَلَّم قبلى) يقيس عليه الأمور منبثقاً من الدين، حتى ولو كان الإسلام، فهو لا يعرف عنه شيئاً سوى اسمه فقد ورثه كغيره من عامة المسلمين.
- * لم تشغل صاحبنا معركة الخبز والعيش عن أطروحة التفكير التى اعترته، ولم

يجرفه بحر الحياة فيعيش كغيره، لكنه وضع في ضميره قاعدة الغزالي: من لم يشك لم ينظر، وقاعدة النظام: أول واجب على المكلف الشك، وأخذ يراقب ظنين الأفكار والمذاهب المتصارعة حوله، ويبحث في الأمور التي علق بقلبه الشك منها خاصة مسألتى الروح والبعث، وأخذ يقلب في الكتب التي تحدثت عن ذلك مقدس وغير مقدس حتى وصل إلى حقيقة الحق في دائرة الإسلام الخنيف.

* في هذه الفترة أحس محمد توفيق صدقي بواجب لا بد من ممارسته، وهو إعلان ما توصل إليه من نتائج، والدعوة إليه خاصة عند المصايين بدء الكسل الفكري، أضف إلى ذلك أن متبنى المذهب المادى كانوا ينشرونه ويدعون إليه، يظهر لك ذلك من أول كتاباته (الدين في نظر العقل الصحيح) قال في مقدمته متحدثاً عن سبب تأليفه:

«قرأت في إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادى فى مصير الإنسان وأصله، وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لا حق بعد ذلك»

ولما كانت هذه الأفكار وأمثالها مما يخالغ قلوب شبابنا (اليوم) ^(١) حتى صار جمهورهم لا يعبأ بعقائد الدين، ويظن أنها ضرب من أساطير الأولية لا حاجة لعصرنا الحاضر بها... ^(٢).

• الباعث على تأليفه:

«تحركت نفسى لكتابة شئ فى هذا الموضوع بعد عمل الفكر وإحالة النظر فى أطرافه».

(١) هذه الحالة دائمة الصيرورة والسيرورة، قارن ما كتبه الغزالي فى مصيحة تحذير من دعاة

التنصير ص ٢٠، ٢١ دار نهضة مصر.

(٢) قارن أطروحات طبيب تزينى، عبد المجيب الشرفى، محمد أركون عن تجديد الفكر

الإسلامى.

• الاستقلال في الاستدلال (العقلانية):

«وجعلت اعتمادى فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التى تنتهى إلى البديهيات بحيث لا تجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية، لتكون أعظم مؤثر فى قلوبهم، وليعلموا أن الدين فى نظرياتها وأوامها».

* مارس محمد توفيق صدقى فى كتاباته محاولة التوفيق بين العلم والدين، وعرض نتائج العلم على الدين، فما وافقه قبله، ولم يجد غضاضة فيما يشره التقليديون من إشكالات حول أطروحاته، فعلى سبيل المثال حينما تعرض لبحث قضيتهم فى بدء الخليقة وجد أن النص القرآنى لا يلزم باعتقاد خاص فى هذا العقيدة، ومن الممكن أن يكون آدم أتى بعد مجموعة من البشر، وأنه ليس أصل النوع البشرى، وآيات القرآن تؤكد ذلك.

وقد كان سابقاً إلى عرض هذه الفكرة - حسب قول محمد رشيد رضا فى المنار مجلد ٢١ ج ٩ ص ٤٨٩ - متناولاً لها تناولاً غير الذى طرحه فى تفسيره (الإمام محمد عبده)، فحينما ذهب الأستاذ الإمام إلى أنه (ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما . . .) (١) كان يشير إلى أن القرآن حينما يتحدث عن مثل هذه الأمور فهو يتحدث من قبيل تحريك العبرة وتذكير الناس بالنعمة وتحفيز للفكرة، لا تقريراً لقواعد الطبيعة ولا لإلزامات باعتقاد خاص فى الخليقة (٢).

رأى صدقى أن مذهب (داروين) هو أسمى ما وصل إليه الفكر البشرى لحل معميات (الأثار الجيولوجية، الأعضاء الأثرية، التشابه العظيم بين الحيوانات،

(١) ج ٥ ص ١٦٠ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق د. محمد عمارة ط ٣ دار الشروق سنة ١٩٩١م.

(٢) ج ١ ص ١٨٧ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق د. محمد عمارة ط ٣ دار الشروق سنة ١٩٩١م.

وخصوصاً بين أجتها، وغير ذلك من المسائل العلمية فى عالمى الحيوانات والنباتات التى لا يمكن تعاملها بأحسن من هذا المذهب) ولكن لا يتج من ذلك أنه الحق الذى لا يصل البشر إلى تعليل آخر، فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالاً وقرونًا فى تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها^(١).

ولا يعنى هذا أنه كان متبنيًا للمذهب (داروين) بل كان يقول: «إنه نظريات ظنية، وأنه إذا ثبت لا ينقض شيئًا من نصوص القرآن، بل يمكن أن يؤخذ من القرآن ما يوافقها».

بل تعدى الأمر إلى رده للمذهب داروين ردًا شديدًا قال فيه: (أنه أورد عليه فى بعض مقالاته احتمالات تقوض أركانه وتلك أسس برهانه، حتى أن كبيرًا من أعظم أنصاره فى الشرق لم يقدر على الرد علينا- يعنى الدكتور شبلى شعيل).

لكن البعض لم يعجبه رأى (صدقى) فانبرى للرد عليه فى الجرائد اليومية - آنذ - ونشر بعض هذه الردود محمد رشيد رضا فى (المنار) وقام بنقدها والدفاع عنها صدقى، ووصفه بالمجتهد المخلص الذى حرص على نشر دعوة الإسلام، ودفع شبه أعدائه.

* فى هذه الأثناء كان (صدقى) يشتغل بالطب، فقد كان طبيبًا بمستشفى القصر العينى سنة ١٩٠٤م، ثم طبيبًا بمصلحة السجون سنة ١٩٠٥، وكما كان بارعًا فى أبحاثه الدينية، كان بارعًا فى مجال الطب، رقى طبيبًا درجة أولى سنة ١٩١١م، ثم نال (النيشان) المجيدى الخامس سنة ١٩١٣م، «دعوى إنكاره للسنّة» كما عهد إليه بتحرير المجلة الطبية التى أنشأتها جمعية الأطباء بمصر.

* وحينما كان يترقى فى المناصب العلمية كان يرتقى فكرًا ودينيًا، فشغل بقضية الإصلاح الدينى واعتماد العقل كأصل من أصول البحث الذى يستطيع

(١) راجع: «الدين فى نظر العقل الدينى» ص ٩٥، ٩٦ ط المنار سنة ١٣٢٣هـ.

الإنسان به أن يطور من الأفكار ، لا أن يقف عند مفهوم السابقين ، أو أن يلتزم بنصوصيتهم ، أو أن يقف عند ظاهر القرآن ، أو أن يسلم بكل ما فى السنة (صحيحها وضعيفها) وفى هذه الفترة كان صدقى مشتغلاً بصد حملات التبشير والتنصير ، مواجهاً كل الشبه والافتراءات فى تودة ورؤية حتى يدحضها علمياً ، لكى تتأصل عند المسلم موثوقيته من أصول دينية .

* وكانت الدعوة السلفية متشرة فى عصره ، ولكنها كانت متسمة بالجمود الفكرى التسليمى ، فأراد أن يقشع غياهب الظلام التى تأصلت من خلالها فتحجبت رؤية الناس عن فهم الإسلام الصحيح ، لكنه قبل ذلك ، وفى وقت الطب أخرج مقالة فى (المنار) بعنوان: (الإسلام هو القرآن وحده) هى فى حقيقتها عبارة عن رأى اجتهادى وشبهة عارضة لكثير من الباحثين المستقلين رأى (محمد رشيد رضا) أن ينشرها المؤلف فى المنار ، كى تعرض على علماء مصر وسائر الأقطار .

ثم عقب عليها رشيد رضا بقوله :

«فتحندعو علماء الأزهر وغيرهم إلى بيان الحق فى هذه المسألة بالدلائل ، ودفع ما عرض دونه من الشبهات ، فإن المحافظة على الدين فى هذه العصر لا تكون بالنظر فى شبهات الفلسفة اليونانية ، أو شذوذ الفرق الإسلامية التى انقرضت مذاهبها ، وإنما تكون بإقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين ، ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة . . .» .

وقد كتب (صدقى) فى آخر مقالته: "فهذه أفكارى فى هذه المواضيع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم ، وأرجو من يعتقد أننى فى ضلال أن يرشدنى إلى الحق ، وإلا كان عند الله آثمًا"^(١) .

(١) جدير بالذكر أن أبقاع التيار السلفى الجاد فى عصرنا لم يروا فى (صدقى) إلا أنه منكر للسنّة ، ومبتدع آخر بالإسلام ، ولا يعيرون جهوده التى سنذكرها بعد قليل أى اهتمام كما

ومقولة (صدقي) تدل على طلب الحق وعدم بعده عن المنهج الإسلامي الرشيد، إلا أن رأيه لم يعجب كثيراً من علماء الأزهر، فانبأوا للرد عليه، وكان أول من رد عليه الشيخ (طه البشري) نجل الشيخ (سليم البشري) الذي كان شيخاً للجامع الأزهر آنذاك، ونشر رده في (المنار)

مجلد ٩ من ص ٦٩٩ - ٧١١، ثم نشر مقالاً آخر في (نفس المجلة) مجلد ٩ من ص ٧٧١ - ٧٨١.

فرد عليه (صدقي) بمقالة في نفس المجلد من ص ٩٠٦ - ٩٢٥ ثم علق عليه (محمد رشيد رضا) في نفس المجلد من ص ٩٢٥ - ٩٣٠ مما حدا بصدقي إلى أن يكتب مقالة صغيرة نشرت في المجلد العاشر ص ١٤٠ بعنوان (أصول الإسلام - كلمة إنصاف واعتراف) تنقل لك بعضها كي تبين صحة موقف الرجل، ونزوله عن الموقف الذي تبناه دوغما كبير واستعلاء، ولعله تمثل موقف السلف فمثلاً في العز بن عبد السلام قال (صدقي):

«أعترف بخطأى هذا على رؤوس الأشهاد، وأستغفر الله ما قلته أو كسبته في ذلك، وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى. وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكير والتدبر هو: أن الإسلام هو القرآن وما أجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملاً واعتقاداً أنه دين واجب، وبعبارة أخرى: أن أصلى الإسلام اللذين عليهما بنى هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف، أي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين».

لعل النص السابق يظهر لك موقف (صدقي) من السنة النبوية، مما يجعل وصف

= أنهم لم يقرؤا ما كتب هو بخصوص السنة، مما يدل على أنهم متبعون لهوهم، لا يدققون في شيء، فأحكامهم مسبقة دون فكر وترو، مما يجعل وصمهم بالمتخلفين الرجعيين - من قبل العلمانيين - وصفاً له دلالته.

(رشيد رضا) له بأنه (سليم العقيدة مؤمناً بالآلوهية والرسالة، على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدياً للفريضة، وهو المجتهد الذي كان منتصباً لرسالة الإسلام) مدعماً لما وصلت إليه من أن الرجل كان معتدلاً في مواقفه تجاه السنة.

* وتأسيساً لمفاهيم الإسلام، وتبييناً لصورته الصحيحة، رأى المؤلف أن يبحث في أصول الإسلام، ثم خرج ليكتب مقالته عن (التواتر والنسخ وأخبار الأحاد والسنة) والتي نشرت في [(المنار) مجلد ١١ ص ٥٩٤، ٦٨٨، ٧٧١]، وكتب بعدها (محمد رشيد رضا) مقالاً عن نفس الموضوع.

* تحول المؤلف إلى وجهة أعمق وأدق من وجهاته السابقة في البحث الديني، فبحث في أصول الديانات، وهنا عكف على قراءة التراث الخالص بالإسلام، والمسيحية واليهودية، ثم قارن ذلك بالكتب المقدسة عند أرباب هذه الأديان، وساعدته معرفته باللغات الأجنبية على الاطلاع والتقيب في المصادر الغربية التي تحدثت عن الأديان، مما أصقل معارفه في هذا الباب، إلى حد البراع.

* ويعتري الإنسان الأسف حينما نعلم أن شخصية كهذه لم تعرف داخل المستوى الثقافي التخصصي لعلم (مقارنة الأديان) إلى جانب نبذة بصفات (...). لا تتفق وجهوده، ولعل موقف أتباع التيار السلفي الحديث بنى على بغض النصارى لـ (صدقي)، فاتحد السلفيون المحدثون مع الأرثوذكس في تعصبهم على الرجل.

خاصة وأن (صدقي) قد تكفل بكسر شوكتهم (أي النصارى) فقام بدراسات نقدية لكتب العهد الجديد، وعقائد النصرانية، كما كان واقفاً في وجه النصوصيين المتعالمين، لعل ذلك هو سبب اتحاد الموقف تجاهه من الجانبين.

* إذ كان الرجل مطلعاً على أعمال المبشرين، مما دعا إلى مناظرتهم والرد عليهم، ويصف محمد رشيد رضا كتاباته في هذا المقال بأنها: (لا يغني عنها أكبر الكتب المصنفة في الرد عليهم).

من آثاره العلمية:

مقالات (١):

- ١- الإصلاح الإسلامى (جملة مقالات).
- ٢- الإسلام هو القرآن وحده.
- ٣- القرآن والعلم.
- ٤- التواتر والآحاد والنسخ.
- ٥- تحريم الخنزير ونجاسة الكلب.
- ٦- بحث فى تعدد الزوجات.
- ٧- الماديون الإلهيون فلسفة صحيحة.
- ٨- فى فلسفة الوجود (وهى آخر ما كتبه بيده)
- ٩- حجاب المرأة المسلمة.
- ١٠- خوارق العادات فى الإسلام.
- ١١- القرابين والضحايا فى الإسلام.
- ١٢- الرق فى الإسلام.

كتبه:

- ١ - تاريخ المصاحف.
- ٢ - الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية.
- ٣ - الإسلام والرد على اللورد كرومر.

(١) نشرت مقالاته فى كثير من المجلات والجرائد الراقية، كالمنازل والمؤيد واللواء والشعب والعلم بمصر، وأكثرها نشرًا لمقالاته وجميع كتبه "المنازل" لنسبتها محمد رشيد رضا، صديق المؤلف، وكان بمثابة الأستاذ له.

٤ - الدين فى نظر العقل الصحيح .

٥ - دين الله فى كتب أنبيائه .

٦ - نظريتى فى صلب المسيح .

٧ - نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية .

٨ - دروس من سنة الكائنات .

٩ - العظام فى مضار المسكرات .

* قضى صدقى شطراً كبيراً من عمره (الأربعين سنة) فى كتابة المقالات والكتب والأبحاث العلمية، التى تشرح عقيدة الإسلام بعبارة صافية، وتنقح عقائد الآخر بمفهوم نقدى، وتدعو العامل لكى يفكر فيما يعتنقه من مبادئ وعقائد، ولعل أصدق صفة منحت له ما وصفه به (رشيد رضا) من أنه كان ركناً من أركان العلم والإصلاح فى مصر .

* كان الرجل مؤمناً بالقدر، مطبقاً لتعاليم الإسلام فى حياته، فالعقيدة لديه عمل لا مظهرية خواء فارغة تشتغل باللفظ والمبنى دون أن تتعب نفسها فى تطبيق المعنى، وعلى الرغم من رجاحة عقله العلمى، وطول يده فى مجال الطب، إلا أنه كان يسلم الأمر كله لله، فيبدو صوفياً قابلاً فى محرابه، وأترك لك الحكم من خلال قصة رامزة معبرة رواها بشأن مرض لازمه سنيّاً: «أصبت منذ سنين بمرض عضال فى رجلى اليسرى ذقت فيه من الآلام ما لا يمكن تصويره، وحرمت لذيق الكسرى، واستعذبت الموت تخلصاً مما كنت أقاسيه، وقد باشر معالجتى نحو العشرين من مشاهير الأطباء والجراحين من الأجانب والوطنيين، وعملت ثلاث عمليات جراحية، وقد قرر الأطباء خطورة الحال، وقطعت كل أمل فى النجاة، ولكن بعد أن ذقت الشدائد لطف الله بى ومنّ علىّ بالشفاء، وقد أجمع حضرات الأطباء -

على اختلاف جنسياتهم وأديانهم - بأن عدم معاشرتي الخمر هو العامل الوحيد في شفائي - بعد قدرة الله - وأكدوا بأنى لو كنت ممن اعتادوا شرب الخمر ما شفيت قط... (١).

* في سنة ١٩٢٠ توفي صديقه وتربيه وصفوه (عبد إبراهيم) (٢) رفيق دراسته وبحثه عن الحقيقة ويبدو أن القدر شاء ألا يستمر (صدقى) في معركة الحياة بعد صديقه، فكان أن مرض (صدقى) بـ (حمى التيفوس) - مثل صديقه - وكان مرضه شديد الوطأ عليه لم يمهل إلا أسبوعاً حتى فارق الحياة الدنيا منتقلاً إلى جوار ربه في يوم الأربعاء ٢١ من شهر أبريل سنة ١٩٢٠ الموافق ٢ من شهر شعبان سنة ١٣٣٨هـ.

* لما علم (محمد رشيد رضا) بخبر وفاته - كان في دمشق مشغولاً بأعمال رئاسة المؤتمر السوري، وقراءة دروس في الجامع الأموى الكبير، وكان البريد ممنوعاً بين القطرين - هب لنعيه بكلمة أرسلها للمنار ونشرت في المجلد ٢١ الجزء ٨ ص ٤٤٧، ٤٤٨ قال في مفتحتها:

«في أوائل شهر شعبان من هذه السنة ١٣٣٨هـ فقد الإسلام رجلاً من أفضل رجاله ديناً وتقوى، وأقوى أنصاره حجة، وأخلصهم نية. صديقنا الصيفى وولينا الدكتور محمد توفيق صدقى، المعروف عند قراء المنار في مشارق الأرض ومغاربها بمقالاته الكثيرة المفيدة، من دينية، وعلمية، تغمده الله برحمته...».

(١) عن العظات في "حصار المكسرات للمؤلف": تجدر الإشارة إلى أن هذه الرسالة طبعت على نفقته رحمه الله - لتوزيعها مجاناً، مما يؤكد لك ممارسة هذا الرجل للدعوة، وعلى حد قول (رشيد رضا) وكان من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

(٢) كان نصرانياً فأسلم، ورفض أن يعلن إسلامه في المحكمة الشرعية، فلما سأله (رشيد رضا) عن ذلك قال: إننى مؤمن مسلم لله لا لأجل شئ من المعاملات الدنيوية، وبعد ما تقلب في الوظائف الطيبة صار ودوداً لأهله يفيض عليهم من راتبه ويواسيهم بعد أن كانوا ممنوعين من إسلامه، وأثر حياة العزلة واهتم بتربية أولاده إلى أن توفاه الله إثر (حمى التيفوس).

* وعلى غير عادة (مجلة المنار) ترجمه الشيخ (محمد رشيد رضا) لمحمد توفيق، وأرجع سبب ترجمته لـ (صدقى) إلى أن فيها «عبرة فى الإصلاح الدينى والاجتماعى» تفيد المصريين وغيرهم من العرب.

«وصديقنا الطيب محمد توفيق صدقى لم يكن من أصحاب المناصب الدنيوية، ولا من الخاملين المغمورين، بل كان رحمه الله من طبقة الوسط - التى هى خير الطبقات - وأهل الطبقة العليا فى المناصب والمظاهر الدنيوية يقل أن يوجد فيها رجل من أولى الفضيلة والإصلاح».

* وفى النهاية نختم بجملة القول عن (صدقى) والتى ذكرها (محمد رشيد رضا) فى ترجمته له، والتى كانت عماداً فى تأريخنا له:

«إن الطيب محمد توفيق صدقى رحمه الله تعالى كان ركناً من أركان العلم والإصلاح فى مصر، ولم نجد صديقاً لنا ولا تلميذاً (فى مصر ولا غيرها) خدم المنار وكان له مساعدة ثمينة فى تحريره، وقد كان محسناً شكوراً يذكر دائماً منة المنار وصاحبه عليه.

ونحن نعترف بأن منته علينا أكبر فقد كان فوق إخلاصه فى صداقته ومساعدته القلمية للمنار طيب بيتنا، وفضله كبير على أولادنا فرحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء عنا وعن نفسه ودينه وأمته».



كتاب: نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية

* يمثل هذا الكتاب وثيقة علمية هي نتاج معترك فكري كان دائراً بين المصلحين والتقليديين، وهو بمثابة حوار عقلي نابع من التحليل والاستدلال من معطيات النصوص المتناولة، وهو إن دل فيدل على نضج العقل العربي في حقل الدرس المقارن للأديان، والدعوة إلى الاحتكام إلى مقياس العقل، العقل وحده، لا اتباعاً لعقيدة أو تقليد.

* يمثل الكتاب ثورة تجديدية للكتابات العربية في علم الأديان المقارن، إذ لم يكن عالية على سابقه من الإسلاميين الذين كتبوا في القرون السابعة، والذين باتوا مرتكزاً للتأصيل لا استطاع الفكاك من أسرهِ، أو التجديد عليه، أو التوليد من أفكاره العتيقة^(١)، وأضححت كل كتابته تقليداً بحثاً، وهذا مما

(١) قارن: الكتابات في (مصر) وفي (بلاد الحجاز=السعودية) فمازالت الأطروحات، على سبيل المثال: موضع التبشير بمحمد ﷺ في الكتاب المقدس كتب فيه كثيراً ومازالت الأطروحات تكرارية فقل أن تجد فيها معلومة مغايرة للأخرى، أو غير موجودة عند التراثين، وكذلك مسألة "تحريف الكتاب المقدس" لم تات أطروحة متناولة للموضوع بكل جوانبه، أضف إلى ذلك أن حكم القرآن على الكتاب غير قطعي، ولم يطرح أحدهم ذلك في دراسته، في حين اهتم المسيحيون بكلام القرآن عن الكتاب المقدس، وقاموا بطرح إشكالاتهم حول موقف القرآن، والتي انبعت من دراسات العلماء الغربيين، راجع: «شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني نشره (م.آلار) (M.Allard) بيروت سنة ١٩٦٨ مع اللمع في قواعد أهل السنة بعنوان (Textes apologetiques de Guwaini) من ص ٣٨-٨٣ مع ترجمته إلى الفرنسية، وقارن ما طرحه الأب درة الحداد في دراسته «المسيحية في القرآن» وما كتب تحت عنوان «الإتقان في تحريف القرآن» جدير بالذكر أن معاملة الشبه الحديثة بمثل الطرح الكلاسيكي، لا يتناسب مع الدراسات العلمية، لأنه يقابل بالسخرية من الآخر، ولعل هذا ما أعنيه بالتكرارية.

صرح به كثير من الاساتذة المهتمين بدراسة الأديان أمثال أستاذ «محمد عبدالله الشرفاوى» (راجع: مقدماته التحقيقية لكتب التراث الدينى، وكتاب مقارنة الأديان).

* أقول إن الكتاب يمثل تجديدًا فى هذا الحقل، يظهر لك ذلك من أطروحات المؤلف فى ثنايا الكتاب والتى لا تعدم فى أى منها طرحًا جديدًا، أو توليدًا للجديد، فإن كان قد غلب على مؤلفات التراثيين غياب التسع المتظم لمواطن الطعن فى هذه الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى وتبيين مظاهر الاختلاف بينها، فإن صدقى فى كتابه هذا قد جاء بالكثير مما لم تجده فى المؤلفات السابقة، أضف إلى ذلك أن مؤلفًا من مؤلفاته فى مقارنة الأديان، لا يخلو من عرضة لتناقضات «الكتاب المقدس» وعلى سبيل المثال قد أورد فى كتابه: «الدين فى نظر العقل الصحيح» - وهو من أوائل كتبه - أربعين شاهدًا من «الكتاب المقدس» تدل على تناقضه وإختلافه، وإذا كانت هذه الأخطاء والتناقضات التى تقابلك فى أولى مؤلفاته، فما بالك بتبعه لهذه القضية فى مؤلف مستقل ككتابنا هذا.

* وإذا كان بعض المحللين لكتب الأديان فى التراث الإسلامى قد رأى أن اهتمام أصحابها قد اقتصر فى أغلبه على نقد الأناجيل الأربعة دون بقية ملحقات العهد الجديد، فإن (صدقى) قد وفى فى دراسته العهد الجديد بمحتوياته ولم يستثن من ذلك شيئًا، لكن الشئ السلافت للنظر أنه وفى مخاطبته للنصارى آنذاك لم يتحدث عن الإشكالات المثارة حول موقف التراث من هذه الكتب، وهل كان قاطعًا فى مسألة التحريف أم لا؟!!

لكننى أظن أن موقفه هذا راجع إلى عدم اعتماده على القرآن فى نقده للكتاب، بل اعتمد على معطيات التحليلات والاستدلالات العقلية المجردة عن أى تصور مسبق، خاصة وأنه كان ناعيًا على المسيحيين موقفهم من القرآن - حين تفتيده لدعوى غلط القرآن، فى كتابه (الدين فى نظر العقل الصحيح) ص ١٠٥ :

«زعموا أنه ورد بعض غلطات في القرآن، ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم، فإن وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها، وإن خالف قالوا أخطأ، وإن أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع».

وقد يظهر لك من خلال مطالعتك (لكتابنا) أنه قارن بين القرآن والإنجيل والتوراة، وفي ذلك ما يوهن ترجيحنا السابق، لكنه إنه حينما كان يقارن كان يعتمد الأصل العقلي لا النص القرآني، وما يؤكد ذلك الجانب الثقافي عند (صدقي) فقد كان في مرجعياته البحثية لا يعتمد إلا العمليات، وبعدها يقيم التصور الصحيح لما هو بصده من خلال النصوص التي تستجيب لنداءات العقل، مما يجعل دعوى المرجعية المسبقة والانحياز للموقف السلفي واهية.

* اعتمد (صدقي) - إلى جانب ما سبق ذكره - على الدراسات الغربية الحديثة التي قامت بحركة نقدية للكتاب المقدس^(١)، ولعله رأى فيها ما يدعم نتائجه العلمية، ويتناسب مع روح العصر بما يتسم من نزعات تجديدية.

* كان الهدف الرئيس من كتاب (صدقي) هو الدعوة إلى الحوار مع الآخر في جو تسامحي، يغلو من الإسفاف اللفظي والمواقف المتعته، لكن الأقدار تأبى ذلك، فيقابل كتابه بضجة كبرى، الأمر الذي كان سيتسبب في إغلاق جريدة المنار (الإصلاحية).

يقول الدكتور (محمد رشيد رضا):

«وقد هاجت بعض مقالات هذه الرسالة (نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد

(١) مثل ابن حزم [في الفصل في الملل والأهواء والمنحل] والجويني في «شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل» حقل الريادة للتقد الذي مارسه المفسرون والمؤرخون الغربيون في العصر الحديث، لكن الدراسات الغربية كانت متطورة للغاية، لأنها لم تقف عند النصوصية، بل استلهمت روح المنهج وطورت فيه حتى أنتجت ركاماً هائلاً من الدراسات، على عكس أصحاب التراث الأصليين!!

النصرانية) المبشرين فتوسلوا إلى (لورد كتشنر) بأن يوعز إلى الحكومة المصرية بإلغاء المنار، ومنع صدوره منعاً أبدياً، وبمحاكمة منشئة والدكتور محمد توفيق صدقي، وقد كلمني في ذلك النائب العمومي في ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا، وعهد إلى بأن أقابل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا (وصدقي) فقابلناه، وكلمنا في المسألة، ونهسى (صدقي) أن يعود إلى كتابة مثل تلك المقالة!! المستنكرة في شدة طعننا: وكلمنا في وجوب تخفيف لهجة المنار... ٢.

وكتبه:

خالد محمد عبده (*)

تتبيه:

نلتفت القارئ إلى أهمية جميع الحواشي الواردة في هذا الكتاب فإنها تفسر المتن وتبينه، وفيها من المباحث العالية الدقيقة ما فيها مما سيراه القارئ، فلذا نرجوه العناية بها والتأمل فيها، وليحذر من أن تختلط عليه بالمتن، ورجائي من العقلاء المنصفين من النصارى أن يقرأوا الكتاب كله لا بعضه فإن ذلك خير لهم إن كانوا للحق والهدى طالبين.

جدول رموز الكتاب

الرمز	المراد منه	الرمز	المراد منه
تك	سفر التكوين	٢ صم	سفر صموئيل الثاني
خر	سفر الخروج	١ مل	سفر الملوك الأول
لا	سفر اللاويين	٢ مل	سفر الملوك الثاني
عد	سفر العدد	١ أى	سفر أخبار أيام الأول
ثث	سفر التثنية	٢ أى	سفر أخبار أيام الثاني
يش	سفر يشوع	نح	سفر نحemia
قض	سفر القضاة	أى	سفر أيوب
١ صم	سفر صموئيل الأول	مز	سفر المزامير
أش	سفر أشعياء	فى	رسالته إلى أهل فيلبى
أر	سفر أرميا	كو	رسالته إلى أهل كولوسى
يؤ	سفر يوثيل	١ تس	رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي
يون	سفر يونان	٢ تس	رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي
مت	إنجيل متى	١ تى	رسالته الأولى إلى تيموثاوس
١ كو	رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس	٢ تى	رسالته الثانية إلى تيموثاوس
٢ كو	رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس	تى	رسالته إلى تيطس
غل	رسالته إلى أهل غلاطية	فل	رسالته إلى فليمون
أف	رسالته إلى أهل أفسس	مر	إنجيل مرقس
لو	إنجيل لوقا	أع	سفر الأعمال
يو	إنجيل يوحنا	رو	رسالة بولس إلى أهل رومية

رسالة إلى العبرانيين	عب
رسالة يعقوب	يع
رسالة بطرس الأولى	١ بط
رسالة بطرس الثانية	٢ بط
رسالة يوحنا الأولى	١ يو
رسالة يوحنا الثانية	٢ يو
رسالة يوحنا الثالثة	٣ يو
رسالة يهوذا	يه
سفر رؤيا يوحنا	رؤ
القرآن الشريف	قر

وقد أجرينا في هذه الاصطلاحات على ما جرى عليه أهل الكتاب أنفسهم وهي عين اصطلاحاتهم. أما العدد الأول الذي يلي الرمز فهو للأصحاح أو الباب أو السورة والعدد الثاني للآية

إلخ = إلى آخره.

اه = انتهى.

ب م = بعد الميلاد.

ق م - قبل الميلاد.

(ص) بعد اسم أي نبي = ﷺ.

ه = هجرية.

نظرة

(فى كتب العهد الجديد وفى عقائد النصرانية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

(وبعد)

فقد كتبت هذه المقالة - وهى بحث تاريخى عقلى فى الأناجيل الأربعة وسائر كتب العهد الجديد وفى عقائد النصرانية - تميماً للبحث السابق فى (مسألة الصلب والفداء) راجياً من الله أن يوقظ بها الغافلين، ويهدى بها الضالين وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، فأقول وبه تعالى وحده أستعين، إنه حسبى ونعم الوكيل:

سند الإنجيل التاريخي

إنجيل متى

اتفقت شهادة علماء النصارى الأقدمين على أن متى لم يكتب إنجيله اليوناني الحالي، وإنما الذي فعله - كما سيتضح لك - هو أنه جمع بعض أقوال المسيح عليه السلام باللغة العبرية.

وأقدم شهادة وصلت إلى النصارى في هذا الموضوع هي شهادة (بايياس) (Papias) أسقف هيرابوليس الذي استشهد في سنة ١٦٤ أو ١٦٧ ميلادية فإنه كتب في منتصف القرن الثاني كتاباً ضخماً في خمسة مجلدات فقد ولم يبق منه سوى جمل قليلة نقلها عنه إوسابيوس (Eusebius) وإيريناوس (Irenaeus) فمن هذه الجمل التي نقلها إوسابيوس (الذي مات سنة ٣٤٠م) قوله «أن متى كتب مجموعة من الجمل (Logia) باللغة العبرية» يعني بعض كلمات المسيح باللغة الآرامية «وقد ترجمها كل بحسب طاقته» اهـ ومع أن إوسابيوس المؤرخ وغيره وصفوا بايياس هذا بسخافة العقل وضعف الإدراك فإنه لا يوجد عند النصارى شهادة لكتبهم أقدم وأعظم من شهادته هذه على ضعفها فهي سندهم الوحيد من عصر المسيح إلى منتصف القرن الثاني.

وفي سنة ١٨٠ ميلادية ذكر إيريناوس (الذي مات سنة ٢٠٢م) أن متى كتب «إنجيلاً» باللغة العبرية (أو الآرامية) ولا ندري لماذا فقدت كتابات متى العبرية ومن ترجمها ومتى ترجمت؟ وإذا لاحظنا أن الأصل الذي كتبه متى كان عبارة عن بعض عبارات للمسيح وكلماته (Logia) كما هو صريح شهادة (بايياس) المذكورة ظهر لنا أن واحداً مجهول الاسم أخذ هذه المجموعة وترجمها وهذبها وربتها وأضاف إليها ما شاء من الحوادث وغيرها لربط الجمل بعضها ببعض حتى صارت هي الإنجيل

اليونانى الذى سُمى باسم «متى» فيما بعد. فهل يمثل هذا الإنجيل يمكننا أن نتق ونحن لا نعلم من ترجمه؟ ومن الذى توسع فيه؟ وهل الترجمة صحيحة أم محرقة؟ وهل الزيادات التاريخية التى فيه صادقة أم كاذبة؟ وأين هو الأصل الذى ترجمه هذا المترجم؟ واعلم أنه لم يرو أحد من قدمائهم أن متى كتب إنجيلًا يونانيًا كما يدعون الآن بلا برهان.

فهذا هو حال إنجيلهم الأول ومنه يعلم أن أول من نص على أن متى كتب «إنجيلًا» عبرانيًا هو إيريناوس سنة ١٨٠ ميلادية أى فى أواخر القرن الثانى ولا نعلم إن كان الإنجيل اليونانى الحالى مترجمًا عن هذا الذى ذكره إيريناوس أم لا؟

إنجيل مرقس؛

أما مرقس فإنه جمع بعض أخبار المسيح وأقواله غير مرتبة كما هى الآن على ما صرح به بايلاس المذكور. وعليه فيدُ أخرى رتبت هذا الإنجيل وزادت فيه، ثم زيد فيه شيئًا فشيئًا حتى صار كما هو الآن. ومن أحدث الزيادات فيه العبارات المذكورة فى آخره (١٦: ٩-٢٠) ولذلك لم توجد فى بعض نسخهم القديمة التى عثروا عليها لأن زيادتها إذ ذاك لم تعم جميع النسخ ولكنها عمتها فيما بعد كما هو الحال الآن، وهذه العبارات المشار إليها تتضمن ظهور المسيح لتلاميذه، ودعوة العالم كله للنصرانية، ورفعته إلى السماء، ودعوى إعطاء المؤمنين بالمسيح القدرة على خوارق العادات والمعجزات (عدد ١٧ و ١٨) وهى دعوى يردها الحس والعيان وسيأتى البحث فيها.

هذا وقد كتب مرقس ما كتب بعد موت بطرس وبولس كما صرح بذلك إيريناوس (Irenaeus) فلم يطلع إذاً بطرس على ما كتبه مرقس بالرواية عنه. ومرقس لم يجتمع بالمسيح ولم يره قط. فأية ثقة لنا يمثل هذا الإنجيل؟ وهو لم يذكر إلا فى أواخر القرن الثانى كإنجيل متى. وأما ما ذكره بايلاس فى منتصف هذا القرن فعن مجموعة أخرى من أقوال المسيح وأخباره غير مرتبة زمن وقوعها بخلاف هذا الإنجيل فإنه مرتب.

إنجيل لوقا:

وأما لوقا فإنه أيضاً ليس تلميذاً للمسيح ولم يره وكذلك بولس أستاذه^(١) ولا يوجد دليل على أنه كتب إنجيله بالوحى بل الظاهر من مقدمته أنه كتبه بالاجتهاد (١: ١-٣) ولم يذكر أيضاً هذا الإنجيل صريحاً فى القرن الأول والثانى إلى سنة ١٨٠ ميلادية وقد اعترف مؤلفه أنه وجد قبله أناجيل أخرى كثيرة وهو يدل على تأخر زمنه.

إنجيل يوحنا:

وأما إنجيل يوحنا فلم يذكره إحد أيضاً إلا فى أواخر القرن الثانى وفيه من الأقوال والآراء ما لم يروه أحد غيره. مثال ذلك دعواه أن المسيح قال ٨: ٥٨ (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) ولا ندرى لماذا لم تذكر أمثال هذا العبارة فى الأناجيل الثلاثة الأخرى؟ فهل كان العالم غير مستعد لهذه التعاليم قبل كتابة إنجيل يوحنا كما يزعمون؟

عقيدة الكلمة قديمة

مع أن بحث الناس فى «الكلمة» (Logos) بدأ قبل المسيح بقرون عديدة فكان الفيلسوف اليونانى زينو (Zeno) أستاذ الرواقين من سنة ٣٤٠ - ٢٦٠ قبل الميلاد يعتقد أن «الكلمة» هى الشئ العامل فى الكون والخالق له والكائن فيه، (قارن ذلك بما فى يوحنا ١: ١٠)، وكان الناس فى زمن المسيح كثيرى البحث فى مثل هذه المسألة وغيرها، شديدى الشغف بأمثال هذه الفلسفات اليونانية اليهودية التى نشأت عنها بعض العقائد المسيحية. ولذلك نجد بحثاً طويلاً فى هذه المسألة فى كتابات (فيلو) (Philo) الفيلسوف اليهودى الإسكندرانى الذى كان معاصراً للمسيح وفى

(١) هذا إذا صح أن كاتب الإنجيل هو لوقا تلميذ بولس (قل ٢٤) لا واحداً آخر غيره.

الترجوم الكلدانى وأيضاً فى كتاب الحكمة (Wisdon) المنسوب لسليمان عليه السلام، وربما وجد مثل ذلك أيضاً فى كتب أخرى فقدت، فلماذا إذا لم يذكر بحث «الكلمة» إلا فى مؤلفات يوحنا دون سائر التلاميذ الآخرين مع أن البحث فيها كان شاغلاً لأذهان الناس قبل المسيح وفى زمنه وبعده؟ فإن كان المسيح حقيقة قال تلك الجملة السابقة أو نحوها فلماذا تركها الإنجيليون الأخر ولماذا لم يرشدهم روح القدس بعد حلوله عليهم إلى جميع الحق أو أهمه ليدونه كما دونه يوحنا؟ أم كان الخوف من اليهود هو الذى منعهم من ذلك كما يزعمون؟ ولماذا لم يمنع هذا الخوف النصرارى الأولين من المجاهرة بعقائدهم حتى نالهم من الاضطهاد والأذى والقتل ما نالهم على ما يقولون؟ فكيف يمنع الخوف «الرسل» من بيان الحق للناس ولا يمنع من هم أقل منهم من المجاهرة به فى كل مكان وزمان.

مدح يوحنا نفسه

وهناك مسائل أخرى كثيرة مذكورة فى هذا الإنجيل الرابع ذكرنا بعضها سابقاً فى مقالة الصلب ولا أثر لها فى الثلاثة الأولى كدعواه أن يوحنا ذهب مع بطرس إلى دار رئيس الكهنة وقت محاكمة المسيح ودخوله وحده قبل بطرس ثم استئذانه له (١٨: ١٥ و ١٦) وأنه دون سائر التلاميذ كان واقفاً عند الصليب مع مريم أم عيسى (١٩: ٢٦) وذهابه مع بطرس إلى القبر بعد قيامة المسيح منه (٢٠: ٢ و ٣) وتسميته نفسه فى أغلب الأوقات بالتلميذ الذى يحبه يسوع (٢١: ٢٠ و ١٣: ٢٣-٢٦) إلى غير ذلك مما لم يرد فى الأناجيل الأخرى وهى كلها مسائل موضوعة من مؤلف هذا الإنجيل للمبالغة فى مدح يوحنا وتعظيمه وتفضيله عن باقى التلاميذ ولذلك لم يروها إنجيل من الأناجيل الأخرى وهى من الأهمية بمكان عظيم لو صحت.

ومما يلاحظه الإنسان أن يوحنا يتكلم فى رسائله بصيغة المتكلم وأما فى هذا الإنجيل فيتكلم دائماً عن نفسه بصيغة الغيبة. وورد فى آخر هذا الإنجيل ٢٤:٢١ هذه العبارة (هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق) وهى تشعر بأن بعض أتباع يوحنا فى أفسس أخذوا ما كتبه يوحنا وتوسعوا فيه وألفوا هذا الإنجيل ونسبوه إليه وعظموه فيه كثيراً واخترعوا له من الحوادث ما لم يذكره غيرهم ثم قالوا (ونعلم أن شهادته حق) ولذلك ترى هذا الإنجيل أصح عبارة فى اللغة اليونانية من سفر الرؤيا لمهارة كاتبه فيها. ومن غرائب استدلال النصارى على أن لبطرس يدًا فى تأليف إنجيل مرقس أنه خال من مدح بطرس (مع أنه قد خص بطرس بالذكر فى أعظم المقامات (مر ٦١: ٧) وهو إنجيل مختصر وترك تفاصيل كثير من المسائل. وفى مقابلة هذا النقص والاختصار لم يذكر تفاصيل أخرى من الخالية عن المدح تكون مكتسبة من معلومات بطرس). ومع ذلك فإذا صح استدلال النصارى هذا فى بطرس فكيف ساغ ليوحنا مدح نفسه كل هذا المدح حتى خص نفسه بحب المسيح إياه أكثر من كل أحد سواه وذكر لنفسه من الحوادث ما لم يروه أحد غيره.

سفر الرؤيا

فالحق إن هذا الإنجيل هو من وضع أتباع يوحنا المتأخرين فى أسس كما قلنا، ولذلك نجد أن بوليكارب (Polycarp) تلميذ يوحنا الخسيس لم يشر إلى هذا الإنجيل بكلمة واحدة مع أنه ذكر كثيراً من العبارات عن المسيح توجد فى الأناجيل الأخرى وكذلك بايياس (Papias) لم يذكره. وإن كان يوستينوس (Justin)

الشهيد (المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية) يقول إن سفر الرؤيا هو ليوحنا^(١) لكنه لم يذكر أن يوحنا كتب هذا الإنجيل مطلقاً وهو ينقل كل ما يكتبه من حياة المسيح عن الكتاب المسمى (Memoirs of the Apostles) «مذكرات الرسل» تاركاً ذكر جميع هذه الأناجيل الحالية. وما فى كتاباته عن حياة المسيح يختلف كثيراً فى بعض المسائل عما فى إنجيل يوحنا. فلو كانت هذه الأناجيل معروفة فى زمنه لنقل عنها وخصوصاً إنجيل يوحنا فإنه يناسب آراءه ومع ذلك لم يشر إليه بكلمة واحدة. وفى هذه «المذكرات» أشياء لا توجد فى الأناجيل الحالية أو تناقضها.

(١) يظهر من ذلك أن سفر الرؤيا نسب إلى يوحنا بعد موته بمدة ليست طويلة أى فى النصف الأول من القرن الثانى فهو على ذلك أقدم الكتب المنسوبة إليه، وربما أن مؤلفه بناه على شئٍ عثر عليه من مكتوبات يوحنا أو مكتوبات يهودى آخر من المنتصرين لأن لغته تميل إلى اصطلاحات اللغة العبرية. وهذا السفر لم تعتمد عليه الكنيسة القديمة إلى مدة فلم يذكر فى جملة من القوائم القديمة لما فيه من الموافقة لمذهب بعض مبتدعة النصارى الأولين «انظر أصحاح ٢٠ منه» الذين قالوا إن المسيح سوف يأتى ويحكم على الأرض ألف سنة «راجع كتاب الأدلة السنية صفحة ٣٩»، وربما كان مؤلفه أحد كتاب النصارى الأولين مثل «هرماس» المتوفى بعد سنة ١٤٠ أو بباياس المتوفى نحو سنة ١٦٤ أو غيرهما ممن على شاكلتهما ونسب بعض قدمائهم إلى سيرنثوس الشهير. وقد زادت النصارى فيه بعد ذلك - باعترافهم الآن - بعض عبارات لإثبات ألوهية المسيح مثل «١١، ٨: ١» و «١٤: ٥» فخالفوا بذلك وصية مؤلفه «١٨: ٢٢ و ١٩» الذى عرف من قومه تعودهم على التلاعب فى الكتب وتحريفها ولكن يا للأسف لم تنجح وصيته هذه فيهم فإنهم جبلوا على ذلك!! وكيف تنجح وصيته وهو نفسه قد زوره!!

صورة المسيح فى الأناجيل الثلاثة الأولى

وقد صورت الأناجيل الثلاثة الأولى فى المسيح بأنه ما كان يعلم أن يهوذا الاسخريوطى سيسلمه (متى ٢٨: ١٩ ولو ٢٢: ٣٠) إلا فى آخر حياته وأنه ما كان يعلم متى تقوم القيامة (١) (مرقس ١٣: ٣٢) وأنه كان حزينًا جدًا جدًا ويستغيث بالله مرارًا لينجيه من الصلب (متى ٢٦: ٣٨-٤٤ ومرقس ١٤: ٣٤-٤١) حتى صار يتصبب عرقًا من كثرة الإلحاح فى الدعاء فتزل عليه ملك من السماء ليقويه (لو ٢٢: ٤٣ و٤٤).

جهل المسيح بالغيب

(١)

إذا كان المسيح بمقتضى هذا العبارة لا يعلم متى تقوم الساعة باعترافه هذا، فكيف يكون هو ديان الخلاق يوم القامة؟ وقوله فيها (إن الابن لا يعلمها) نص على أنه ليس ياله. فإن قيل: لعله يريد (الإنسان يسوع) قلت ولم لم يعبر بذلك ليكون قوله خاليًا من اللبس والتضليل؟ وإذا كان أقنوم الابن متحدًا بناسوته فكيف لم يعلم الناسوت ما يعلمه اللاهوت وإلا فما معنى هذا الاتحاد؟

وجاء أيضًا فى إنجيل يوحنا أن المسيح لما أشار عليه إخوته بالذهاب إلى اورشليم لأجل العيد قال لهم (يو ٧: ٨) (أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد) ولكن لما مضى إخوته إلى العيد مضى هو أيضًا بعدهم متخفيًا (يو ٧: ١٠) فعبارته هذه لهم إما أنها كذب وغش ولذلك ذهب بعدها متخفيًا وإما أنه ما كان يعلم أنه سيذهب إلى العيد (أى جهل وتردد) وكلاهما مما يجب أن يتره الله تعالى عنه وإن كان قالها باعتبار الناسوت (وهو الجواب الذى صدعوا آذاننا به) قلت وكيف لم يهده اللاهوت المتحد به إلى البت فى عمل صغير كهذا وتركه يبدى كل هذا التردد والجهل؟ وما فائدة اللاهوت له إذا وفى أى شئ أناده؟ ولم اتحد به الله وهو لم يصلب معه بل تركه ولذلك قال (إلهى إلهى لماذا تركتنى)؟ ولم تعبدون هذا الناسوت العاجز الجاهل مع اللاهوت ولم تفرقوا بينهما؟ فإن قيل: ولماذا ذكر يوحنا هذه القصة وهى منافية لمبدئه فى كتابة تاريخ المسيح كما يدعى؟ قلت: لعله لم يدرك ما تودى إليه أو ربما كان يستحسن مثل هذا التضليل ويعجب بحيلة المسيح هذه وتخفيه حتى عن أهله ويرى أن ذلك مهارة منه وسياسة عالية وما درى أنها كذب مذموم ولا مسوغ له مطلقًا ولا يصح صدوره من ابن الله!!

صورتته فى إنجيل يوحنا

وأما الإنجيل الرابع فصوره بأنه كان من أول الأمر يعلم أن يهوذا سيخونه (يو ٧٠: ٦ و ٧١) وأنه يعلم كل شى (٦: ٦٤، ٢: ٢٥، ١٦: ٣٠) وأنه كان حزينا لأجل الصلب (أصحاح ١٤-١٧) غير أنه اضطرب قليلاً (يو ١٢: ٢٧) وأنه أسلم نفسه لليهود طائعا مختاراً (يو ١٠-١٨) وقد ترك أيضاً هذا الإنجيل ذكر تجارب الشيطان له ^(١) وصيامه أربعين يوماً و ليلة لله تعالى (مت ٤: ١-١١) وصلواته الكثيرة (لوقا ٦: ١٢، ١١: ١ و ١٨: ٩ ومر ٢٧: ٤٦) وكذلك ترك قصة شجرة

(١) قصة تجارب الشيطان هذه للمسيح تشبه قصة قديمة للهند فى (بوذا) شبهها يعد أن يكون منشأة الصدفة والاتفاق لا القياس والنسج عليها. وبما تمتاز به قصة الأناجيل قولها (مت ٤: ٨ ولو ٤: ٥) أن الشيطان (بعد أن أخذه إلى اورشليم كما فى متى (عدد ٥، ٨) أو قبل ذلك كما فى لوقا (عدد ٥، ٢٩)) أرى المسيح العالم كله من جبل عال جداً، فكيف يمكن ذلك والأرض كروية؟ وأين هذا الجبل الذى يرى منه العالم كله؟

جهل مؤلفى الأناجيل بسعة العالم:

فالحق أن كتبة الأناجيل كباقي أهل زمنهم كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن القطعة المحدودة التى عرفوها إذ ذاك من الأرض (راجع أيضاً لوقا ٢١: ٢) وملكها الرومان ولما تنبه بعض النصارى إلى ذلك الغلط حذفوا من إنجيل لوقا قوله (فى عدد ٥) «إلى جبل عال» فلم يوجد فى بعض النسخ القديمة وربما كان هذا الإنجيل عند المحرفين له أكثر استعمالاً من غيره أو كان تداوله قليلاً عند غيرهم فلذا أقدموا على تحريفه فى ذلك دون إنجيل متى. ولا ندرى كيف تجاسر الشيطان على مثل هذا العمل مع إلهه حتى صار يحمله من مكان إلى مكان طائراً به فى الهواء ويمتحنه مرات ويعده بإعطائه جميع ممالك المسكونة إذا هو سجد له!! فهل نسى الشيطان أن هذا الذى يجربه هو الذى أعطاه كل هذه السلطة (لو ٤: ٦) وأنه هو خالق السموات والأرضين، ورب العالمين؟ فكيف ينسى الشيطان ذلك؟ وما الحكمة فى خضوع إلههم للشيطان إلى هذا الحد، وتجربته عليه فى كل ذلك؟! (راجع أيضاً ص ١٠٩ و ١١٠ رسالة الصلب والفداء).

التين^(١) (مت ٢١: ١٨ - ٢٢ ومر ١١: ١٢ - ١٤) لأنها تؤدي إلى نسبة الجوع والجهل والظلم والعجز للمسيح حيث إنه لم يعرف إن كان بالشجرة تين أم لا مع أنه ظلمها وظلم صاحبها أو كل من كان يتسفع بها من السابلة بدعائه عليها حتى ييست وكان الأولى به أن يوجد التين فيها في غير وقته بقدرته فإن ذلك يكون أفيد وأحكم وأدل على القدرة أو يشفيها إن كان عدم ثمرها لمرضها. لذلك ترك يوحنا هذه القصة كما ترك «كل» أمثالها خوفاً مما تؤدي إليه!! فكل ذلك يدل على أن هذا الإنجيل كتب في زمن كان فيه الناس قد تغالوا في المسيح ورفعوه لدرجة تقرب من درجة الأب (الله)^(٢) فهو مظهر من مظاهر ترقبهم في هذه العقيدة تدريجاً

(١) قد ناقض مرقس متى في وقت ملاحظة التلاميذ ييس هذه الشجرة، فجعله متى (في الحال): ١٩ و ٢٠ وجعله مرقس في (صباح اليوم التالي) ١١: ٢٠ فيجوز أن الشجرة كانت مريضة من قبل وآخذة في الذبول وتم ذلك أو كاد بعد مضي ٢٤ ساعة (مت عدد ١٨ ومز عدد ٢٠) فظهر لهم حيثئذ ييسها أكثر من ذي قبل. فكان الواجب أن يذكر يوحنا (وهو - كما يقولون - المكمل لنقص الأناجيل التي قبله) هذه القصة من جديد لرفع تناقضها وبيان إن كان فيها شيء من الإعجاز أم لا؟ ولكن كيف يفعل ذلك وفائدتها لا تذكر في جانب ما تجلبه عليه من الضرر العظيم كما بين في المتن.

(٢) عدم مساواة الابن للأب في كتبهم

مع ذلك ترى أن إنجيل يوحنا لا يزال ينص على أن الابن أقل من الأب ولذلك؛ يقول على لسان الابن (عيسى) ٥: ٣٠ (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً* كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني) وقال ٥: ٢٢ (لأن الأب لا يدين بل قد أعطى كل الدينونة للابن) وقال ٨: ٢٨ (ولست أفعل شيئاً من نفسي بل للأب أرسلني) وقال ١٤: ٢٨ (لأن أبي أعظم مني) وقال ١٢: ٤٩ (لأنني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) وقال يوحنا ٣: ٣٥ (الأب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده) وهي كلها نصوص صريحة على عدم مساواته تماماً لله تعالى، وأن الله تعالى هو الذي أعطاه القدرة على كل شيء والكلام والعلم والدينونة، وأنه أعظم منه، وأن المسيح إنما يعمل مشيئته تعالى وأن الله هو إلهه أيضاً كما هو إله للناس (يو ٢٠: ١٧) أما قول هذا الإنجيل ١: ١ (والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) فهو=

ولذلك اختلف هذا الإنجيل المتأخر عن الأناجيل الثلاثة الأولى في هذه المسائل وغيرها وتركها عمدًا لغاية له علمها العلماء من الناس الآن.

فإن قيل: لعل يوحنا أراد أن يكون إنجيله مكملًا للأناجيل الثلاثة الأولى فلذا لم

= صريح في أن الكلمة غير الله وإنما صارت إلهًا للعالم كما صار موسى إلهًا لفرعون على ما يقول سفر الخروج (١:٧) راجع أيضًا قول بطرس في سفر الأعمال بعد نزول روح القدس عليهم (أن الله جعل يسوع ربًا ومسيحًا) (اع ٢:٣٦) فلفظ (كان) في الإنجيل بمعنى صار كقول القرآن الشريف ﴿آل عمران الآية ٤٩﴾ أى يصير، فإنجيل يوحنا كباقي أسفار العهد الجديد يجعل الابن مخلوقًا قبل كل شئ (رؤ ٣:١٤ وكو ١:١٥ وقارنهما بيع ١:١٨) ولا يساويه بالله تعالى (رومية ١:٤) و (١ كو ١٥:٢٤ - ٢٨) أما هذه المساواة فقال بها النصراني بعد زمن تأليف العهد الجديد في وقت كثرت فيه فرقهم ومذاهبهم واختلفت في هذه المسألة فلذا لم يمكنهم حذف هذه الأقوال (النافية للمساواة التامة) من العهد الجديد لوجودها إذ ذلك عند طوائف أخرى تعرف هذه الأقوال فيه وتمسك بها ضد الآخرين المخالفين لهم ولكن بعد انعقاد المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ ميلادية وحكمه على أتباع أريوس الموحدين بالكفر والزندقة فشت بين جمهورهم عقيدة مساواة الابن بالأب في كل شئ وأولوا هذه الأقوال وغيرها إذ بعد عدم إمكانهم حذفها كلها لا مناص لهم من تأويلها وذلك كله لميل الجمهور في ذلك الزمن للشرك الوثنية والعقائد الرومانية والفلسفة اليونانية واليهودية وغيرها

تحريفهم لكتبهم

ومع ذلك فقد أجروا بعض تحريفات راجت في نسخهم لإثبات ألوهية المسيح ومساواته بالله ولم يدركها أحد في تلك الأزمنة لعدم حفظهم لكتبهم في صدورهم ولانتشار الجهل بينهم إذ ذلك وقلة نسخهم ووجودها عند رؤسائهم فقط وقد عرفت بعض هذه الأشياء الآن بالمراجعة والبحث في النسخ القديمة والحديثة فمن ذلك: إبدال لفظ (الرب) بالمسيح في ١ كو ٩:١٠ وزيادة قولهم (يسوع المسيح) في أف ٣:٩ وزيادة كلمتى (البداية والنهاية) في رؤ ١:٨ وكلمات (أنا هو الألف والياء. الألف والآخر) في رؤ ١:١٢ وزيادة عقيدة التثليث في ١ يو ٥:٧،٨ وزيادة لفظ الله في يه ٤،١،٣،١٦ وأع ٢٠:٢٨ إلخ إلخ فكيف يمثل نقل هؤلاء الناس يتق الإنسان وتلاعبهم بكتبهم أصبح محققًا معروفًا؟ راجع أيضًا كتاب «دين الله» ص ٧٦ و ٧٧ و«رسالة الصليب» ص ١٦٢.

يذكر ما ذكرته منعاً للتكرار. قلت: إن ما سبق بيانه لا يصح أن يعتبر تكميلاً بل هو تناقض بين كما لا يخفى على المتأمل، والظاهر من الأناجيل أن كلا منها كتب ليكون كاملاً بنفسه لا مكماً لغيره، وإلا إذا صح قولكم هذا فكيف ذكر يوحنا كثيراً من الحوادث التي ذكرتها الأناجيل الثلاثة مع أنها ليست من الأهمية بمنزلة الأشياء التي تركها.

مثال ذلك معجزة إطعام خمسة آلاف رجل قد ذكرها متى (٢١: ١٤) ومرقس (٤٤: ٦) ولوقا (١٤: ٩) فكيف بعد ذلك ذكرها يوحنا (٦: ١٠) وكذلك دخول المسيح أورشليم راجباً حماراً^(١) قد ذكره كلهم (انظر مت ٢: ٢١ ومر ٢: ١١ ولو

مسألة ركوب المسيح الحمار

(١)

من المضحكات المخجلات المتعلقة بمسألة ركوب الحمار هذه ما يأتي:- قال زكريا في كتابه ٩: ٩ و ١٠ (ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن إتان وأقطع المركبة من أفرام والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر. ومن النهر إلى أقاصى الأرض) إلخ وعدم انطباق هذه النبوة على المسيح ظاهر، فإنه لم يكن ملكاً لأورشليم ولا هو منصور ولم يمتد ملكه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض ومن وجوده إلى الآن استعرت نيران الحروب ولم تقطع قوس الحرب وتشتت اليهود بعده بقليل وخرت أورشليم ولم يتكلم بالسلام للأمم بل قال مت ١٠: ٣٤ (ما جئت لآلقى سلاماً بل سيفاً) وعقب دخوله أورشليم أخذه اليهود وأهانوه وصلبوه وقتلوه كما زعموا فكيف تنطبق هذه النبوة عليه ولكن أبى الإنجيليون الأربعة إلا تطبيقها عليه لأنهم إن لم يفعلوا ذلك لم تنطبق على أحد مطلقاً لأنه على زعمهم بعد عيسى مباشرة لم يبق إلا مجئ القيامة فى أصحاب الأتان والجحش (مر ١١: ٥ ولو ١٩: ٣٣) عن منع التلميذين من حلها وأخذها وهم لا يعرفونها بل وربما لا يعرفون سيدهما المسيح نفسه؟ وكيف تأكدوا أنهما رسوله حقيقة لا لسان؟ وكيف يركب المسيح على جحش لم يجلس عليه أحد من الناس قط كما قال مرقس ولوقا؟ فلعله فعل ذلك. بمعجزة!!

فمن هذه القصة الصغيرة يتضح لك صدق قولنا مراراً فى كنة الأناجيل أنهم يعرفون نوات العهد القديم أولاً ثم يصطنعون منها حوادث للمسيح ويدعون أنها وقعت فعلاً تميماً لتلك =

١٩ : ٣٠ و١٢ : ١٤) فإن قيل: إن ذكرهم لركوب الحمار هو لأنه كان تميماً لنبوة زكريا (٩: ٩) قلت كذلك كان صراخ المصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) تميماً للمرموز (١: ٢٢) فلم لم يذكره يوحنا؟ ألا يدل ذلك على أنه تحاشى ذكر كل ما من شأنه أن يقلل من درجة المسيح التي يريد رفعه إليها ليجعله كلمة الله القديمة التي وجدت قبل جميع المخلوقات وبها كانت المخلوقات ثم تجسدت وقبلت بإرادتها لا رغماً عنها كما يفهم من الأناجيل الأخرى؟ (راجع رسالة الصلب ص ١٢٤ و١٥٦ و١٦١).

فالحق: أن كلا منهم كتب إنجيله على استقلال، وتوخى فيه غاية مخصوصة فذكر من الحوادث والأقوال ما يلائم غرضه ولو كان مكرراً في الأناجيل الأخرى، فتجدها تتفق في بعض المسائل حتى في لفظها ثم تختلف في الأخرى حتى يتعسر أو يتعذر الجمع بينها وما دام هذا حال الأناجيل؛ فهي من الوجهة التاريخية لا قيمة لها لأنها تابعة للأغراض تدور معها حيث دارت.

=النبوات القديمة ولا يزالون مهما أوقعهم ذلك في الغلط ومخالفة العقل والعادة. فهل يصح اعتبار هذه الأناجيل تواريخ صحيحة حرة وهي في كل ما كتبت فيها متأثرة بنبوات اليهود عن مسيحيهم الذي كانوا ينتظرونه؟ وإذا سلم أن المسيح فعل ما حكاه متى وركب الأتان والجحش معاً. فما الذي يمنع منكري نبوته من القول بأنه إنما أجهد نفسه وخالف العادة رغبة منه في تطبيق نبوة زكريا عليه لتصح دعواه بأنه هو المسيح المنتظر وإن لم يقدر على تطبيق باقى النبوة عليه لخروجها عن استطاعته إذ ليس في وسعه أن يكون ملكاً ولا منصوراً ولا قاطعاً لقوس الحروب ولا له ملك يمتد من البحر أو من النهر إلى أقاصى الأرض فما قدر عليه (وهو ركوب الأتان والجحش معاً) فعله وما لم يقدر عليه سلم فيه الأمر لاتباعه ليقولوا فيه ما شاءوا والسلام هذا شئ مما يقوله ملحدو النصارى في أوربا الآن وغيره كثير جداً لا يحصى ولولا القرآن ومحمد الذي يكرهه النصارى ويحاربونه لقال (.....,, ٣٠٠) من البشر في المسيح أضعاف أضعاف ما يقوله ملحد واتباعه واليهود وغيرهم. فشكراً للرسول على أدبه العالى في المسيح الذى أدب به المسلمين والحمد لله رب العالمين.

يحيى والمسيح

ولذلك نجد أن الأناجيل الأولى «نصت» على أن عيسى اعتمد من يحيى بن زكريا (مت ١٣: ٣ - ١٧ ومر ١: ٨ ولو ٣: ٢١) وأن يحيى وإن كان يعلم أن المسيح المنتظر سيأتي بعده (مت ٣: ١١ ومر ١: ٧) وأن عيسى أفضل منه حتى امتنع عن تعميده أولاً ثم عمدته (مت ٣: ١٤ و ١٥) إلا أنه ما كان يعلم أنه هو المسيح المنتظر ولذلك - لما كان يحيى فى السجن وسمع من تلاميذه عن أعمال عيسى - أرسل إليه اثنين منهم يسألانه «هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره!» (مت ١١: ٣ و ٢ و ٣ ولو ٧: ١٨ و ١٩) وهذا صريح فى أنه (حتى فى آخر حياته) ما كان يعلم أن عيسى هو المسيح المنتظر. ولكن إنجيل يوحنا (وكله غرائب) سكت عن تعميد يحيى لعيسى خوفاً من نسبة الذنوب إليه أو تفضيل يحيى عليه وادعى أن يحيى عرفه من أول الأمر بنزول روح القدس عليه وأنه كان يقول فى عيسى (إنه كان قبله فى الوجود ولو أنه أتى بعده، وأنه هو والجميع أخذوا منه النعمة والحق، وأنه هو الابن الوحيد الذى فى حضن الأب، وأنه هو حمل الله الذى يرفع الخطية عن العالم، وأنه هو فوق الجميع وابن الله الذى نزل من السماء، وأن أباه قد دفع كل شئ فى يده) الخ الخ (يو ١: ١٥ - ٣٨، ٣: ٢٧ - ٣٦) ولو كان كاتب هذا الإنجيل يعتقد فى عيسى الألوهية الحقيقية لادعى أيضاً أن يحيى قال عنه إنه هو الله الأزلى الذى بيده كل شئ منذ الأزل بدل قوله إن الأب هو الذى دفع له الأشياء كلها. ولكن هذه الدرجة من الغلو ما كان الناس قد وصلوا إليها فى زمن تأليف الأناجيل.

كذب إنجيل يوحنا

فانظروا يا قوم هل رأيتم رجلاً يكذب على الله ورسوله إلى هذه الدرجة ولا يستحي من كثرة اختراعاته وافتراءاته وينسب آراءه وأفكاره إلى غيره ويدعى تارة أن يحيى عليه السلام كان يقولها في عيسى!! وتارة أن عيسى كان يقول مثلها عن نفسه!! أما كونها من اختراعاته فظاهر - من مقابلتها بما في الأناجيل الأخرى - كالشمس في رابعة النهار كما بينا.

ومن العجيب أن هذا الرجل الذى تغاضى عن ذكر قصة تعميد يحيى لعيسى لما بيناه من الأسباب وأتى في هذه المسألة بالغرائب والعجائب أبقى في إنجيله ذكر نزول روح القدس على المسيح فى شكل حمامة (يو ١: ٣٢) مع أن هذا الشكل قد ذكره الإنجيليون الثلاثة الأولون (مت ٣: ١٦ ومر ١: ١٠ ولو ٣: ٢٢) ونصوا على أن نزول هذه الروح كان عقب تعميد يحيى له، فإذا كان ترك قصة التعميد بالمرّة فلماذا أبقى ذبولها؟ وإذا كان غرضه تكميل ما فات الأولين كما يدعون فلماذا كرر ما اتفقوا كلهم على ذكره؟ الحق أنه تحاشا قصة التعميد خوفاً مما تؤدى إليه وذكر تشكل الروح بالحمامة ليظهر أن نزولها عليه كان أمراً محسوساً مجسماً لا شبهة فيه (انظر أيضاً لو ١٠: ٢٢) فهو يذكر ما وافق غرضه ولو ذكره الإنجيليون كلهم قبله ويخترع ما يخترع ولو لم يروه أحد غيره ويترك ما خالف غرضه ولو أجمعوا على ذكره كلهم، وما تركه أيضاً فى هذه القصة قول لوقا (٣: ٢١) إن يسوع بعد أن اعتمد كان يصلى ولكن يوحنا يرى أن نسبة الصلاة لابن الله غير جائزة فلذا ترك هذه المسألة وغيرها مع أنه لم يذكرها فى هذه القصة إلا لوقا، وأما تشكل الروح^(١)

الروح فى كتبهم

(١)

لم لا تكون هذه الروح ملك عظيم مخصوص من الملائكة التى كانت تنزل على المسيح =

بالحماسة ورؤية الناس لها مجسمة فلا يهون عليه تركه ولو ذكره جميع العاملين قبله!!.

وقد ذكرت الأناجيل الثلاثة الأولى (مت ١٧: ١٩ ومر ١٠: ١٨ ولو ١٨: ١٩) أن رجلاً نادى عيسى (ص) بقوله «أيها المعلم الصالح» فأنكر المسيح عليه ذلك تواضعاً وقال له: «لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله».

غلو يوحنا فى المسيح

وأما يوحنا فلم يذكر هذه القصة مطلقاً كعادته وروى عن المسيح أنه كان يقول مراراً (يو ١٠: ١١ و١٤) «أنا هو الراعى الصالح» وأنه قال: (يو ١٠: ٣٠) «أنا والآب

= (لو ٢٢: ٤٣ و يو ١: ٥١) بدل قولهم أنها أقنوم إلهي؟ وتشكل الملائكة بأشكال جنسانية أمر معروف معهود عند الكتائين (انظر = مثلاً لو ٢٤: ٤) أما الحركة والتشكل فهى على الله محالة لأنها من صفات الحوادث التى تستحيل على القديم (راجع كتابنا: الدين فى نظر العقل الصحيح ص ٤ - ١٢) ولو جاز تشكل الله بصورة حماسة لكان تعالى محدوداً محصوراً وهو ينافى قول سليمان ٢ أى ١٨: ٦ (هل يسكن الله حقاً مع الإنسان على الأرض؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك) راجع أيضاً تث ٤: ١٢ - ١٩ ولو كانت هذه الروح التى نزلت على المسيح هى الله فما حاجته بعد إلى الملك الذى نزل عليه ليقويه وإلى نزول غيره من الملائكة؟ فهل الله يحتاج إلى مساعدة مخلوقاته؟ (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٦١ - ٦٤) هذا ولعل روح القدس هذه (أى الروح المقدسة) التى ذكرت فى كتبهم هى الروح المذكورة فى القرآن الشريف فى مثل قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا ٣٨] وقوله ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤] أما كون المتبادر من عبارات كتبهم أن هذه الروح هى غير جبريل فهذا مسلم كعبارة (لوقا ١: ٣٥) وإن لم تكن نصاً قاطعاً فى ذلك، وأما المراد بروح القدس فى القرآن فهو بلا شك الملك جبريل عليه السلام.

واحد، وغير ذلك كثير مما لم تروه الأناجيل الأخرى. وإن كانت العبارة الأخيرة التي رواها يوحنا ليست نصاً في ألوهيته إذ حملها على المجاز سهل كما هو ظاهر (انظر مثلاً اكو ٣: ٨) وقد قال المسيح أيضاً نحوها في تلاميذه (يو ١٧: ١٤-٢٦) إلا أن روح العظمة والكبرياء التي في رواية يوحنا هذه لا تتفق مع روح التواضع التي ترى في رواية الآخرين عن المسيح. فإن كان ما رواه يوحنا عنه (مثل ٣: ١٣ و ٨: ٥٨ و ١٢: ٤٥ و ١٤: ١٠ و ١٦: ٢٨ و ١٧: ٥) صحيحاً فمن أقبح النقص ومن أعظم أسباب تضليل الناس في أمر المسيح أن يترك ذلك الإنجيليون الثلاثة وخصوصاً لوقا الذي تعمد أن يكون إنجيله كاملاً وجامعاً لجميع أخبار المسيح وأقواله المهمة إذ قد تتبع - كما يقول عن نفسه (١: ٣) - كل شئ من الأول بتدقيق. فلا يعقل أن مثل هذا الكتاب المدقق يترك كل أقوال المسيح المهمة في مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا أو غيره كما يدعون وإن خالفوا قول لوقا نفسه وهو عندهم موحى إليه وكتب إنجيله بالإلهام الإلهي بعد نزول روح القدس عليهم جميعاً!! فلم إذا لم يوح إليه ما أوحى إلى يوحنا مع أن يوحنا لم يرد أن يكون إنجيله كاملاً كلوقا (يو ٢١: ٢٥) أم نسى الله أن يلهمه هذا المبحث العظيم ولم يعلم أن ذلك سيكون سبباً في إنكار كثير من الناس ألوهية عيسى في كل زمان ومكان وتكذيبهم يوحنا فيما رواه وانفرد به دون جميع زملائه! الآخرين حتى أن تسمية المسيح «بالابن الوحيد» و «بالكلمة» بالمعنى الذي أراده يوحنا لم ترد في كتاب من كتب العهد القديم أو الجديد إلا في المؤلفات المنسوبة إلى هذا الرجل. وما هي إلا فلسفة يهود الإسكندرية وغيرهم في «الكلمة» سرت إلى المؤلف فطبقها على المسيح. والمسيح براء مما ينسبه إليه، أو يرويه عنه، كما هو ظاهر من الأناجيل الأربعة.

مؤلف إنجيل لوقا موحد

فإن قيل: لعل لوقا أراد أن يكون إنجيله شخصياً لأنه قدمه (لثاوفيلس) وربما أن هذا الرجل كان يعرف ألوهية المسيح وأقواله في هذه المسألة وكما كان يشك فيها فلذا تحاشى لوقا ذكر كل ما يثبتها له من أقوال المسيح؟ قلت: إن الذى يفهم من إنجيل لوقا نفسه (٤: ١) أن ثاوفيلس ما كان يجهل شيئاً مما جاء فى هذا الإنجيل وإنما كان الغرض من كتابته له تثبيته، فلماذا إذا لم يثبت لوقا فى عقيدته فى لاهوت المسيح ولم يرو له ما قاله المسيح نفسه فى ذلك كما ثبته فى غيرها من الحوادث وإن كان يعرفها من قبل؟ وأى ضرر إذا ذكر لوقا أقوال المسيح فى ألوهيته حتى أنه تجنب ذكرها (١) فى إنجيله بالمرّة؟ وسماه إنساناً ونبيّاً (لو ٢٤: ١٩) ولو فرض أن (لوقا) لم

(١) لاحظ أن إنجيل لوقا (مع أنه أوفى الأناجيل وأدقها وأصحها) هو أيضاً أبعدا عن عقيدة النصارى فى ألوهية المسيح حيث إنه اعتبره إنساناً من أول الأمر إلى آخره (انظر مثلاً لو ٢٢: ٤٣ و ١٩: ٢٤) ولم يطلق عليه لفظ الرب (وهو فى جميع اللغات لقب تعظيم بمعنى السيد والمعلم ونحو ذلك كما فى (يو ١: ٣٨ ومت ٢٣: ٧ و ٨) لم يطلقه عليه إلا مرات قليلة وظهر لهم أن بعضها زيد فيه تحريفًا فى الأزمنة الأولى (كما فى إصحاح ٧: ٣١ و ٢٢: ٣١ منه) .

الديان ليس هو الله وحده وليس هذا فقط بل لم يجعل هذا الإنجيل المسيح دياناً للخلائق جميعاً مجازياً لهم بحسب أعمالهم كما فعل متى وغيره ولم يقل إن الملائكة هى ملائكة المسيح (قارن متى ١٦: ٢٧ و ٢٨ و ٢٥: ٣٢ و ٣٣ و ٢٤: ٣١ بلوقا ٩: ٢٦ و ٢٧ و ٢١: ٢٧) ولم يذكر عبارة متى (١٩: ٢٨) التى اتخذها النصارى إشارة إلى ثالوثهم. قارن أيضاً كلمات الوداع فى إنجيل متى (٢٨: ١٨ - ٢٠) بها فى لوقا (٢٤: ٤٦ - ٥٣) فأقرب الأناجيل لعقيدة النصارى هو إنجيل يوحنا ويلىه متى ثم مرقس ثم لوقا. قارن أيضاً قول متى ١٣: ٤١ (يرسل ابن الإنسان ملائكة فيجمعون من ملكوته جميع المعثر وفاعلى الإنث) قارنه بقول لوقا ١٢: ٨ و ٩ (وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله) ثم راجع سفر الأعمال وهو من تأليف لوقا أيضاً عندهم تراه يقول فيه عن لسان بولس أستاذه أن المسيح إنسان وأن الله هو الذى أقامه من الأموات=

يذكر إلا ما جهله (ثاوفيلس) فهل يعقل أن هذا الصديق العزيز للوقا (١ : ٣)

= (اع ١٧ : ٣١) انظر أيضاً (اع ٢ : ٢٤) وأما قول بولس في سفر الأعمال هذا (١٧ : ٣١) إن الله سيدين المسكونة بهذا الرجل (يعنى المسيح) فهو لا يدل على أنه كان يعتقد ألوهيته لأنه سماه في هذه العبارة نفسها رجلاً وقال إن الله هو الذى أقامه من الأموات (راجع أقواله فى المسيح فى اتى ٥ : ٢ وأف ١ : ١٧ ورو ٥ : ١٥ و١ كو ٣ : ٢٣ وغل ٤ : ١٤) وأيضاً فإن تلاميذ المسيح أنفسهم سيدينون (بحسب هذه الأناجيل) أسباط إسرائيل الاثنى عشر (انظر مثلاً مت ١٩ : ٢٨) وقال عيسى لتلاميذه (مت ١٨ : ١٨) (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونوه على الأرض يكون محلولاً فى السماء) ولم يقل أحد من النصارى بألوهيتهم ولو أنهم كثيراً ما سجدوا لصورهم ولصور غيرهم من القديسين والقديسات فى كنائسهم ، وهذه العبارة الأخيرة ونحوها كانت منشأ سلطة الباباوات العظيمة ومن تحتهم من رؤساء النصرانية وربما أنهم هم الذين اخترعوها ونسبوا لعيسى وهو منها ومن أمثالها برئ، وما يشعر بأن هذه العبارة هى من اختراع رؤساء النصرانية القدماء قولهم عن لسان المسيح قبلها (مت ١٨ : ١٧) (وإن لم يسمع (أى من أخطأ إلى أخيه) منهم (أى من اليهود) فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار) فأية كنيسة كانت فى ذلك الوقت يتحاكم إليها تلاميذ المسيح وهو لا يزال بينهم؟ فالحق أن هذه العبارة مما أضيف إلى الإنجيل بعد المسيح بمدة ويؤيد ذلك جواب المسيح الوارد فى إنجيل متى (٢٣ : ٢٠) لأم ابني زبدى بأنه لا يقدر أن يعطى شيئاً إلا لمن أَرَادَهُ اللهُ فكيف إذا يتصرف تلاميذه فى الكون كما أراد؟ وقال بولس إنه هو والقديسين وسائر النصارى سيدينون العالم والملائكة!! فهل هؤلاء كلهم آلهة؟ (انظر ١ كو ٦ : ٣ و٢) ومن ذلك يعلم أن المسيح ليس وحده عندهم دياناً للخلايق بل هو أكبرهم وأعظمهم فهو كقاضى القضاة يوم القيامة .

«معنى كلمة إيلوهيم العبرية»

وإذا لاحظت أن اليهود كانوا يسمون قضاة الدنيا آلهة (وبالعبرية إلهيم) وهذه اللفظة تطلق على المفرد وعلى الجمع فلذا كانت تطلق على الله تعالى وعلى عظماء البشر كما يفها من (مز ٨٢ : ٦ و١ صمو ٢٨ : ١٣ ويو ١٠ : ٣٤ - ٣٧ راجع أيضاً خر ٢١ : ٦ و٢٢ : ٨ و٩) وربما كان إطلاقها على الله وهى جمع من بقايا أثر الشرك القديم والوثنية فى اللغة العبرية، إذا لاحظت ذلك وتذكرت أن بولس ويوحنا كانا يهوديين صميمين لم تستغرب تسميتهم المسيح - وهو عندهم ديان القيامة الأعظم بإذن الله (يو ٥ : ٢٧) - مرة أو مرتين إلهاً كما =

والذى يعلم النصرانية من قبل (لو ١ : ٤) كان يجهل أو يشك فى وجود عيسى وفى جميع تفاصيل حياته وولادته من العذراء وفى صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء حتى فصل له لوقا كل ذلك تفصيلاً؟ وإذا كان يجهل هذه المسائل أو يشك

= فى (رومية ٩ : ٥ و ١ يو ٥ : ٢٠) بعد أن وصفاه بصفات الحوادث مراراً ونصاً على أنه أول مخلوقات الله تعالى (كو ١ : ١٥ ورؤ ٣ : ١٤) على أن عبارة بولس الواردة فى رومية (٩ : ٥) اختلف فيها المفسرون والترجمون فيرى بعضهم أن ما بعد قوله (حسب الجسد) جملة مستأنفة ومعناها هكذا «ومن على الكل هو الله مبارك إلى الأبد» أو «ومن هو الله على الكل يبارك؛ إلى الأبد» راجع الترجمة الإنكليزية المنقحة «Revised Version»

التوحيد فى القرآن وفى التوراة

وما تقدم يعلم أن إدانة الخلائق والتصرف فى الكون ليس عندهم قاصراً على الله تعالى وحده كما هى العقيدة الصحيحة فى دين الحق ودين التوحيد الحقيقى القائل كتابه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) (مالك يوم الدين) (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً) وقال مخاطباً محمداً (ص) (ليس لك من الأمر شئ) وقال (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) فأين هذه العقائد العالية من عقائد الشرك والتشبيه والتجسيم؟ وجاء فى سفر التثنية (وأوامر التوحيد والتتزيه فيه وفى غيره من كتب العهد القديم كثيرة جداً) قوله ٣٢ : ٢١ (هم أغارونى بما ليس إلهاً. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم) وهى الأمة الإسلامية الناشئة بين الأميمين الجاهلين مصداقاً لقوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى) إلى آخر الآيات ثم قال سفر التثنية ٣٢ : ٣٤ (ليس ذلك مكنوناً عندى مختماً عليه فى خزائنى ٣٥ لى النعمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيات لهم مسرعة ٣٦ لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق ٣٧ يقول أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها ٣٨ التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سبائكهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية ٣٩ انظروا الآن أنا أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحى. سحقت وأنى أشفى وليس من يدي مخلص ٤٠ إنى أرفع إلى السماء يدي وأقول حى أنا إلى الأبد ٤١ إذا سنتت سيفى البارق وأمست بالقضاء يدي أرد نقمة على أصدادى وأجازى مبغضى) فقارن هذه العبارات السامية الجليلة بأوهام النصرارى فى العهد الجديد هداهم الله إلى سواء السبيل.

فيها فكيف لم يشك في ألوهية المسيح؟ وكيف علم ثاوفيلس أقوال المسيح في ألوهيته ولم يعلم باقى تفاصيل قصته التى فصلها له لوقا مع أن هذه الأقوال ما كانت منفصلة عن حوادث حياته كما يفهم من إنجيل يوحنا ومن علم هذه علم تلك فلم فصلها لوقا عنها وتركها؟ وإذا كان هذا الإنجيل شخصياً فلم لم يكتب تلميذ من تلاميذ المسيح إنجيلاً عمومياً يكون وافياً بجميع المسائل؟ ولم إذا جعلتم إنجيل لوقا عمومياً ونشرتموه بين الناس فى كل زمان ومكان وهو غير واف بالغرض؟ وأى إنجيل عندكم أوفى منه؟ وكيف يجب على البشر الإيمان بأكثر معضلة فى العالم مخالفة للعقل ولما نقل عن جميع أنبياء بنى إسرائيل وهى مسألة ألوهية المسيح كيف يجب الإيمان بها لمجرد رواية شخص واحد خالف فيها جميع التلاميذ الآخرين وأتى بما لم يأتوا به؟ وهل نسيتم أن من دعا لعبادة غير الله يجب قتله كما فى سفر التثنية (١٣ : ١ - ٥) ولو كان مؤيداً بالآيات والمعجزات؟ فكيف إذا يصدق يوحنا هذا وهو لم تتواتر عنه أية معجزة ولو تواترت لما عافته من استحقاق القتل بنص التوراة .

على أن جميع عباراته فى هذه المسألة ليست نصاً قاطعاً كما بينت من قبل فى هذا الكتاب وفى كتابنا: (دين الله ص ٧٦ و٧٧) وهى كلها مما يمكن تأويله . ولا ندرى لم لم يأولوها وباعهم فى التأويل أطول من جميع العالمين، ولهم فى التعسف والتكلف آراء تعجز عنها الجن والشياطين ، فالحق أن لوقا إنما لم يرو ما رواه يوحنا لأن كاتب إنجيل يوحنا افتجره من عند نفسه افتجاراً وليس هناك من سبب آخر غير ذلك فلا تبهجوا أنفسهم فى انتحال الأعذار والأسباب ولا تكونوا فى كل شئ مكابرين، وعن الحق دائماً معرضين .

جهل يوحنا بأرض فلسطين

وهناك مسائل أخرى كثيرة ذكرها علماء النقد تدل على أن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح بل ولا يهودياً ممن يعرفون أرض فلسطين ولا هيكل أورشليم ولذلك وقع في الغلط في أثناء وصف تلك البلاد ومعبدها.

فمن ذلك: قوله ١ : ٢٨ (هذا كان في بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد) كما في جميع النسخ القديمة وهي مدينة لا وجود لها في هذا المكان ولم يعرفها أحد حتى ولا أوريجانوس المتوفى نحو سنة ٢٥٤ ولذلك أبدلوها في نسخهم الحالية (بيت عبرة) وقوله ٣ : ٢٣ (وكان يوحنا أيضاً يعمد في (عين نون) بقرب سالييم لأنه كان هناك مياه كثيرة) وهذا الموضع أيضاً ما عرف قط حتى ولا في القرن الثالث وأقرب مكان يمكن أن يقال أنه هو المراد موضع في شمال السامرة ولكن الذى يفهم من إنجيل يوحنا أنه في اليهودية (٣ : ٢٢ و ٤ : ٣) وقوله ٤ : ٥ (فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها «سوخار») وهي غير معروفة ويظن بعضهم أنها «شكيم» ويرد هذا الظن أن بثر يعقوب عند مدخل الوادى تبعد ميلاً ونصف ميل عن شكيم ولا يعقل أن المرأة السامرية كانت تذهب هذه المسافة البعيدة لجلب الماء مع أن الماء غزير بالقرب من المدينة (راجع قاموس بوست مجلد ١ ص ٥٩٢).

ومن ذلك أيضاً: قوله (يو ٢ : ١٤ و ١٥) إن البقر والغنم كانت تباع في هيكل أورشليم وقد حقق العلماء أنه لم يكن لها موضع هناك بل كانت تباع في سوق بعيدة عنه خارج أورشليم (راجع كتاب دين الخوارق) على أن هذه القصة ذكرت في الأناجيل الأخرى المتأخرة عن الزمن الذى ذكره يوحنا (أنظر متى ٢١ : ١٢ ومر ١١ : ١٥ ولو ١٩ : ٤٥) والظاهر أن الحق معها فإن المسيح ما كان ليقدم على طرد الباعة وكب الدراهم وقلب المواثد وضرب الناس بالسوط (يو ٢ : ١٥) وهو لا يزال

فى أول أمره فى السنة الأولى من بعثته قبل أن يعرفه الناس مع أنه كان بعد ذلك يذهب إلى أورشليم مخضياً خوفاً من اليهود كما قال يوحنا نفسه (٧: ١٠ - ١٣ و ١١: ٥٣ - ٥٧).

ثم قصة بركة بيت حسدا (٥: ٢ - ٩). ومع أن هذه البركة الآن غير معروفة مطلقاً فمن العجيب أن يكون لها هذه الخاصية العظمى التى ذكرها يوحنا فى شفائها للمرضى الذين كانوا يتزلون أولاً فيها بعد تحريك الملك ماءها مباشرة ولا يذكرها يوسيفوس ولا غيره من المؤرخين فى ذلك العصر فهى قصة كاذبة ولذلك حاول النصارى حذفها من الإنجيل من قديم الزمان وهذا هو سبب حذفها فى كثير من نسخهم القديمة كالسنيائية والفساتيكانية ولكنها موجودة فى الإسكندرية وغيرها فانظر إلى مقدار تصرف هؤلاء الناس فى كتبهم المقدسة!!

كتاب مذكرات الرسل

والخلاصة: أن هذه الأناجيل الأربعة ما كانت معروفة إلا فى أواخر القرن الثانى وكان هناك كتب أخرى كثيرة يستشهد بها المؤلفون غير هذه الأناجيل كمذكرات الرسل^(١) المذكورة سابقاً وإنجيل العبرانيين وإنجيل الأيونيين والأناجيل المنسوبة إلى بطرس وتوما والاثنى عشر وبرنابا ونيقوديموس وغيرها كثير ويعد ذلك صارت تشتهر الأناجيل الأربعة شيئاً فشيئاً حتى جعلت هى القانونية ورفض غيرها الذى ضاع أكثره وأعدموه تدريجياً.

(١) قد بين كثير من علماء الأفرنج المحققين أن هذا الكتاب الذى كان ينقل عنه (يوسطينوس) لا يمكن أن يكون هو هذه الأناجيل الأربعة بالمرّة كما يدعى المبشرون الآن، وقد أثبتوا ذلك بعدة براهين يطول بنا إيرادها هنا فمن شاء الاطلاع على شئ من ذلك فليقرأ كتاب (دين الحوارق) «Religion Supernatural» ص ١٨١ - ٢٦٧.

ولعل السبب في جعلهم لها قانونية دون غيرها هو أنها أصح عبارة في اللغة اليونانية وأقرب إلى غرض النصارى في تلك الأزمنة وأقل تناقضاً وخطأ من غيرها وربما كان مروجوها بينهم أكثر وأمهر من مروجى تلك وأبرع منهم في حسن السبك إلى غير ذلك من الأسباب المحتملة المتنوعة.

هذا وقد امتدت فلسفة اليهود في «الكلمة» (Logos) أو «الحكمة» كما يسميها سفر الأمثال (٨ : ١٢) وكتاب الحكمة ليشوع بن سيراخ (٢٤ : ٩) امتد من الإسكندرية إلى آسيا الصغرى وهناك وجدت وسطاً صالحاً لنموها فامتزجت بآراء بولس وغيره في المسيح وفي الفداء والخلاص وهي الآراء التي فشت في النصارى وقتئذ ومن جموع ذلك صدرت الكتب المنسوبة إلى (يوحنا) من كنيسة (أفسس) وهي المدينة التي كان يوحنا فيها على ما يقال، ولذلك لم تعرف هذه الكتب (الأناجيل والرسائل) المنسوبة إليه بين النصارى الأقدمين إلا في آخر القرن الثاني كما سبق.

قرب مجئ المسيح

فإن قيل: إذا كانت الأناجيل الحالية مما كتب في القرن الثاني فكيف لم يحذف النصارى منها أقوال المسيح الدالة على قرب مجيئه وعلى أن ذلك يكون عقب خراب أورشليم مباشرة (راجع مثلاً مت ١٠ : ٢٣ و ١٦ : ٢٨ و ٢٤ : ٣ و ٢٩ - ٣٤ ومر ١٣ : ٢٤ - ٣٠) مع أن ذلك لم يتحقق؟

قلت: إن هذه الأقوال كانت تعزية المسيحيين الكبرى على مصائبهم في هذه الدنيا (١ تس ٤ : ١٨) من عهد المسيح إلى أوائل القرن الثاني بعد موت يوحنا الذي كانوا يظنون أنه يبقى حياً إلى مجئ المسيح عليه السلام (يو ٢١ : ٢٣) فإذا صح أن

عيسى قال شيئاً منها فلا بد أنهم لم يفهموا مراده الحقيقي فنقلوا عباراته محرفة حتى خرجت عن معناها الأصلية وشاعت بينهم على غير حقيقتها. والأرجح عندى أن اليهود الذين دخلوا فى المسيحية استتجوا من كتبهم أن زمن عيسى هو آخر الزمان وأن القيامة قريبة جداً منهم كما يفهم من سفر أشعيا (٢ : ٢) وأرميا (٢٣ : ٢٠) والتكوين (٤٩ : ١) ويوثيل (٢ : ٢٨ - ٣٢) فانتشرت هذه الأقوال بين النصارى الأولين (راجع أيضاً أع ٢ : ١٦ - ٢١) وفشت فيهم حتى نسبوها إلى المسيح نفسه وزعموا أنه قال إن القيامة ستقوم بعد خراب أورشليم مباشرة (مت ٢٤ : ٣ و ٢٩ - ٣٥) ولذلك قال سفر الأعمال أيضاً نقلاً عن يوثيل ما يفهم منه أن خراب العالم سيكون عقب نزول الروح على التلاميذ يوم الخمسين (٢ : ١ - ٢١) فكان النصارى فى القرن الأول وفى أوائل الثانى يظنون قرب مجئ القيامة فدخلت هذه الأقوال فيما كتب من الأناجيل إذ ذاك (كأصل إنجيلى متى ومرقس القديم) وتداولها الناس بينهم واشتهرت عندهم هذه النبوات وصاروا يرتقبون تحققها يوماً بعد يوم فلا يمكن بعد أن كتبت وشاعت أن يتلاعبوا فيها وأعين الناس كلهم متجهة إليها فى ذلك الزمن.

أما كاتب الإنجيل الثالث فالظاهر أنه كان فى زمن يئس فيه الناس من تحقق هذه النبوات وأمثالها فى القرن الثانى أو الجيل الثانى كما يفهم من مقدمة إنجيله فلذا شك فى رواية ألفاظها الواردة فى أصل الإنجيل الأول والثانى وحوار عباراتها تحويراً يجعلها أصلح للتأويل مما فى الإنجيليين الأولين ولم يذكر أقوال الأخرى الواردة فى إنجيل متى التى أشرنا إليها هنا (راجع لو ٢١ : ٧ و ٢٥ - ٣٢ تجدد عبارته مخففة فى هذا الموضوع عن سابقه) ولم يمنعه اشتهاؤها ألفاظها الواردة فى الأناجيل التى قبله وشيوعها بين الناس واعتقادهم لها من هذا التحوير لجزمه بأخطاء روايتها وإلا لكان المسيح نفسه هو المخطئ فيها وهو غير جائز طبعاً.

وأما الإنجيل الرابع فتركها بالمرّة وهو مما يدل على شدة تأخر زمنه وتحقق الناس من عدم صحتها ويأسهم منها يأساً تاماً^(١).

ولا يلزم من اشتها هذه الأفكار والنبوات بين النصارى فى القرن الأول كله والثانى أن غيرها بما فى الإنجيل المنسوب لمتى ومرقس كان شهيراً شهرتها ومعروفاً

الصلب ونهاية العالم

(١)

لما كان النصارى فى القرن الأول يعتقدون قرب إنتهاء العالم كما بينا هنا وفى مقالة الصلب وأنهم آخر الدهور وأن الساعة قريبة جداً منهم (رؤ ٢٢ : ١٠) و (١ يو ٢ : ١٨) و (١ كو ١٠ : ١١) وأن بعضهم يبقى حياً إلى مجئ القيامة (١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢ و ١ تس ٤ : ١٥ - ١٨)، لما كان هذا اعتقادهم كان المسيح آخر الزمان كما يزعمون ولكن الآن وقد مضى على البشر نحو عشرين قرناً (ولا ندرى كم بقى من عمر العالم؟) لا أفهم لم حصل الصلب وجاء المسيح فى ذلك الزمن ولم يجئ فى نهاية العالم أو فى أول الأمر بعد عصيان آدم مباشرة؟؟ وحيث قد ظهر أن العالم لم يتنه عقب المسيح مباشرة كما توهموا وقد وصل الرقى البشرى إلى درجة لم يصل إليها قبل المسيح، ظهر لنا عدم التناسب بين حصول الصلب والزمن الذى حصل فيه فكان الأولى عقلاً والأنسب أن يحصل قرب نهاية العالم حتى تختتم جميع القرايين والضحايا به ويختتم به الزمان أيضاً.

فإن قيل :- كلامك هذا صحيح إذا كان المسيح مجرد ذبيحة فقط ولكنه هو ذبيحة ومثال للبشر فى تقديم أنفسهم ضحية لأجل إخوانهم الآخرين فلذا جاء فى ذلك الزمن ليقتدى به الناس بعده فى أرقى العصور . قلت: الظاهر من صلوات المسيح ودعائه وحزنه وتقوية الملك له وطلبه النجاة من الله ومحاولته الدفاع عن نفسه وتصيبه عرقاً وصراخه الخ - الظاهر من هذا كله كما بينا فى مقالة الصلب أنه لم يقدم نفسه باختياره بل أكره على ذلك إكراهاً وبذله الله بدل الناس ولم يشفق عليه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فهو ليس مثلاً حسناً لتضحية الذات فى سبيل نفع الناس بإرادته رغبة منه واختياراً (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٨٠) وعليه يكون صلب المسيح مجرد ذبيحة بشرية لإرضاء هذا الإله المحب لسفك الدماء البريئة وليس فيه شئ آخر يستفيد منه الناس فكان الأنسب أن يحصل صلبه فى نهاية العالم أو فى أوله وأما حصوله فى ذلك الزمن (من زهاء عشرين قرناً) فلا أفهم له حكمة ولا أعرف له مناسبة!! فلعل المعجبين بعقيدتهم هذه من النصارى يهدوننا إليها . وفوق كل علم عليهم .

بينهم مثلها فكاتباهما وإن تماشياً تحريفها أو تحويرها لشهرتها إلا أن ذلك لا يضمن لنا صحة رواية الأشياء الأخرى التي ليست شهيرة بين الناس شهرة هذه النبوات.

هذا وعدم علم (بايباس) المتوفى بين سنة ١٦٤ إلى ١٦٧ ميلادية بهذين الإنجيلين (متى ومرقس) بحالتهما الحالية كما بينا يدل على أنهما لم يكونا بهذه الحالة في زمنه أو لم يشتهروا بها إذ ذلك بل كان إنجيل متى عبارة عن مجموعة من أخبار المسيح وأقواله باللغة اليونانية إلا أنها غير مرتبة كما سبق بيانه وربما كان الذي منع التلاميذ من الاعتناء بكتابة الإنجيل هو توهمهم قرب انتهاء العالم فإذا صح أن نبوات يوم القيامة كانت في أصل هذين الإنجيلين فمترجم الأول ومرتب الثاني لم يجسرا على تحويرها أو تحريفها نظراً لشهرتها بين الناس أو لظنهما أنها ربما تحققت عن قريب ولكن هذا السبب لم يكن عند كاتب الإنجيل الثالث كافياً لمنعه من إصلاح ما اعتقد خطأه لتأخر زمنه ويأسه وخصوصاً لأنه كان كثير الاجتهاد والتدقيق كما هو صريح مقدمته ولم يقصد بكتابة إنجيله أن يكون لجميع الناس بل لشخص صديق له يسمى ثاوفيلس فلا يهمه إن قبله الناس منه أو لم يقبلوه ما دام مقتنعاً بصحة ما استنتجه وكتبه وصدقه فيه صاحبه.

تحريف كتبهم فى القرون الأولى

هذا واشتهار هذه الأناجيل بعد ذلك فى أواخر القرن الثانى أو أوائل الثالث لم يمنع النصارى من محاولة تحريفها هى وغيرها من كتبهم فى بعض الأماكن التى لم ترق لهم أو التى كثر انتقاد الناس عليها كعبارة لوقا فى تقوية الملك للمسيح (٢٢: ٤٣) (راجع كتابنا دين الله ص ٨٠) وكساعة الصلب فى إنجيل يوحنا (١٩: ١٤) فجعلوها فى بعض النسخ «الثالثة» بدل السادسة^(١) وغير ذلك كثير

(١) ساعة الصلب واختلافهم فيها

ذهب بعض مفسريهم الآن لرفع الخلاف بين إنجيل يوحنا ومرقس (١٥ : ٢٥) فى ساعة الصلب إلى أن ساعة يوحنا رومانية وساعة مرقس عبرية وقد رددنا على هذه الدعوى فى رسالة الصلب ونزيد الآن أن الباحثين فى تواريخ الأمم قد عرفوا خطأ هذه الدعوى مطلقاً فإن الرومانيين لم يكونوا يعدون ساعاتهم كما يعدها الإفرنج الآن وإنما كانوا يعدونها من شروق الشمس واليهود من الغروب كالعرب راجع كتاب «التوراة غير موثوق بها» تأليف (Walter Jekyll) ص ٨٦. وعليه فتفسيرهم لهذه المسألة منقوض من أوله إلى آخره ومبنى على الخطأ والجهل والقياس القديم بالحاضر فى عادات الأمم. وما دامت كتبهم مملوءة بالخطأ والتناقض والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان فى المسائل الطفيفة وغير الطفيفة وما داموا يسلمون بخطأ النسخ الكثير فيها بل بالزيادة عمداً حتى فى بعض العقائد المهمة (كما فى رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ و ٨) فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقطع بشئ فيها أو نجزم بأنه من قول المسيح أو تلاميذه وأنه لم يزد خطأ أو عمداً وخصوصاً لأن أقدم ما عندهم من النسخ لا يتجاوز على قولهم القرن الرابع (راجع كتاب صدق المسيحية لمؤلفه Tyrton ص ٣٠٩ و ٣١٠) ولا أدرى إذا كان الله يريد أن تكون هذه الكتب هداية للبشر فى كل زمان ومكان إلى يوم القيامة فلم لم يصنها عن كل ما حصل لها وما وقع فيها حتى تطمئن نفوس الناس إليها وخصوصاً أهلها الذين أصبحوا أشد الناس محاربة وإنكاراً لها!! فالحق أن الله لم يرد ذلك وإنما جعلها درجة تحضيرية تمهيدية للقرآن المصون من التحريف والتبديل (كما وعد تعالى قر ١٥ : ٩ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والباقي إلى يوم القيامة (انظر كتاب دين الله ص ٨٢ و ٨٣) فما حفظه الناس من تلك الكتب إنما كان كافيًا لهم إلى زمن القرآن.

(راجع أيضاً رسالة الصليب، ص ١٦٢ وكتاب «دين الله» ص ٧٦ - ٧٨) وعبارة إنجيل لوقا المشار إليها هنا تدل على أن كاتبه إما أنه ما كان يعتقد في المسيح الألوهية الحقيقية كباقي زملائه كتاب العهد الجديد (انظر مثلاً رؤيا ٣: ١٤) أو أنه لم يقدر الله حق قدره فلذا قال هذه العبارة، والوجه الأول هو الراجع عندنا كما سبق بيانه.

نبوات اليهود والمسيح

ومن العجيب أن المحرفين قد يضيفون بعض عبارات من عند أنفسهم كما في إنجيل مرقس (١٦: ١٧ و١٨) وينسبونها للمسيح كذباً وإن أوقعهم ذلك في إشكال عظيم مادام في علمهم هذا تطبيق لنبوات قديمة على المسيح وأتباعه فإن هذا هو أكبر مقاصدهم بل مقصدهم الوحيد في كل ما يكتبونه عن المسيح حتى أعماهم عن كل شيء آخر. ألا ترى أن كاتبى إنجيل متى ومرقس زعما أن المسيح صرخ وهو مصلوب قائلاً «إلهى إلهى لماذا تركتنى» (مت ٢٧: ٤٦ ومر ١٥: ٣٤) رغبة منهما في تطبيق الزمور (٢٢: ١) عليه ونسياً أن مثل هذا الصراخ يدل على العجز والضعف واليأس والقنوط من رحمة الله وعدم الرغبة في توضيح ذاته في سبيل خلاص الناس. ولكن رغبة الإنجيليين في تطبيق نبوات اليهود على المسيح أنستهم كل شيء آخر، وكذلك ادعى متى ركوب المسيح الأتان والجحش معاً حينما دخل أورشليم تطبيقاً لنبوة زكريا عليه التي لم يفهما كما سبق بيانه، وتراهم مثلاً يقولون في إنجيل مرقس وغيره (مثل يو ١٤: ١٢) إن الذين يؤمنون بالمسيح يخرجون الشياطين باسمه ويتكلمون بالسنة جديدة ويحملون الحيات ولا تضرهم السموم ويشفون المرضى مع أن هذه الأشياء لا نرى أحداً منهم الآن يقدر على فعلها، وإن زعموا أنها خاصة بتلاميذه مع أن النص عام، قلنا: ولماذا لا نشاهد هذه الآيات

والمعجزات الآن مع شدة احتياج العالم إليها وامتلاء قلوب العالمين بالشك في الدين المسيحي على الخصوص وكثرة الطعن فيه وتكذيبه حتى ممن كانوا أتباعه؟

ولو جاز اتخاذ مثل هذه العبارات دليلاً على أن الإنجيليين ومن عاصروهم كانوا يرون بأعينهم المعجزات تعمل في زمنهم على يد تلاميذ المسيح، لجاز أيضاً أن يقال إنهم كانوا يرون الجبال تنتقل من مكانها وتنطرح في البحر بل كانوا يرون ما هو أكبر من ذلك يحصل بكلمة أى رجل منهم ولو كان إيمانه ضعيفاً كحبة الخردل كما قالوا في أناجيلهم (مت ١٧ : ٢٠ ومر ١١ : ٢٣ ولو ١٧ : ٦) ومع أنه لم يشاهد أحد منهم شيئاً من ذلك قطعاً ولا انتقلت الجبال ولن تنتقل بأضعف الإيمان ولا بأكمله، فلم إذاً نسبوا هذه العبارات للمسيح وخطوؤها واضح لا يحتاج إلى دليل؟ ألا يدل ذلك على أنهم كانوا يخترعون ولا يبالون، والناس لجهلهم يصدقون؟!

وإذا صح قول المسيح إن حبة خردل من الإيمان تفعل كل شئ فكيف بعد ذلك مباشرة (مت ١٧ : ٢١) اشترط الصلاة والصوم لإخراج شيطان (!!) من شخص قدم لتلاميذه فلم ينجحوا في إخراجه منه؟ أفلم يكن عندهم قدر حبة خردل من الإيمان؟ وإن كانت عندهم فلم اشترط إذا الصلاة والصوم وهو القائل قبل ذلك إن حبة خردل من الإيمان كافية لكل عمل حتى لا يكون شئ مستحيلاً^(١) مع وجودها؟؟

أما السبب عندنا في نسبة مثل تلك العبارات للمسيح فهو أيضاً ورودها في النبوات القديمة كعادتهم وتوهم الكاتب بدون بحث ولا تحقيق - لشيوع الجهل إذ

(١) قارن عبارة المسيح هذه بقول القرآن (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) ونحوها كثير فالقرآن أول كتاب نص على أن نواميس الكون لا تتبدل ولا تتغير فهي ليست خاضعة لصلاة فلان، ولا لدعاء علان، ولا لكلمة مخلوق مهما كان، حتى نفس يسوع ابن الإنسان.

ذاك - قدرة الناس على هذه المعجزات لكثرة ادعائهم لها فى تلك الأزمنة بشئ من الشعوذة والحيل أو التأثير العصبى على عامة الناس ليشتبوا صدق النبوات الماضية القائلة بحصولها فى زمن أتباعه^(١) فامتلاؤهم بروح القدس وتكلمهم بالسنة جديدة قال عنه يوثيل (٢: ٢٨ - ٣٠ راجع أيضاً أع : ١٦ : ١٩) وعدم أذية الحيات وغيرها لهم وسلامتهم من كل سوء ذكره أشعياء (١١ : ٨ و ٦٥ : ٢٥) والمزامير (٩١ : ١٣) وغيرهما وشفاؤهم المرضى ذكره أشعياء أيضاً (٢٩ : ١٨ و ٣٥ : ٥ - ١٠) ولما

(١) جاء فى تلمود اليهود أن أتباع عيسى كانوا فى أواخر القرن الأول وأوائل الثانى يشفون المرضى باسم (يسوع) ويرثون لسع الحيات به أيضاً ويقول العهد الجديد إنهم كانوا يخرجون الشياطين باسمه. فهذه الأوهام كانت منتشرة بين الناس فى تلك الأزمنة القديمة حتى كان اليهود أيضاً يخرجونها باسم «سليمان» وإلى الآن نرى بعض عامة المسلمين يدعون الكرامات ويفعلونها باسم مشايخهم كالرفاعى وغيره فيأكلون النار والزجاج والثعابين ويطعنون أنفسهم بالسنان ويحملون الحيات ويخرجونها من مكانها إلى غير ذلك من كراماتهم التى تشبه ما ذكر فى العهد الجديد عن النصارى. ومع أن النصارى كانوا يستعملون اسم (يسوع) لإخراج الشياطين على زعمهم (انظر مثلاً أع ١٦ : ١٨ و ١٩ : ١٣ - ١٧) تراه هو نفسه يعترف بأنه إنما يخرجهم بروح الله (مت ١٢ : ٢٨) وأن كل أعمالهم هى باسم الله (يو ١٠ : ٢٥) وكان اليهود المعاصرون له لشدة جهلهم يقولون إنه يخرجهم ببعلز بول رئيس الشياطين (مت ١٢ : ٢٤) لأنهم كانوا يظنون أن الأمراض التى كان عليه السلام يشفيها هى ناشئة عن الشياطين.

فأمثال هذه الأوهام شائعة بين الناس الجهلة فى كل زمان ومكان وخصوصاً فى الأزمنة القديمة حتى يصدقها بعض الخاصة كيو سيفوس المؤرخ الشهير الذى روى أنه شاهد شخصاً يسمى اليعيزر (Eliezer) اليهودى يخرج الشياطين بالقسم عليها باسم «سليمان» فى حضرة الإمبراطور (فباسبان) (Vespasian) الذى توج سنة ٦٩م وبحضوره أولاده وجيشه، وكان هذا الرجل يضم إناءً مملوءاً بالماء على بعد من المصاب ثم يأمر الشيطان بقلبه بعد خروجه من الإنسان وبذلك كان يظهر - كما يقول يوسيفوس - براعة سليمان وحكمته. وإلى الآن نرى بعض النساء فى مصر حتى المسلمات يزرن صورة مارى جرجس وقبره فى الكنيسة والنصرانيات قد يزرن بعض قبور أولياء المسلمين أيضاً والكل يزعمن أنهم شفين من أمراضهن وأوجاعهن وخرجت عفاريتهن.

كانت أغلب هذه الأمراض عندهم ناشئة عن تأثير الشياطين فلا عجب إذاً إذا جعلهم كتاب الأناجيل قادرين على إخراج الشياطين أيضاً، والحق أن سفر أشعياء هذا هو أعظم مصدر لقصص وعبارات العهد الجديد فجل ما حكوه فيه نجد أن الحامل لهم عليه هو تطبيق عبارات أشعياء على المسيح وعلى أتباعه ولو لم يقدرُوا على عمل شيء من ذلك الآن لإقناع الشاكين منهم في دينهم.

وزيادة هذه العبارات في مرقس (١٦ : ٩ - ٢٠) مسلمة عند كثير من علمائهم حتى من أشد المدافعين عن المسيحية المتعصبين لها كترتون (Turton) مؤلف كتاب «صدق المسيحية» (The Truth of Christianity) ص ٣٨٢ منه. فرغبة كتاب العهد الجديد في تطبيق هذه النبوات القديمة كان أعظم سبب لضلالهم ووقوعهم في الغلط الكثير الذي ملأ أكثر كتبهم. والذي منع النصارى فيما بعد عن إصلاح هذه الغلطات مع كثرة تلاعبهم في كتبهم أمران:

١- اشتهار هذه الغلطات ومعرفة خصومهم لها من قديم الزمان وتعيرهم بها فلا يمكنهم والحالة هذه إصلاحها.

٢- شيوع الجهل بينهم في الأزمنة القديمة، واعتقادهم أن الإيمان بدون بحث ولا تعقل فضيلة، وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها إلى بعض كما هي الآن وقلة المطلعين عليها حيثذ فلم يتبهوا لهذه الغلطات إلا بعد أن وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم في كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات - كما يفعل بعضهم الآن - دليلاً على أمانتهم في النقل، فكم من غلطات غيرها حاولوا إصلاحها أو أصلحوها فعلاً لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيراً كما بينا بالمراجعة والبحث في النسخ الحديثة والقديمة والكتب الأخرى غير المقدسة التاريخية والتفسيرية وغيرها ولولا خوف الفضيحة والعار لأصلحوها كل غلطات كتبهم الآن ليستريحوا من كثرة القيل والقال، ومع ذلك يتجدد لهم فيها كل حين تنقيح وتصحيح، وأخذ ورد، وتسليم ورفض، فلم يستقروا في أمرها على حال إلى الآن.

تلاميذ المسيح المسمون بالرسول^(١) وبولس

هؤلاء التلاميذ هم اثنا عشر رجلاً: ثمانية منهم لم يكتبوا شيئاً كما يقول النصارى وهم أندراوس، ويعقوب، وفيلبس، وبرتولماوس، وتوما^(٢)، وسمعان القانونى، ويعقوب بن حلفى، ويهوذا الإسخريوطى، وهاك خبر الأربعة الباقين:

الحواريون

(١)

يرى بعض علماء اللغات أن كلمة (الحواريين) فى القرآن هى معربة عن الحبشية ومعناها فيها (الرسول) أو (المرسلون) سماهم بذلك القرآن إما بحسب العرف الجارى فى ذلك الزمن بين نصارى العرب كما نسمى الآن دعاة النصرانية (بالمبشرين) وإما لأن المسيح أرسلهم فى حياته لدعوة اليهود إلى المسيحية كما فى الأناجيل (راجع متى ١٠ : ١ - ١٥ ولسوقا ٩ : ١ - ٦ و١٠ : ١ - ١٢) وكذلك كان رسول الله ﷺ يرسل بعض أصحابه إلى بعض الجهات لتعليم الناس الدين والحكم بينهم وغير ذلك كعماد بن جبل الذى أرسله إلى اليمن. وكانوا يسمون أيضاً «رُسُل رسول الله» والحكمة فى اختيار القرآن هذه الكلمة الحبشية دون مرادفها بالعربية هى منع الالتباس لتكون علماً خاصاً بهؤلاء التلاميذ الممتازين من أصحاب عيسى والظاهر من نصوص القرآن أن إيمان بعضهم (على الأقل) لم يكن كما يجب وخصوصاً بعد عيسى وأن الخلاف فى مسائل الدين نشأ منذ عصرهم (راجع قر ٣ : ٥٢ - ٥٤ و ٥ : ٧٧ و١١٢ و١١٧ نفسه ١٩ : ٣٧ و٤٣ : ٦٥ و٦١ : ١٤) فطباعهم كانت كطباع أسلافهم قوم موسى، بل قد نص المسيح على أنه لم يكن عندهم إيمان مطلقاً (مت ١٧ : ٢٠) وقال لبطرس أيضاً (مت ١٤ : ٣١) «يا قليل الإيمان، مع أنه أعظمهم، فما بالك بغيره»!!

(٢) يقال إن توما هذا سافر إلى جزائر الهند الشرقية ومات هناك (قاموس يوست مجلد ١ ص ٢٩٥) ولعله كان فى رحلته هذه مصاحباً للمسيح عليه السلام فى هجرته الهندية التى ذكرناها فى مقالة الصلب وتوما هذا هو التلميذ الوحيد بحسب الأناجيل الحالية (يو ٢٠ : ٢٥) الذى كان عارض التلاميذ فى قولهم بقيامة المسيح، وله إنجيل يونانى ذكر معجزة خلق الطين طيراً وغيرها مما ذكره القرآن ولكن النصارى يرفضون هذا الإنجيل.

بطرس وضعفه

١- بطرس؛

لم يكتب سوى رسالتين وكان ضعيفًا ولذلك أنكر المسيح وقت الصلب من شدة الرعب والجبن وسماه المسيح من قبل ذلك شيطانًا (مت ١٦ : ٢٣ ومر ٨ : ٣٢) وكان يرأى اليهود فى أنطاكية حتى زجره بولس (غلاطية ٢ : ١١ - ١٤) فإذا سلم أنه هو الكاتب للرسالتين المنسوبتين إليه فلا ثقة لنا به وخصوصاً لأن بولس كان يؤثر عليه كثيراً. وأما تسمية المسيح له ببطرس (أى الصخرة) فالظاهر أنها كانت فى أول الأمر عند ابتداء إيمانه كما فى يوحنا (١ : ٤٢) أى قبل أن يحصل منه ما حصل فكان عيسى عليه السلام يحسن به ويغيره الظن كما هو شأن المخلصين الصالحين وكما أحسنه يهوذا حتى وعده بالجنة (مت ١٩ : ٢٨) هذا إذا صح أن المسيح نفسه هو الذى سماه بطرس. وأما قصة بناء الكنيسة عليه وإعطائه مفاتيح الملكوت (مت ١٦ : ١٨ و ١٩) فالأرجح أنها كغيرها من تاريخ بطرس زيادة من رؤساء الكنيسة الأقدمين فى هذا الإنجيل لينوا عليها سلطتهم التى كان منها ما كان مما لا ينسأه تاريخ النصرانية من سفك الدماء وظلم الأبرياء ودعوى القدرة على غفران الذنوب للناس وغير ذلك. ومع كون هذه القصة لا تتفق مع تسميته بعدها مباشرة بالشيطان لم تذكر فى إنجيل آخر غير متى فالظاهر أن المحرفين خافوا الفضيحة فاقترضوا على إضافتها فى الكل وكما هى عادتهم غالباً فى التحريف ليقال «إنهم لم يمساوا الكتب بسوء وإلا لأضافوها فى الجميع» كما يقول بعض مبشريهم الآن. ومع ذلك يوجد فى إنجيل يوحنا (٢٠ : ٢٣) عبارة تشبهها إلا أنها ليست خاصة ببطرس وقصتها غير هذه القصة وزمنها متأخر عنها لأنها قبلت بعد قيامة المسيح، ولا يبعد أنها أيضاً من زيادتهم المتنوعة فى الأناجيل المختلفة باختلاف عقول المحرفين ومعلوماتهم.

متمى

٢- متمى؛

روى أنه جمع بعض أقوال المسيح بالعبرية وما جمعه مفقود الآن كما سبق.

لباوس

٣- لباوس؛

المسمى يهوذا كتب رسالة واحدة ليس فيها شئ يذكر من عقائدهم وفيها يستشهد بكتب غير قانونية عندهم (أبو كريفية) (عدد ٩ و ١٤). ومن مضحكات براهين النصرى أنهم إذا وجدوا فى بعض الكتب القديمة قولاً من أقوال المسيح يشبه ما فى أناجيلهم الحالية زعموا أن المؤلف اقتبسه من أناجيلهم واتخذوا ذلك دليلاً على وجود هذه الأناجيل فى زمن المؤلف وعلى صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم، ولا أدرى لماذا إذا رفضوا كتاب (أخنوخ) وقالوا إنه موضوع مكذوب مع أن يهوذا (وهو موحى إليه عندهم) قد ذكره فى رسالته هذه واستشهد به ونص على أن أخنوخ هو القائل للعبارة التى استشهد بها فلماذا إذاً خالفوا طريقتهم فى الاستدلال على صحة هذا الكتاب!!؟

يوحنا . الشك فى كتبه ونحريتها

٤- يوحنا وانجيله؛

مشكوك فيه كما بينا وقد زادوا فى إحدى رسائله أصرح عبارة عندهم فى عقيدة التثليث (١ يو ٥ : ٧) فإذا سلمنا صحة نسبة هذه الكتب إلى يوحنا فكيف نأمن أن يكونوا حرفوها كما حرفوا هذه العبارة؟ ومن أين لنا صدق هذا الرجل وعصمته من الخطأ وما الدليل على أنه موحى إليه؟ فضلاً عن ذلك فهو لم ينص

- فيما قالوا إنه كتبه - على الألوهية الحقيقية للمسيح كما بيناه ولو سلم أنه دعا الناس إليها لاستحق القتل بنص التوراة (تث ٣ : ٥) ولو كان مؤيداً بالمعجزات فما بالك وهو لم تثبت له واحدة باليقين.

ومما تقدم تعلم أن الرسل لم يكتبوا شيئاً هاماً عن تاريخ المسيح وتعاليمه!! فهل كتبوا شيئاً غير ذلك لم يصل إلينا؟ لا ندرى. ولماذا تعرض للكتابة سواهم من تلاميذ بولس ومريديه؟ حتى إنك لترى أن جل العهد الجديد ليس من عمل تلاميذ المسيح بل هو عمل بولس ومريديه!!

بولس

وإذا تذكرنا مشاجرة بولس مع برنابا (أع ١٥ : ٣٩) مع أنه هو الذى قدمه للرسل وجعلهم يثقون به (أع ٩ : ٢٧) وعدم وصول شئ لنا من برنابا تثق به النصرارى الآن مع أنه كان شريك بولس والمخصص معه لدعوة الأمم غير اليهودية إلى المسيحية (غل ٢ : ٩) ووصول جميع كتابات بولس وذيوله^(١) (تلاميذه) إلينا وانتهار بولس لبطرس فى أنطاكية وكلام بولس القارص وتعامله وبغضه لأكثر تلاميذ المسيح كما هو صريح عباراته فى رسالته إلى أهل غلاطية (أصحاح ١ و ٢) وتهكمه بهم وترفعه بهم وترفعه عنهم (غل ٢ : ٦ و ٢ كو ١١ : ٥ و ٦ و ٢٣).

(١) حاشية: لاحظ أن هذا الكلام وما يأتى مبنى على فرض صحة نسبة هذه الكتب إلى من نسبت إليهم كما فرضنا ذلك فى مقالة الصلب. ولكن بعض علماء النقد فى أوروبا يرى الآن أن جل هذه الكتب أو كلها منسوب إلى هؤلاء الناس كذباً كصاحب الكتاب «مصادر النصرانية» المستر توماس ويتاكر وغيره من محققى الأفرنج عديدون.

إذا تذكرنا كل ذلك تبين لنا كيف كان هذا الرجل مستبدًا فيهم مسلطًا عليهم غير ميال إليهم مستأثرًا بهذا مع أنه لم ير المسيح ولم يعرفه ولا آمن به في عهده بل كان عدوًا له ولمن اتبعه طول حياته. ثم إنه كان يناقض نفسه بنفسه في قصته كما في سفر الأعمال حينما سمع صوت يسوع ورآه كما يزعم (راجع أع ٩: ٦ - ٨ و٢٢: ٩ و٢٦: ١٣ - ١٨) وكذلك يناقض برسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي سفر الأعمال (قارن أع ١٧: ١٤ - ١٦ و١٨: ٥ مع ١ تسالونيكي ٣: ١ - ٢) وأيضًا فإن عباراته في غلاطية (١ و ٢) تناقض أخباره الواردة في سفر الأعمال المذكور بينه (رينان) بالتفصيل في كتابه عن الرسل (صفحة ٢١ و ٢٢ منه) وذلك لتقلب هذا الرجل وتلونه فهو كما يقول عن نفسه يهودى لليهود (انظر أع ٢١: ١٨ - ٢٦ و١٦: ١ - ٣) ونصرانى للنصارى ووثنى للوثنيين (انظر ١ كو ٩: ١٩ - ٢٣) ليربح الجميع لمذهبه وتعاليمه التى يسميها الإنجيل.

والظاهر من رسائله أنه كان له إنجيل مخصوص يدعو الناس إليه ويزعم أن الله سيدين سرائرهم يوم القيامة بحسب هذا الإنجيل (رو ٢: ١٦ و ١٦: ٢٥ و ٢: ٢: ٨) ولا ندري ما هو هذا الإنجيل؟ وأين ذهب؟ وقال إنه كان غير إنجيل تلاميذ المسيح المسمى بإنجيل الختان (غل ٢: ٧) - أى أن تعاليمه كانت خلاف تعاليم موسى وعيسى - وأنه وحده أوتمن على هذا الإنجيل (١ تي ١: ١١) فهو فى الحقيقة الكل فى الكل وجميع العهد الجديد هو مؤلفه إما بنفسه أو بيد تلاميذه وشيعته كمرقس ولوقا إلا القليل جدًا منه وقد قضى على كل عمل لغيره تقريبًا من أعمال التلاميذ الأخر إلا اللذين وافقاه على آرائه وشايعاه فى سفر الرؤيا ولم يجاهر بذلك خوفًا من أتباعه الكثيرين من الأمم (رؤ ٢: ٢ و ٩ و ١٤ و ٣: ٩) هذا إذا صح أن يوحنا هو الكاتب لسفر الرؤيا. وأما الذين تجاهروا بمخالفته من الحواريين فكان

يمقتهم ويدعى أنهم يريدون تحريف الإنجيل (غل ١ : ٧) وأنهم دخلاء فى المسيحية (غل ٢ : ٤) مع أنه هو الدخيل فيهم (١).

ومن شدة تأثيره فى الناس فى ذلك الوقت ولعبه بعقولهم أنه لما تشاجر مع برنابا وانفصل عنه مرقس (اع ١٥ : ٣٩) نبه على الكنائس بعدم قبول مرقس إذا جاءهم واعظًا ولما صالحه أرسل إليهم بقبوله، فكانوا طوع أمره دون غيره من الرسل، ومما

أقوال الأيونى فى بولس

(١)

قال الأيونيون (أى الفقراء) وجمهورهم عبرانيون وكانوا هم النصراني الحقيقيين فى القرن الأول والثانى (كما قال رينان غيره) قالوا: - إن بولس هذا لم يكن يهوديًا وكذبوه فى هذه الدعوى التى ادعاها عند من لم يعرفه فى رسائله لهم وقالوا إنه دخل فى اليهودية لكى يتزوج بنت رئيس الكهنة واختن فلما أبى رئيس الكهنة أن يزوجه ابته دخل فى المسيحية وادعى أنه رسول المسيح إلى النصراني فلم يحب أن يرى فى النصرانية أثرًا من آثار الديانة الموسوية ولذلك سعى جهده فى إخراج المسيحيين عن التاموس وحنق على كل من قاومه (راجع رسالته إلى أهل غلاطية) وأبطل جميع شرائع موسى وتبعته الأمم الداخلون حديثًا فى المسيحية فى ذلك لأن ذلك كان أسهل بكثير من عبء التاموس (انظر كتاب دين الخوارق صفحة ٧٨) وبقي تلاميذ المسيح والنصارى الأولون محافظين على تعاليم موسى وعيسى ولذلك قال يوحنا فى رؤياه ٢ : ٢ (وقد جربت القائلين أنهم يهود رسل وليسوا رسلاً فوجدتهم كاذبين ٩ وتجديف القائلين أنهم يهود وليسوا يهودًا بل هم مجمع الشيطان ١٤ إن عندك هناك أقوامًا متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معشرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا) والمراد بالزنا هنا عدم مراعاة البولسيين أحكام الشريعة الموسوية فى مسائلهم الزوجية وعدم اعتدادهم بها. والظاهر أيضًا أن كانت رسالة يعقوب كان من اليهود المنتصرين أو بعبارة أخرى كان من هؤلاء الأيونيين ولذلك خالف فى رسالته هذه (ص ٢) بولس فى دعواه الخلاص بالإيمان وحده (انظر مثلاً رومية ص ٣ و ٤ و غلاطية ٢ : ١٦ و ٢١ و ٣ : ٢ - ٢٩) وبين صاحب رسالة يعقوب أن العمل الصالح لا بد منه مع الإيمان (انظر ٢ : ١٤ - ٢٦) ولم يذكر فى هذه الرسالة شئ من عقائد النصرانية المعروفة وكون هذا الكاتب من الأيونيين (الفقراء) يظهر من عدة مواضع من رسالته هذه (مثل ١ : ١٠ و ١١ و ٢ : ٢ - ٧ و ٥ : ١ - ٦) والراجع أن الكنيسة لم تقبلها - كسفر الرؤيا - إلا بعد بولس بمدة وربما كان قبولها لرغبتهم فى ضم أصحابها إليهم.

يدل على ذلك قوله في رسالته إلى أهل كولوسى ٤ : ١٠ (ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا. إن أتى إليكم فاقبلوه) ولولا هذه العبارة لما قبل مرقس أحد وربما ما كان يبقى الإنجيل المسمى باسمه إلى اليوم كما حصل لتلاميذ المسيح الذين أطفأ ذكرهم ولم يقف أحد لهم على أثر أو خبر وخصوصاً المحافظين منهم على تعاليم موسى وعيسى وهم الذين كانوا قدوة لبعض الفرق القديمة كالأيونيين والناصريين وغيرهم ولذلك ذم ذمًا شنيعًا فى الخطب المنسوبة إلى أكليمنس الرومانى .

مبالات بولس فى رؤية المسيح

ومما انفرد به عن سائر الناس قوله (١ كو ١٥ : ٦) فى قيامة المسيح من الموت (وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من ٥٠٠ أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا) ولا ندرى ولا غيرنا يدرى من أين له هذا الخبر، خبر ظهوره لخمسمائة شخص ومتى وكيف كان ذلك ومن هم وأين ظهر لهم المسيح؟ وهل رأوا شخصه أو رأوا نورًا وبرقًا فظنوه المسيح كما ظنه بولس (قارن أع ٩ : ٣ و ٤ و ٧ و ٢٢ : ٩ مع ١ كو ١٥ : ٨) وما دام بولس لم يعين أسماء هؤلاء الأشخاص الخمسمائة أو بعضهم فما فائدة قوله «أكثرهم باق إلى الآن» فمن من الناس إذ ذاك يمكنه أن يكذبه وهو لم يذكر اسم أحد معين؟ وكيف يتيسر لأهل كورنثوس أن يسألوهم وهم بعيدون عنهم ولا يعرفونهم على التعيين؟ وإذا سألوا بعض المسيحيين عن ذلك الوقت فهل نضمن أن لا يحملهم حب تأييد دينهم والرغبة فى الظهور والتشرف بهذه الرؤية والإغراب فى القول على الإخبار بما لم يبصروه أو تقرير ما لم يوقنوا به؟

وإذا تذكرنا كثرة الكذب الآن فى نقل أخبار البلاد القريبة منا والبعيدة عنا مع

توفر جميع الوسائل عندنا لنقلها إلينا (كالجرائد وغيرها) ومع سهولة المواصلات وسرعة نقل الأخبار بطرق مدهشة خارقة لعادة تلك الأزمان وارتقاء الناس في العلم والعقل - إذا تذكرنا كل ذلك أدركنا كيف تكون حالة الإخبار في ذلك الزمان ومبلغها من الصدق وخصوصاً أخبار مثل تلك الغرائب والعجائب.

وهل يبعد على أهل تلك الأزمنة أن يكونوا هم الذين افتجروا هذه العبارة ونسبوها إلى بولس بعد زمنه كما هي عادتهم وإلا إذا كان هذا الخبر صحيحاً فكيف تركته جميع الأنجيل مع أنه من الأهمية بمكان عظيم كما لا يخفى؟ وإذا كان هذا الجرم الغفير كله رأى المسيح فكيف لم يرو هذا الخبر أحد منهم مطلقاً في الأنجيل أو في الرسائل أو غيرها وبقي سرّاً مكتوماً بينهم حتى أفشته رسالة بولس هذه؟ وإن كان هذا الخبر وصل إلى بولس بالوحي فلم لم يوح به إلى غيره ليدونه؟ وما هذا الوحي الذي يكثرون من ادعائه لكل نصراني في القرن الأول؟ وإذا كانت روح القدس توهب لكل شخص من المؤمنين (أع ٨: ١٤ - ٢٠ و ١٩: ١ - ٧) بمجرد وضع اليد عليه فما حاجة الناس إذا لهؤلاء الرسل الكثيرين وكتاباتهم ورسائل بولس وغيره الطويلة العريضة إذا كانوا كلهم أنبياء ممتلئين من روح الله؟ وإذا صح قول النصراني في نبوة دانيال (٩: ٢٤) أنها في حق المسيح فلماذا لم تختم الرؤيا والنبوة به كما قال دانيال فيها؟ وكيف يكون جميع تلاميذ المسيح أنبياء بعده ملهمين من الله؟ وما معنى قول سفر الأعمال نقلاً عن يوثيل ٢: ١٧ (يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيستبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى (جمع رؤيا) ويحلم شيوخكم أحلاماً ١٨ وعلى عبیدی أيضاً وإمائی أسكب من روحي في تلك الأيام فيتباون).

وهو ينافي ختم الرؤيا والنبوة بالمسيح!! وكيف رأى يوحنا رؤياه المشهورة؟ وكيف صار بولس نبياً موحى إليه من الله بعد المسيح يحل ما يحل؟ فهل نسي

صاحب كتاب الأعمال نبوة دانيال أم هذه النبوة في اعتقاده ليست في حق المسيح؟ ففى حق من إذا؟^(١) وكيف أثرت الأنبياء إلى هذه الدرجة بعد المسيح كما فى كتاب الأعمال حتى كان منهم أغابوس وغيره (أنظر أع ١١ : ٢٧ - ٣٠ و ١٣ : ١ - ٣ و ٢١ : ١٠ - ١٢) الخ الخ. فلولا عبارة يوثيل السابقة (٢ : ٢٨ - ٣١) فى انسكاب روح الله على «كل بشر» وكثرة تنبؤ الناس فى آخر الزمان لما جعل كاتب سفر الأعمال جميع النصرارى الأولين أنبياء، ولما صاغ كل هذه القصص فى نزول روح القدس عليهم وتبئهم، فهو فى هذه المسألة أيضاً لم يخرج عما ألفوه من عادة اختراع الحكايات لتطبيق النبوات عليهم.

فهل مثل هذه الكتب يصح أن تعتبر تاريخية يؤخذ بما فيها ويعول عليها وهى كما بينا مراراً لم تخل فى كل ما كتب فيها من الأهواء والأغراض؟ ولماذا لا تنزل عليهم روح القدس الآن؟ وأين ذهب معجزاتهم وآياتهم العديدة وقد امتلأت أوروبا وغيرها بالملحدين والمشككين وجماعة العقلين (Rationalists) وغيرهم؟ ولماذا لا تقدر النصرارى على عمل الآيات والعجائب الآن كما وعدهم المسيح على زعمهم بقوله (مثلاً مر ١٦ : ١٧ وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بالستة جديدة ١٨ يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون) وما وجه تخصيصهم الآن هذه العبارات ونحوها (كما فى يو ١٤ : ١٢) بالحوارين وهى عامة فى جميع المؤمنين كما هو ظاهر منها؟ أليس لأنها لم تتحقق؟؟

(١) راجع «كتاب دين الله» ص ١٥ - ٢٨ لتعرف الجواب عن هذا السؤال.

ظهور المسيح

وهناك مسألة أخرى تبطل أيضًا دعوى بولس السابقة وهي ظهور المسيح لخمسمائة شخص وإليك بيانها:

جاء في كتاب (صدق المسيحية) (The Truth of Christianity) في صفحة ٣٨٥ منه ما مؤداه (أن ظهور المسيح لهؤلاء الخمسمائة كان في الجليل لأنه لم يكن في أورشليم قدر هذا العدد من التلاميذ كما يفهم من كتاب الأعمال ١ : ١٥) اهـ.

وهذا الرأي هو المعول عليه عند جميع علماء المسيحية وهو مبني على قول متى (٢٨ : ١٠) أن المسيح أرسل إلى تلاميذه أمرًا بالذهاب إلى الجليل لكي يروه هناك (راجع أيضًا مرقس ١٧ : ٧) ولكن متى نفسه ذكر أن الذين ذهبوا هم الأحد عشر تلميذًا (٢٨ : ١٦) وأن بعضهم شكوا حينما رأوه (عدد ١٧) والظاهر من ذلك أنهم رأوه على بعد في الأفق ولذلك خرجوا إلى الجبل ليرتقبوا ظهوره هناك. فلم يقل متى ولا غيره إنهم كانوا خمسمائة. ومع ذلك فرواية الظهور في الجليل هذه متقوضة بقول لوقا إن المسيح في مساء اليوم الذي قام فيه قابل تلاميذه وقال لهم «أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلى» (لو ٢٤ : ١ و ١٣ و ٢٩ و ٣٣ و ٣٦ و ٤٤ - ٤٩) ثم صعد إلى السماء ورجعوا هم إلى أورشليم (عدد ٥١ و ٥٢) وبقطع النظر عن مناقضة لوقا نفسه بما كتبه في سفر الأعمال حيث جعل الصعود بعد أربعين يومًا من أورشليم (أع ١ : ٣ و ٩) إلا أنه قال إن المسيح أوصاهم أيضًا في آخر يوم أن لا يبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم روح القدس (عدد ٤ و ٨).

فيستفاد من ذلك أن المسيح من أول يوم إلى آخر يوم «أوصى تلاميذه بعدم مبارحة أورشليم إلا بعد حلول روح القدس عليهم» وهذه الروح لم تحل عليهم إلا يوم الخمسين أي بعد صعود بنحو عشرة أيام (أع ٢ : ١ - ٤) وعليه فهم لم يبرحوا

أورشليم إلا بعد الصعود فكيف إذا قال متى إن المسيح أمرهم بمبارحتها إلى الجليل وأنهم هناك رأوه؟ وكيف يمكن رفع هذا التناقض البين من بينهما؟ اللهم إلا بالتكلف البارد والتعسف الذى لا مزيد عليه!! وإن كان ظهر لهم فى أورشليم فالتلاميذ الذين كانوا فيها وأمروا أن لا يبرحوها من أول يوم إلى آخر يوم كانوا نحو (١٢٠ شخصاً) بنص كتاب الأعمال (١ : ١٥).

وإن قيل لعلمهم كانوا ٥٠٠ نسمة ولما ظهر لهم المسيح سافر أكثرهم وبقي الأقلون. قلت: وهل يعقل أن تلاميذه هؤلاء الذين رأوه بأعينهم بعد قيامته من الموت يكونون أول العاصين له المخالفين لأوامره حتى أنهم تركوا أورشليم بعد أن شدد عليهم ووصاهم مرتين على الأقل بعدم مبارحتها؟ وإن كانوا مطيعين له ولا مبالين بأمره ونهيه بعد كل هذه المعجزات فمن يثق بهم؟ أو يصدق ما يقررونه؟

هذا إذا كانوا شهدوا بأنهم رأوه فما بالك إذا كنا لم نسمع من أى واحد منهم أنه شهد بأن (٥٠٠) شخص رأوا المسيح حقيقة بل لم نسمع من أحد من تلاميذ المسيح ولا من غيرهم (ما خلا بولس) أن المسيح ظهر لكل هذا العدد من الناس الذين لم يعرفهم أحد قط!!

فإن قيل لعل للمسيح ظهر لهم فى الجليل بدون علم أحد من التلاميذ الأحد عشر؟ قلت: ومن ذا الذى جمع كل هذا العدد من الناس فى ذلك المكان وعينه لهم وأخبرهم بأن المسيح سيظهر فيه وبوقت الظهور مع ملاحظة أن مثل هؤلاء الناس لا بد أن يكونوا من الذين يتسوا منه وتركوه بعد حادثة الصلب ورجعوا إلى بلادهم شاكين فيه حائرين، فكيف إذا اجتمعوا فى ذلك الوقت والمكان المعين؟ ولم لم يرو عن أحد منهم خبر هذه الرؤية؟ ولم فعلها المسيح بدون علم أعظم تلاميذه؟ ولم لم يخبر بها الرسل حين ظهوره لهم؟ ولم لم يخبرهم روح القدس بها بعد نزوله عليهم ليدونوها فى الأناجيل؟ وكيف يقول متى (٢٨ : ١٦) إن الذين ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك كانوا هم الأحد عشر رسولاً ولم يشر إلى غيرهم بل

نص على أن بعض هؤلاء أيضاً شك فى أن الذى رأوه هل هو المسيح أم لا؟ فكل هذه الأسباب تحملنا قطعاً على رد زعم بولس هذا وعدم الاعتداد به مطلقاً.

تناقض الأناجيل

ومن تناقض كتبهم أيضاً فى هذه المسألة غير ما تقدم قول يوحنا (٢٠: ٢٢ و٢٣) أن المسيح وهبهم روح القدس فى مساء اليوم الذى قام فيه (عدد ١٩) مع قول لوقا إنها لم تنزل عليهم إلا يوم الخميس (أع ١: ٤ و٥ و٢: ١ - ٤ ولو ٢٤: ٤٩).

ومن التناقض العجيب أن المسيح يطلب ليلاً من تلاميذه بعد قيامته أن يجسوه كما فى لوقا (٢٤: ٣٩) مع أن يوحنا يقول إنه منع فى الصباح مريم المجدلية من لمسها بعلته أنه لم يصعد بعد إلى أبيه وإلهه (يو ٢٠: ١٧) وفى إنجيل متى (٩: ١٠ و٢٨) يقول إنها هى ومريم الأخرى أمسكتا بقدميه وسجدتا فلم يمنعها المسيح من ذلك بخلاف ما يقول يوحنا بل قال لهما «لا تخافا» .

وجاء فى لوقا (٢٤: ٣٣) أن الأحد عشر تلميذا كانوا مجتمعين فى مساء يوم قيامة المسيح فظهر لهم ووقف فى وسطهم (عدد ٣٦) وفى يوحنا (٢٠: ٢٤) أن توما أحدهم لم يكن موجوداً فى هذا الاجتماع حينما جاء المسيح فلم يكونوا إذاً إلا عشرة لا أحد عشر كما قال لوقا.

فانظر إلى مقدار تناقضهم فى كل شئ حتى فى أبسط المسائل لأنهم أخذوا ما كتبوه عن الإشاعات المتضاربة والروايات المتناقضة ولم يميزوا بين صحيحها من باطلها فهل مثل هذه الكتب يصح أن يعول عليها؟ وهى كالثوب الخلق كلما رقعته من مكان اتسع الخرق عليك أو ظهر لك غيره حتى أصبحت بالية لا تصلح لشيء.

مبالغات أخرى

ومن كثرة مبالغة بولس وإغراقه قوله أيضاً ١ كو ١٥ : ٥ (وإنه ظهر لصفا (بطرس) ثم للاثني عشر . . . ٧. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين) مع أن يهوذا أحدهم كان قد مات في ذلك الوقت ولم تكن الرسل إلا أحد عشر فقط ولذلك قال مرقس ١٦ : ١٤ (أخيراً ظهر للأحد عشر) ولكن رغبة بولس في تكثير عدد الذين رأوا هذه القيامة المزعومة أنسته موت يهوذا فقال ما قال .

أما بطرس فلم يرو عنه في إنجيل من الأناجيل أنه قال إنه رآه أولاً وحده غير أن لوقا (٢٤ : ٣٤) قال في إنجيله إن اثنين من التلاميذ مجهولين يسمى أحدهما كليوباس قالوا (إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان) «بطرس» وصريح القصة أن هذه إشاعة نقلها ولا ندرى عمن رواها وكيف سكتت الأناجيل عن رواية هذه الرؤية الأولى لبطرس حتى نفس إنجيل لوقا الذي روى قصة كليوباس هذه.

رؤية المسيح والأناجيل

أما ظهور المسيح للأحد عشر فلا برهان عليه إلا رواية هذه الأناجيل الأربعة التي أظهرنا لك قيمتها وقيمتها سندها على أنها لم تذكر ذلك رواية عن كل فرد منهم وقد تضارب الإنجيلان المنسوبان إلى التلاميذ (متى ويوحنا) في أمر هذه الرؤية، ففي إنجيل متى أن ملكا قال للمراتين ٢٨ : ٧ (اذهبا سريعا وقولا لتلاميذه إنه قام من الأموات . هاهو يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه - ١٦ فانطلق التلاميذ إلى الجليل ١٧ ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا) وليس في إنجيل متى رؤية

أخرى غير هذه وهى التى شك فيها بعضهم ^(١) . أما إنجيل يوحنا فإنه يذكر أنهم

(١) إنجيل متى هو عند النصارى أقدم أناجيلهم الأربعة وليس فيه غير هذا الخبر عن رؤية المسيح بعد الموت كما قلنا فى المتن .

أما إنجيل مرقس فلم يذكر فيه أى خبر عن ظهور المسيح بالفعل لتلاميذه ورؤيتهم له بعد قيامته ، وما فيه من ذلك (١٦ : ٩ - ٢٠) إنما هو كما قلنا - باعتراف علمائهم الآن - زيادة الحقةا به رجل مجهول فى بعض القرون الأولى ، فهى لا قيمة لها بالمرّة من الوجهة التاريخية . ومن زاد هذه لا يبعد عليه أن يزيد غيرها فى الأناجيل الأخرى كعبارة متى المتقدمة .

وأما إنجيل لوقا ويوحنا: فهما متأخران وما فيهما فى هذه المسألة إنما هى أقاصيص راجت بين النصارى فى القرون الأولى ، وهى لا شك مختلفة بدليل أنها لو كانت موجودة فى زمن الكاتب للإنجيل الأول أو الثانى لما تركاها بالمرّة مع أنها فى غاية الأهمية عند النصارى بل لا يوجد عندهم أهم ولا أعظم منها لإثبات دعواهم قيامة المسيح من الموت على ما فيها من التناقض والتضارب الذى يبناء مرارا نحن وغيرنا من علماء الإفرنج المحققين فليس عندنا إذا سوى رواية واحدة قديمة تستحق أن يُنظر فيها بشئ من العناية وهى رواية إنجيل متى .

متى ورؤية المسيح

إن كانت هذه الرواية ليست مما أضافوه إلى الأناجيل وصادقة فالذى يفهم منها أن ظهور المسيح لم يكن جليبا ولا واضحا ، ولذلك لم تقتنع به نفس تلاميذه ، فيجوز أن الذى رآه كان برقاً أو خيالاً فى الأفق كالذى ينشأ مثلاً عن انكسار أشعة النور فى طبقات الهواء كما هو معلوم فى العلوم الطبيعية أو كان شخصاً بعيداً يشبهه سائراً فى تلك الجبال لم يسهل عليهم الوصول إليه أو وصلوا إلى مكانه وكان الرجل قد غاب عن أعينهم فلم يعثروا عليه ؛ ولذا لم يتحققوا إن كان هو المسيح أو غيره ولذلك أظهر بعضهم شكه فيه . ومن العجيب أن متى مع ذكره ذلك وحده لم يبين لنا صريحا إن كان التلاميذ الشاكون زال عنهم هذا الشك حينما قرب منهم كما قال الشخص الذى نظروه على بعد أم بقوا شاكين بعد ذلك طول حياتهم مصرين على عدم التصديق؟ وإن كانوا اقتنعوا فبماذا اقتنعوا؟ وهل قرب منهم لدرجة تزيل الشك عنهم فيه أم لا؟ وكيف فارقههم وأين ذهب؟ وهل مدة مكثه معهم كانت طويلة أم قصيرة؟ وما كان موقفه بالنسبة إليهم؟ وهل كان واقفاً على الأرض أم معلقاً فى الهواء؟ وهل أمره لهم بتعميد جميع الأمم (٢٨: ١٩) سمعه جميع الحضور أم بعضهم فقط؟ وهل تكلموا معه فى غير هذه المسألة؟ وماذا كان موضوع كلامهم الآخر؟ وهل كان صوته عين صوت المسيح الذى يعرفونه والفاظه مفهومة أو مبهمه؟ وهل بقوا ساجدين إلى =

رأوه فى أورشليم قبل الذهاب إلى الجليل مرتين وفى المرة الأولى منحهم الروح القدس (يو ٢٠: ٢٢) وفى الثانية أقنع توما الذى لم يره فى المرة الأولى وكان شاكاً فيه وأراه يديه وجنبه حتى صدق كباقي التلاميذ (يو ٢٠: ٢٠ و ٢٧) ولا ندرى لماذا لم يذكر متى كل ذلك؟ وإذا كان التلاميذ رأوه فى أورشليم المرة بعد المرة كما قال

= أن فارقهم أم رفعوا أعينهم إليه حينما اقترب وتأملوا فيه؟ وهل سجد الشاكون معهم أم لا؟ إلى غير ذلك من المسائل التى كان يجب على الكاتب تفصيلها حتى لا تبقى النفوس متعطشة للوقوف على الحقيقة، شاكة حائرة فى أعظم عقائد دينهم.

فالظاهر أن الكاتب تجنب مثل هذه التفاصيل لأنه كان قريب العهد بتابعى الحوارين وربما أنه خاف أن يكذبه أحد فهو لم يكن عنده من المهارة والجرأة والمعرفة بطباع الناس ما عند غيره، وأما الأناجيل الأخرى فلم تخش أحداً لأن زمنها أبعد عن الوقت الذى قيل إن هذه الحوادث حدثت فيه ولمعرفة كاتبها بطباع أهل زمنهم أكثر من غيرهم فقالت ما قالت.

فيرى من ذلك أن أقدم رواية عندهم يحوم حولها شئ كثير من الشك، هذا إذا سلم أنها صحيحة صادقة. وأما إذا كانت مخترعة فقول الكاتب فيها (مت ٢٨: ١٧) «ولكن بعضهم شكوا» يريد به - كعادة المزورين الخداعين - أن يظهر للناس أنه فيما قصه عليهم خالٍ من كل غرض ويقول الحق ولو على نفسه. فهى طريقة من طرق حسن السبك معتادة بين القصاصين الأفاكين لأحكام تليفهم وإن كان كاتبنا هذا قد فاتته بعض أشياء لازمة لإتمام حسن السبك لبساطته وجهله.

وأيضاً فإنه يريد أن يظهر أن التلاميذ لم يكونوا سريعي التصديق ولا ميالين لاعتقاد هذه المسائل بسهولة بل كانوا مدققين نقادين حتى لم يبالوا بالشك فى هذه المسألة، ولا بإظهار شكهم لإخوانهم الذين يريد الكاتب أن يصورهم بأنهم كانوا أحرار سمحاء فى معتقدهم يتحملون خصومهم بكل أناة وعقل ويقنعونهم بالحسنى والدليل فمن اقتنع منهم بشئ فهو لم يقتنع به - كما يريد الكاتب أن يقول - إلا بعد التثبت والتحقق منه بالبحث والفحص فهذه القصة هى كقصة شك توما واقتناعه بعد ذلك المذكورة فى إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٤ - ٢٩. فإن المراد بهما فى الحقيقة المغالاة فى بيان تدقيق التلاميذ بطريقة خفية وحيلة تافهة معتادة لا تدخل إلا على البسطاء المغفلين، ولذلك ترى المبشرين الآن وفى كل زمان يتخذون مثل هذه العبارات دليلاً على أن كتبه الأناجيل كانوا مؤرخين صادقين لأنهم ذكروا هذه المسائل التى تدل على شك الحوارين وهى - كما يتوهم هؤلاء الناس أو يزعمون - لا تصدر إلا من المجردين عز الأغراض والأهواء الصادقين من المؤرخين!!

سفر الأعمال (١: ٣) حتى اقتنعوا وزال عنهم كل شك وأعطوا الروح القدس فى أول يوم كما قال يوحنا أى صاروا أنبياء ملهمين فكيف بعد ذلك شكوا فيه لما رأوه فى الجليل على ما قال متى (١٧: ٢٨) الذى يفهم منه أنها كانت أول رؤية لهم ولذلك شك بعضهم فيها!! وإذا كان المسيح هو الذى وهبهم روح القدس بنفسه قبل أن يفارقهم فما معنى قول إنجيل لوقا ٤٩: ٢٤ وقول سفر الأعمال إن المسيح أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى تحمل عليهم وأنها حلت عليهم بعد صعوده يوم الخمسين كما هو صريح الأصحاح الأول والثانى من كتاب الأعمال كما سبق بيانه؟

وإذا صح تفسيرهم لعبارة البارقليط التى فى إنجيل يوحنا وأن المراد بها روح القدس هذه كما يزعمون فما معنى قول المسيح ٧: ١٦ (لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى (البارقليط) ولكن إن ذهبت أرسله إليكم) فإذا كانت روح القدس لا تنزل عليهم إلا إذا انطلق ولا يرسلها إليهم إلا بعد ذهابه فكيف إذا أرسلها إليهم قبل صعوده كما قال نفس إنجيل يوحنا (٢٢: ٢٠) ألا يدل ذلك على صحة قولنا فى كتاب (دين الله) ص ١١٨ - ١٢٠ أن البارقليط هو غير روح القدس^(١) وأن المراد به محمد ﷺ كما بيناه هناك؟ ولماذا

(١) انتصار النصارى للبارقليط فى القرون الأولى

كان أقدم فرق النصارى يعتقدون أن المراد بالبارقليط شخص يظهر بعد عيسى لا روح القدس (الاقنوم الإلهى عندهم) ومن هذه الفرق القائلة بذلك الغنوسيون Gnostics ومنهم الماركسيونيون أتباع ماركسيون Marcion من أهل القرن الثانى الذين ادعى بعضهم أن المراد بالبارقليط (بولس) راجع كتاب «مصادر النصرانية» لتوماس ويتاكر صفحة ١٤٤ وفى نحو سنة ١٥٦ ميلادية ادعى مونتانوس Montanus النبوة فى فريجيا Phrygia - قسم من آسيا الصغرى - وقال إنه هو البارقليط وصدقه فى ذلك أناس كثيرون من النصارى وغيرهم إلى القرن الرابع وفى أيام (مانى) Mani كان النصارى ينتظرون مجئ البارقليط لذا ادعى هذا الرجل أنه هو، وكان ذلك فى سنة ٢١٥ - ٢٧٦. راجع قاموس تشمبرس Chambers وكتاب =

كان انطلاق المسيح ونزول الروح خيرا للتلاميذ من بقاء عيسى بينهم مع أنه لو بقي
 لأمكنه أن يعلمهم كل شيء علمه لهم روح القدس على حد سواء إذ كل منهما
 أقنوم إلهي يعلم كل شيء كما يدعون؟ أليس في ذلك تصريح بأن الرسول الآتي
 سيكون خيرا للناس من المسيح وأنه أفضل منه؟ ولذلك كانوا يرغبون فيه أكثر من
 رغبتهم في المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من هذه العبارة. ولنرجع إلى ما كنا
 فيه:

أما قول بولس ١ كو ١٥: ٧ (وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين) فلا
 يوجد أيضا في إنجيل من الأناجيل أنه ظهر ليعقوب هذا فلا ندرى من أين أتى
 بذلك بولس! وإذا كان حقيقيا فلماذا تركته الأناجيل ولماذا لم يروه متى ولا يوحنا
 التلميذان ولا لوقا المدقق الذي تتبع كل شيء قبل كتابة إنجيله (١: ٣)؟

= «المسحاء الوثنيين» لروبرتسن Robertson صفحة ٢٦٨ و٢٧٤ وكتاب «ملخص تاريخ الدين
 مجلد ٣ ص ٢٣٦».

وقد بين صاحب كتاب «إظهار الحق» أيضا أن النصارى كانوا في زمن النبي ﷺ يتظنون تحقق
 بشارة عيسى هذه بنبي يظهر بعده فدعوى النصارى الآن أن المراد بها روح القدس وأنها منذ
 القدم فهمها الناس بهذا المعنى هي دعوى كاذبة وإنما اتفق عليها النصارى بعد محمد ﷺ
 الذي تحققت بيعته هذه النبوة فرارا من الإيمان به عنادا وحسدا «راجع أيضا كتاب «دين
 الله» ص ١١٨ - ١٢٠ ويؤيد ذلك أيضا أن إنجيل يوحنا صرح أن أهل الكتاب كانوا في
 زمن عيسى عليه السلام متظنين ثلاثة أشخاص لا بد من مجيئهم بحسب الكتب المقدسة
 قبل يوم القيامة وهم إيليا والمسيح والنبي «انظر يو ١: ١٩ - ٢٦ و٧: ٤٠ و٤١» وصریح
 عبارات يوحنا المشار إليها هنا أنهم كانوا يفهمون من كتبهم أن المسيح غير النبي كما هو ظاهر
 لمن راجعها فدعواهم الآن أن المسيح الذي كانوا يتظرونه هو عين النبي دعوى مردودة
 بنصوص كتبهم وبالتاريخ أيضا كما بيناه هنا والظاهر أنهم اتفقوا عليها بعد ظهور محمد ﷺ
 كما قلنا، فالنبي المبشر به في العهد القديم «انظر مثلا تث ١٨: ١٥ - ٢٢» هو البارقليط
 في العهد الجديد الذي بشر عيسى بظهوره بعده وقد كان ذلك ولله الحمد فظهر محمد
 مصدقا لما عندهم عنه من التواراة والإنجيل «راجع أيضا فصل البشائر في كتابنا دين الله».

سبب قول بولس بظهور المسيح للناس

الظاهر أن بولس إنما ذكر كل هؤلاء التلاميذ وخصوصا بطرس ويعقوب أخا يسوع في قائمته هذه (أوجدو له) تملقا لهم في أوائل أمره ليرضوا عنه وليعترفوا له بالرسالة. فإن دعوى الرؤية هذه كانت عندهم كالشهادة العظمى (دبلوما) لهم باستحقاق الرسالة (١) !! فمن منهم يتبرأ من هذه (الدبلوما) وينكرها أو يردّها بعد أن أعطاهها بولس لهم جميعاً؟!

والذى يدل ذلك على أن ظهور المسيح لأى واحد منهم كان يعتبر عندهم «شهادة بالرسالة» قول بولس ١كو ٩: ١ (ألست أنا رسولا... أما رأيت يسوع المسيح ربنا) وقوله ١كو ١٥: ٨ (وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا ٩ لآنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا - إلى قوله- ١٠ ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم) وهو صريح فى أن المسيح إنما ظهر له فى آخر الكل لأنه أصغر الرسل، وهذا التعليل يفهم منه أن المسيح لا يظهر إلا للرسل ووقت ظهوره لهم يختلف باختلاف مقامهم عنده فبولس وإن كان قال ذلك اضطرارا للتعليل عن ظهور المسيح له فى آخر الكل.

مدح بولس نفسه

إلا أن نفسه الفخور المعجبة المتكبرة عادت فرفضت هذا التواضع الظاهرى الذى اضطرت إليه أولا وقالت «أنا تعبت أكثر من الرسل جميعهم»!! وقال أيضا عن نفسه ٢كو ١١: ٢ (فإنى أغار عليكم غيرة الله لآنى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن

(١) مسألة الرؤية هذه تشبه من بعض الوجوه رؤيا النبى ﷺ عند المسلمين فى المنام فإنهم أيضا يقولون إنه لا يظهر إلا للمؤمنين الصالحين وقد خيل لبعض متصوفهم أنه رآه وكلمه بقظة أيضا.

فائقى الرسل ٦ وإن كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم بل نحن فى كل شئ
 ظاهرون لكم بين الجميع ٢٣ أهم خدام المسيح . أقول كمختل العقل فأنا أفضل .
 فى الأتعاب أكثر فى الضربات أوفر . فى السجنون أكثر . فى الميتات مرارا كثيرة ٢٦
 بأسفار مرارا كثيرة بأخطار سيول بأخطار لصوص . بأخطار من جنسى . بأخطار
 من الأمم . بأخطار فى المدينة . بأخطار فى البرية . بأخطار فى البحر ، بأخطار من
 إخوة كذبة ٢٧ فى تعب وكد . فى أسهار مرارا كثيرة فى جوع وعطش فى أصوام
 كثيرة فى برد وعرى ٢٨ التراكم على كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس ٢٩ من
 يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا ألتهب ٣٠ إن كان أحد يحب الافتخار
 فسأفتخر بأمور ضعفى) إلى غير ذلك من مبالغاته وخيالاته وإعجابه بنفسه وافتخاره
 بأعماله ومنه على الناس وعلى الله (راجع أيضا كو ١: ٢) كأن جميع الرسل
 الآخرين لم يسافروا ولم يدعوا أحدا قط إلى المسيحية ولم ينلهم شئ مما ناله من
 المتاعب ولم يعملوا عملا مثله مطلقا فهو - كما قلنا- يعتبر نفسه أفضل منهم وأنه
 الكل فى الكل ، ولا عمل لأحد سواه! وقد بلغت به درجة حبه للظهور والفخر أنه
 كان يطلب بنفسه من أتباعه أن يمدحوه ولا يستحى من ذلك كما فى رسالته الثانية
 إلى أهل كورنثوس (١٢: ١١).

ومما تقدم تعلم أن ظهور المسيح كانوا يعتبرونه أعظم شهادة لاستحقاق الرسالة
 ولذلك كان بولس يذكر مرارا ظهور المسيح له كما فى سفر الأعمال وفى رسائله
 حتى ادعى أنه اختطف إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس ورآه هناك وسمعه (٢كو
 ١٢: ١-٤) ^(١) وأى برهان يمكن لمثله ممن لم ير المسيح فى حياته أن يقدمه للناس
 البسطاء على صحة رسالته سوى مثل هذه الدعاوى؟

بولس مصاب بالصرع

(١)

إذا كان بولس صادقا فى حكاية هذه التخيلات وما مائلها فالأرجح أن السبب فى حصولها
 له وهو كونه عصبى المزاج كثير التفكير والإجهد لقواه العقلية والجسمية مع أنه كان مصاباً=

وربما كان هو الذى بث فى التلاميذ فكرة ادعائهم رؤية المسيح بعد موته لينالهم

= بدء الصرع كما يفهم من عبارته عن نفسه الواردة فى (٢ كو ١٢: ٧ - ٩) وأمثال هذه التخيلات معتادة عند أهل الصرع وغيرهم من ذوى الأمراض العصبية ومن أشهر مشاهير رجال العالم العظام كتابوليون بونابرت ويوليوس قيصر من كان مصابا بالصرع مثله فإن ذلك لا ينافى كونه عاقلا ذكيا مدبراً.

ومن راجع من المطلعين على العلوم الطبية قصة ظهور المسيح له التى فى سفر الأعمال (٩: ٣ - ٩) اتضح له - لو صحت - أنها تشبه النوب الصرعية شها كبيراً جداً ولذلك لم يحصل شئ مثلها لمن كانوا مسافرين معه بل رأوه سقط من دونهم على الأرض أما هم فلم يروا أحداً (٧: ٩) ولم يسمعوا صوتاً يكلمه (أع ٢٢: ٩) كما خيل له عند ابتداء النبوة وهو الشئ المعتاد فى مثل هذه الأحوال ، وربما أن الذى حرك عليه الداء وأحدث له هذه النبوة هو تعب السفر وحصول برق ورعد شديدين فى ذلك الوقت (٩: ٧ و٣) على أن الأصحاء فى تلك الأزمان كثيراً ما كان يخيل لهم تخيلات غريبة عند حصول شئ من الحوادث الجوية أو الأرضية لجهلهم إذ ذاك وغفلتهم وقصر مداركهم كما بيناه فى رسالة الصلب (ص ١٠٣ و ١٠٤) فما بالك بمن كان منهم مصاباً بالصرع كيولس!

تنزيه محمد عن الصرع

أما قول بعضهم: إن ما كان يحصل للنبي ﷺ أثناء الوحي هو أيضاً صرع فيرده أن المصروع إذا أفاق من نوبته لا يمكنه - بإجماع الأطباء - أن يأتي فى الحال بكلام معقول سام، أما النبي فكان يقوم من نوبة الوحي ويلقى فى الحال بلا تكلف ولا تردد ولا عناء ما أوحى إليه فى أثناءها من القرآن العالى المعجز، وهو لا يمكن أن يكون عمله أثناء النبوة إن كانت صرعاً لأن فيها يكون الشعور مفقوداً بالمرّة، ولا يمكن أن يكون عمله بعدها مباشرة لأن القوى العقلية للمصاب تكون فى ذلك الوقت ضعيفة، مرتبكة، بل فى كثير من الأحوال مختلة أيضاً لا تأتي بشئ حسن مطلقاً فضلاً عن البليغ المعجز المشتمل على كثير من المسائل والعلوم والشرائع والقصص التاريخية والحكم والمواعظ وغير ذلك، ولو كان الصرع يأتي بمثل ذلك - وهو لم يقله أحد من الأطباء مطلقاً - فأنعم به من صرع صالح نافع للبشر ويا ليتنا كنا به مصابين، وماذا علينا حتى لو سموه جنوناً كما فعل مشركوا العرب قبلهم ما دامت فيه سعادة الدنيا والاخرة، وأيضاً لو كانت نوب الوحي هذه كلها صرعاً وهى كثيرة عديدة لما كان للنبي تلك الصحة وذلك العقل المعروفين عنه طول حياته فإن ذلك لا يكون مطلقاً إلا إذا كانت النوب قليلة جداً تفصلها فترات واسعة بحيث لا تتكرر مرات فى اليوم الواحد كما كان يحصل أحياناً للنبي ﷺ . . .

شئ من الشرف الذى ناله بدعواه لها. ولا يبعد على مثل أولئك العامة من الناس الفقراء الذين لا عمل لهم ولا علم أن يوافقوه على ذلك ويعترفوا له بها كما اعترف هو لهم جميعا بها حتى ذكر فى رسالته ظهور المسيح لخمسمائة شخص ولجميع الرسل!! فكأنه فى سياسته معهم اتبع المثل العامى القائل «حملنى وأنا أحملك».

ولكنه هو فاقهم فى ذلك كثيرا حتى جعل الظهور لكل فرد من التلاميذ - فإن عددهم لا يمكن أن يزيد عن ٥٠٠ شخص - ليرضوا عنه جميعا. وأية خسارة عليه فى ذلك؟ بل أية فائدة له أعظم من مسألتهم واستجلاب رضاهم كلهم عنه؟ ولو فى أوائل أمره^(١) قبل أن يعلم ماذا يكون من شأنه بينهم، ومقامه عندهم، ولو علم ذلك وعلم أنه سيكون إمامهم وقائدهم الأعظم فى كل شئ لما اعترف لهم بشئ مطلقا كما تدل عليه سيرته معهم فيما بعد.

(١) لذلك ذكر رؤيتهم للمسيح فى أول رسالة كتبها - كما يقولون - بعد رسالتيه إلى أهل تسالونيكي فإن هذه الرسالة التى لأهل كورنثوس كتبها سنة ٥٧م حينما بلغه أن بعض الناس أنكروا بعثته وقالوا إن تعاليمه تغاير تعاليم بطرس وغيره من التلاميذ فذكرهم جميعا فيها تملقاً لهم لئلا يخرجوا عليه ويكذبوه ويؤيدوا كلام الناس فيه. وقد دارى فى رسالته هذه أيضاً (أبلوس) اليهودى الإسكندرى البليغ الذى كان مزاحماً له (راجع ١ كو ٦:٣ - ١٦و٩: ١٢ وأعمال ١٨: ٢٤ - ٢٨) وأما رسالته إلى أهل غلاطية التى احتد فيها على التلاميذ كما بينا - فكتبها بعد ذلك سنة ٥٨م على ما يزعمون ثم عاش بولس بعدها نحو عشر سنين لأنه مات سنة ٦٨ وكان وقتئذ قد طار صيته بينهم حتى ملأ ذكره الآفاق لدهائه وسياسته وعلمه ونشاطه أكثر من سائر رفاقه.

عدم دعواهم ظهور المسيح للكفرة

هذا ولما كانت رؤية المسيح عندهم أعظم دليل على الرضا والاصطفاء والرسالة - كما قلنا - تحاشوا ادعاءها للكفرة والمعاندين إذ لا يمكن أن يتشرفوا بها مثلهم .
ويثبت ذلك أيضاً قول بطرس منكراً على بولس «وكيف يظهر لك (يعنى المسيح) مع أن آراءك هي مضادة لتعليمه» كما في الخطب (Homilies) المنسوبة إلى أكليمنديس الروماني وهي مكتوبة في أواخر القرن الثاني أو بعده بقليل (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣٢٠) وهذه الخطب وإن كانت منسوبة كذباً لأكليمنديس إلا أنها تدل على أن النصارى كانوا في أوائل المسيحية يعتقدون أن المسيح لا يمكن أن يظهر للمخالفين له المعاندين .

وهذا الاعتقاد هو أحد أسباب خلو كتبهم من هذه الدعوى بل هو أعظم الأسباب . وهناك سبب آخر لذلك وهو تحاشي النصارى في القرون الأولى إثارة اليهود والرومانيين عليهم لكي لا يزيدوا في احتقارهم والسخرية بهم وتكذيبهم وإيذائهم واضطهادهم وتنفير الناس منهم ومن دينهم فكانوا في ذلك حقيقة حكماء وربما أنهم فعلوا ذلك أيضاً بإرشاد بولس وأضرابه من عقلائهم وساستهم .

ولكن مَنْ لم يفهم ذلك من النصارى بعدهم ادعى أن المسيح وعد اليهود بالظهور لهم بعد دفنه في الأرض بثلاثة أيام وثلاث ليال فزاد هذه العبارة في إنجيل متى (١٢: ٣٩ و٤٠) فإن العدد (٤٠) منها لا وجود لمثله في الأناجيل الأخرى وقد تكلمنا على ذلك في رسالة الصلب صفحة ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٧ و ١١٨ . راجع أيضاً (لو ١١ : ٢٩ - ٣٢ ومث ٤ : ١٦ ومر ١٢ : ٨) وجميع هذه النصوص المشار إليها هنا صريحة في أن المسيح أجاب المقترحين للآيات مرة بقوله «لن يعطى هذا الجبل آية» كما في مرقس ومرة بقوله «لن يعطيهم آية إلا آية يونان لأهل نينوى» كما

فى لوقا وغيره . ولا يخفى أن يونان لم يعط أهل نينوى أية آية فكأن مراد المسيح أنه يجب أن يؤمنوا به بمجرد دعوته لهم كما آمن أهل نينوى ببونان لمجرد مناداته لهم (راجع لو ١٠ : ٣٢) ولنكرى المعجزات أن يستدلوا بذلك على صحة دعواهم أنه لم يفعل شيئاً منها .

فالمسيح لم يظهر لأحد، ولا وعد اليهود بذلك كما ادعى المحرف للإنجيل ولولا أن عدم ظهور المسيح لأى أحد من اليهود والرومانيين وغيرهم من الكافرين كان معروفاً شائعاً متواتراً بين النصارى الأولين لزاد المحرفون للأناجيل قولهم إنه ظهر لفلان وعلان منهم أيضاً ولكن مثل هذه الزيادة لا يمكن أن تمر على الناس بسهولة، ولا تدخل عليهم خفية بدون أن يشعروا بها كما دخلت عليهم الزيادة التى فى إنجيل متى (١٢ : ٤٠) لأن إدراك هذه الزيادة يحتاج لشيء من الانتباه والتدبر ولذلك ترى النصارى يقرأون هذه العبارة فى إنجيل متى صباح مساء ولا يشعرون بأنها كانت وعداً لليهود بالظهور لهم ولا بأنه وعد لم يتحقق، وإذا صح أن المسيح قالها لهم وجب عليه أن يرى نفسه لهم بمقتضاها كما أرى نفسه لتلاميذه وإلا لكانوا معذورين فى عدم الإيمان به وتكذيبه فإن نفس تلاميذه شكوا فيه مرارا كما بيناه فى رسالة الصلب ولم يقنعهم إلا بمجهود.

نصُّ الإنجيل على أن التلاميذ عديمي الإيمان أشرارٌ

فهل كان يتظر منهم أن يكونوا أكثر إيماناً به من نفس تلاميذه حتى يطالبهم بالإيمان بقيامته من غير أن يروه لمجرد سماع هذا الخبر من تلاميذه الذين كانوا كثيرى الشك، عديمي الإيمان، أشراراً بنص الإنجيل (مت ١٧: ٢٠ ولو ١١: ١٣) فكيف أخلف المسيح إذا وعده لهم؟ وكيف يجب عليهم تصديق عديمي الإيمان الأشرار؟ ولا يخفى أن من كان كذلك لا يتحاشا الكذب وخصوصاً لمصلحته ولا يخشى الله، وأية مصلحة أكبر من أن يصبح أولئك الأشخاص الفقراء، المحقرين، المستضعفون، بعد موت سيدهم ويأسهم منه وابتداء تلاميذهم - يصبحون رؤساء للناس ورسلاً لهم يشرعون لهم ما يشاؤون، ويأخذون من أموالهم ما يرغبون (أع ٢: ٤٤ و ٤٥ و ٣٢: ٤ - ٣٧ و ١ كو ١٦: ١ - ٣ و ٢ كو ١١: ٨ و ٩) بل كانوا يقتسمون جميع الأموال والممتلكات بينهم بلا عمل ولا تعب سوى القول بأنهم رأوا المسيح بعد موته حياً. كما علمهم بولس وغيره، وقد عاد إليهم الأمل - لما بثه فيهم عقلاؤهم ومفكروهم - بقرب رجوع ملك إسرائيل إليهم حينما رأوا إقبال الناس عليهم وخضوعهم لهم وهو الأمل الذي طالما خالج نفوسهم وكانوا يرتقبون كل يوم تحققه من قديم الزمان (انظر أع ١: ٦).

آمال التلاميذ وأوهامهم

حتى إنهم اعتقدوا أنهم سيملكون في الأرض مع المسيح ألف سنة (رؤ ٢٠ : ٦و٤) في ذلك العصر الذهبي الذي كان يتوهمه اليهود وإلى الآن يتظرونه، وأنه متى جلس المسيح على كرسى مجده يجلس التلاميذ الاثنا عشر^(١) على الكراسى

قدم الأناجيل

(١)

لو جارينا النصارى في طريقتهم لإثبات قدم كتبهم لقلنا : إن عبارة جلوس التلاميذ على اثني عشر كرسيًا الواردة في إنجيل متى تدل على أن هذا الإنجيل كتب قبل حادثة الصلب وقبل تسليم يهوذا (وهو أحد الاثني عشر) للمسيح. وإلا إذا كان هذا الإنجيل كتب بعد ارتداد يهوذا لما ذكر كاتبه فيه إلا أحد عشر كرسيًا تفاديا من نسبة الخطأ إلى المسيح. فلا أدري لم لم يقولوا بذلك وقد كانوا يجدون لهم أنصاراً كثيرين !! فهذا مثل من أمثلة براهينهم على قدم كتبهم !!

فإن قيل لعل الكاتب أخذ هذه العبارة عن بعض مکتوبات قديمة كتبت قبل حادثة الصلب ولم يصلحها لعدم التفاته أو لأنها تقبل التأويل حيث قد انتخب (متياس) بدل يهوذا (أع ١ : ٢٦) قلت: كذلك نحن نقول في بعض عبارات كتبهم التي تدل على القدم فإن مؤلفي الأناجيل أخذوها أحياناً كما هي عن قبلهم لعدم التفاتهم أو لأنها تقبل التأويل ولو مع التكلف الزائد كما فعل النصارى فيها بعد ذلك، وأحياناً حوروها لتكون أقرب للتأويل عما كانت أو حرفوها.

مثال ما فيها مما أولوه: قول متى عن لسان المسيح ٢٤ : ٣٤ (الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فإذا صح أن لفظ الجيل في لغتهم قد يراد به الصنف من الناس كالامة اليهودية كلها فالكاتب إنما استعمله بهذا المعنى وعليه فهو لا يدل على قدم الإنجيل. وإذا كان هذا اللفظ لا يراد به إلا الطبقة الموجودة في زمن ما كان هذا القول دليلاً على أن هذا الإنجيل كتب قبل انقراض جميع معاصري المسيح وحيث يكون عيسى نفسه مخطئاً في هذه العبارة. فهي إما أن تكون صحيحة والإنجيل ليس بقديم، وإما أن يكون الإنجيل قديماً وعيسى مخطئاً فأى الوجهين يختارون؟ وأما القول بأنها صحيحة وأنها تدل على قدم الإنجيل فهذا لا أفهمه!! والحق أنه لولا عدم التفات أولئك الكتبة لما وجد في كتبهم ما وجد فيها من التناقض والغلطات التي لا تحتاج لكبير تأمل أو تفكير ولذا كان منهم من ناقض نفسه بنفسه في الكتاب الواحد بل في العبارة الواحدة!! راجع صفحة ٤٨ من هذه الرسالة.

ليدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر (مت ١٩: ٢٨) وأن زمن رجوع المسيح قريب جدا وأنهم يبقون أحياء إلى وقت نزوله (١ نس ٤: ١٥ - ١٨) حتى قال لهم بولس «عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام» وليس هذا فقط بل قد وعدهم المسيح (كما في مر ١٠: ٣٠) بأن من ترك شيئاً لأجله يأخذ مائة ضعف في هذه الدنيا وله الحياة الأبدية في الآخرة، وأفهمهم بولس أيضاً بأنهم جميعاً سيدينون العالم والملائكة (١ كو ٦: ٣ و٢) وقد بلغ بالرؤساء منهم الغرور والجهل إلى درجة أن توهموا أو أوهموا الناس أن بيدهم غفران الذنوب^(١) وأن المسيح عليه السلام قد أعطاهم

خطايا التلاميذ

(١)

إن كان هؤلاء الناس معصومين من الخطايا فكيف رأى بطرس اليهود في أنطاكية حتى قال عنه بولس «إنه كان ملوماً أو مداناً وإنه هو ومن معه لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل» (غل ٢: ١١ - ١٤) وكيف أنكر المسيح وقت أخذه للصلب وأقسم أنه لا يعرفه (مر ١٤: ٧١)؟

وإن كانوا غير معصومين وهو الحق (كما يفهم من متى ٦: ١٤ و١٥ ولوقا ١١: ٤ و١٥ يو ٢: ٢ وغل ١: ٤) فكيف إذاً يغفرون للناس ذنوبهم وهم - فوق ما تقدم - عديمو الإيمان بل وأشرار كما قال لهم المسيح نفسه؟ (مت ١٧: ٢٠ و٧: ١١ ولو ١١: ١٣) أليس اليهود إذاً أفضل منهم لأنهم امتنعوا عن إدانة الزانية - حينما ذكروهم المسيح بخطاياهم - ويكسبهم ضمائرهم (يو ٨: ٧ - ١١) وأما هؤلاء فيدينون الناس (أع ١٣: ١١) ويمسكون خطاياهم (يو ٢٠: ٢٣) ويتحكمون فيهم وهم أنفسهم خاطئون مدينون!!

فلم ذلك وما حكمته وأين عدل الله؟ وهل هذا مما تسعه عقول النصارى أيضاً كما وسعت التلث وغيره؟! وهل لا يزال البروتستنت منهم ينكرون أن مسألة الاعتراف، وبيع أوراق الغفران (Indulgences)، والقطع من الكنيسة، والسلطة البابوية، وغير ذلك مما تسببت عنه مفاسد عديدة - يعرفونها - بين جميع النصارى منذ القدم إنما نشأت كلها من عبارات كتبهم هذه التي - في الحقيقة - ما أضافها الآباء إليها إلا لينوا عليها سلطتهم بدعواهم أنهم خلفاء المسيح ورسله ونوابهم فيكون لهم من السلطة والحقوق ما لاوتك سواء بسواء؟ وإذا كان للتلاميذ حق التصرف في ملكوت السموات فكيف أصبح البروتستنت ينكرون على الرؤساء الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ طبعاً) حق التصرف في هذه الأرض الصغيرة الحقيرة وهو الحق الذي يدعونه دائماً لتبقى الناس في أيديهم كالانعام كما كانوا منذ القرن =

مفاتيح ملكوت السموات^(١) بحيث إن كل ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء!! (مت ١٦: ١٩ و ١٨: ١٨ و يو ٢٠: ٢٣) الخ الخ.

فمن إذاً لا يقول بقولهم في قيامة عيسى ليدخل في زمرةهم حتى ينال ما نالوه أو سينالونه في الدنيا والآخرة؟ مهما ناله من الأذى والاضطهاد المؤقت طمعا فيما سيحصل له ولائته من صلاح الحال وحسن المستقبل والنعيم الدائم في الدارين. الا ترى أن القاتل يقدم على القتل طمعا في المال مع علمه بأنه غالبا سيقع في القصاص الذي يذهب بحياته كلها ولكن الأمل في السعادة والطمع في لذة المال يدفعه لارتكاب هذا الإثم الفظيع مهما كانت نتيجته. هذا إذا سلم أن التلاميذ ومن معهم من النصارى كانوا حقيقة يجاهرون على رؤوس الأشهاد بدعواهم قيامة

= الأول؟ أليس إنكارهم هذا أثراً من آثار العقائد الإسلامية التي وصلت إلى مصلحيهم من حيث لا يشعرون، أم هم يكابرون؟ وقد جاء بها النبي الأُمى في أزمنة الجاهلية والعالم كله في الضلال المبين.

(١) صَغُرَ عقل من يعتقد عقيدة النصارى:

أى عقل أصغرا! وأى إدراك أقصرا! وأى علم أقل! وأية عقيدة أسخفا! وأى وهم أكبر! وأى غرور أعظما! ممن يعتقد مثل هذه العقائد؟ فإن الأرض ومن عليها ليست إلا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الكبير العظيم كما أثبتته علم الفلك الحديث. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن الشريف (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وقوله: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقوله: (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فالبشر ليسوا أفضل من جميع مخلوقات الله تعالى كما كان يتوهم أولئك الواهمون المفتونون

المغرورون، فكيف إذا يتصرفون في ملكوت السموات؟! وما قدروا الله حتى قدره، سبحانه وتعالى عما يتوهمون ويصفون ويشركون، هو الكبير المتعال ليس لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه أحداً، لا إله إلا هو الواحد القهار، رب السموات والأرض رب العرش العظيم، فله وحده الحمد والشكر أن طهر عقولنا بعقائد الإسلام، من تلك الأوهام، ورفع نفوسنا بالتوحيد، حتى لا نمتهنها بالذل والجبن والعبادة لامثالنا من العبيد.

المسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٤٩) وأنه نالهم جميع الاضطهادات التي تسمعتها من قصاصى النصارى.

وإذا سلم ذلك فهل كانت كل هذه الاضطهادات بسبب هذه العقيدة وحدها؟ مع أنهم كانت لهم عقائد أخرى يخالفون بها غيرهم، وكان أكثر ما يتهمون به هو التهم السياسية لما عند الرومانيين من الحرية فى المسائل الدينية ولعدم وجود سلطة عليهم فى أيدي خصومهم اليهود وخصوصا بعد تشتت هؤلاء وخراب أورشليم سنة ٧٠م وقد اعترف مؤرخوهم بأنه لم يمس المسيحيين أذى فى أثناء حرب الرومانيين مع اليهود لأن المسيح كان أنبأهم بخراب أورشليم ووصاهم بهجرها.

أول شهداء النصرانية

ولا يخفى أن (استفانوس) أول شهيد فى النصرانية - لم ترجمه اليهود إلا لأنهم اتهموه بالتجديف على موسى والناموس وعلى الله (راجع اع ٦: ١١-١٤) وكان رجمه بعد أن ألقى عليهم خطابا طويلا كما هو مذكور فى الأصحاح السابع من سفر الأعمال وليس فى هذا الخطاب ذكر لقيامه المسيح من الموت ولا لرؤية أحد له بعد هذه القيامة المزعومة، بل قال: إن اليهود قتلوه كما قتلوا قبله أنبياء كثيرين (اع ٧: ٥٢).

ومن عبارة (استفانوس) هذه يفهم أن بعض اليهود المنتصرين فى أوائل المسيحية لم يكونوا يعتبرون الصلب والموت مقللا من قيمة المسيح عندهم ولا مزلزلاً لعقيدتهم فيه بل كانوا يعدونه من مصائب الدهر التى أصابت المسيح وأصابت غيره من أنبياء الله السابقين الذين تعود اليهود قتلهم من قديم الزمان.

المبشرون وقيامه المسيح

فقول المبشرين الآن أنه لولا قيامة المسيح من الموت، ما قامت للنصرانية قائمة لأن صلبه^(١) وقتله زلزل عقيدة تلاميذه فيه ويرؤيتهم له بعد الموت انتعشت نفوسهم، إنما هو قول باطل لأن التلاميذ ما كانوا يعتقدون استحالة الموت والقتل عليه ولم يعتبروا حصول ذلك إلا شيئاً معتاداً بين الكثيرين من الأنبياء قبله فهو ليس بدعا من الرسل في ذلك.

وهذا الاعتقاد هو الذى كان فاشياً فيهم قبل أن نبههم بولس وأضرابه من مفكريهم - البصيرين بحال أمتهم ومستقبلها الغيورين عليها - إلى حكمة حصول الصلب والموت للمسيح وهى خلاص البشر به فبعدئذ أصبحوا ينظرون إلى الصلب بغير نظرهم إليه أولاً واعتبروه أكبر ما يشرف المسيح ويرفع منزلته فى عيون الناس أجمعين فصاروا بعد ذلك يدعون إلى عقيدتهم هذه فرحين مسرورين (١ كو ١: ١٨) نعم يجوز أنه لولا أن تنبهوا إلى هذه الحكمة لكان يمكن لليهود أن يؤثروا فى بعض عامتهم الضعفاء ويزلزلوا عقيدتهم فى المسيح أو يحولوا بعضاً منهم عن الإيمان به فالذى حمى النصرارى من ذلك:

أولاً: هو علمهم بما حصل للأنبياء قبله من الاضطهاد والأذى والقتل والمرض وغيره من مصائب هذه الحياة التى يجب ملاقاتها بالسكينة والصبر والرضا بقضاء الله وقدره (انظر أع ٢: ٢٣).

ثانياً: هو الحكمة التى اخترعها لهم بولس وغيره أو نبههم إليها، ولو أن بولس جعل قيامة المسيح من أكبر أسس هذه الحكمة إلا أنه كان لاشك يمكنه الاستغناء عن القول بها لولا ميله الفطرى دائماً إلى الغلو والإغراق فى كل ما اعتقده أو ارتآه

(١) هذا الكلام كله مبنى على تسليم قصة الصلب كما هى فى كتبهم.

كما هو ظاهر من رسائله ومن أعماله قبل دخوله في المسيحية وبعدها فقوله بها إنما كان من زيادة غلوه في تكريم المسيح^(١) ومحقا لشماتة اليهود به وغيظا لهم واستمالة للوثنيين بتقليد عقائدهم في مخلصيهم. وهو في تحوله هذا السريع من بغض المسيحية واضطهاد أتباعها إلى محبتها ونصرتها يشبه عمر بن الخطاب في تحوله فجأة من عداوة الإسلام وأهله إلى محبته ونصرته، فاعتقادهم أن هذا التحول الفجائي لبولس يعد من خوارق العادات هو جهل بطباع البشر وأمزجتهم هذا إذا سلمنا قصة بولس الواردة في كتبهم وفرضنا أن ما نصره وأحبه هو المسيحية لا ديانة جديدة هو الواضع لها، ولكننا نرى أن علماء الأفرنج المحققين قد أصبحوا الآن يشكون في كل ما رووه ونقلوه لما علموه عنهم من كثرة التحريف والاختلاق، وهو الأمر الذي قرره القرآن منذ نزوله (راجع مثلا ٧٥:٢ و٧٦) ولكنهم كانوا وقتئذ يكابرون ويكذبون.

رفع موسى

(١)

كما تغالى بعض اليهود كيوسيفوس وغيره وقالوا: إن موسى لم يموت وإنما اختفى عن قومه أو رفع ولا يزال حيا، وكما تغالى النصارى في مريم وقالوا: إنها رفعت بعد الموت إلى السماء بروحها وجسدها ولهم عيد (يوم ١٥ أغسطس) يحتفلون فيه بذكرى رفعها!! وكان الوثنيون يقولون برفع بعض آلهتهم إلى السماء (انظر مثلا كتاب «النصرانية والأساطير» لمؤلفة روبرتسن ص ٣٨٤) ويقول اليهود برفع بعض الأنبياء الآخرين إليها أيضا (راجع عب ١١:٢٥ مل ١١:٢) فما كان يرضى بولس ولا غيره من اليهود المنتصرين أن يكون مسيحيهم أقل من أولئك الناس المرفوعين كلهم وهو عندهم أول مخلوقات الله وأفضلها على الإطلاق ولأجله وبه خلقت كلها بإذن الله (رو ١٤:٣ وكو ١:١٦ و١ كو ١٥:٢٧ و٢٨).

اضطهاد المسيحية

ومما تقدم أن القول بقيامة المسيح لم يكن - كما يزعم المبشرون الآن - الحصن الوحيد الذى وقى المسيحية من السقوط، ولا كان محتما لإنقاذ التلاميذ من هاوية اليأس والقنوط ومن أكبر ما حدث للنصارى بعد ذلك هو - كما زعموا - اضطهاد (نيرون) لهم سنة ٦٤ ميلادية وهذا الاضطهاد إذا سلم أنه وقع عليهم فهو بإجماع المؤرخين لم يكن سببه إلا سياسيا (أى اتهمه لهم بحريق رومية) ولم يكن لعقيدة قيامة المسيح أدنى دخل فيه (راجع رسالة الصلب صفحة ١٤٠ - ١٤٢) بل ولا فى أى اضطهاد من الاضطهادات الرومانية العشرة الشهيرة (من سنة ٦٤ - ٣١١م) وإلا فلينبؤنا من منهم أو من رسلهم قتل فيها من أجل «هذه» العقيدة؟

فقول المبشرين إنهم إنما اضطهدوا لمجاهرتهم بالقول بقيامة المسيح لا أساس له البتة من التاريخ وإذا فقولهم إن النصارى إنما صبروا على كل ما أصابهم لوثوقهم من هذه القيامة قد خوى على عروشه واندكت دعائمه كما لا يخفى، إذ لو لم يقولوا بها مطلقا لا أصابهم ما أصابهم وهم قائلون بها ما داموا حزبا ناميا مخالفين لغيرهم فى كثير من أفكارهم وآرائهم وشؤونهم وسياستهم وأمانيتهم وسائر أمورهم ولذلك أصيب اليهود فى بعض هذه الاضطهادات بما أصيب به النصارى لاختلافهم أيضا عن الرومانيين فى مثل ما تقدم، فالقول بالقيامة وعدمها سواء بالنسبة لاضطهادهم وصبرهم عليه. وكيف نسلم صحة كل حكايات الاضطهاد هذه بعد الذى علمناه عن النصارى من المبالغات والتحريف والاكاذيب والزيادات؟ (راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢١ و ١٤٠ - ١٤٢).

ومن الذى قال إن جميع القائلين بعقيدة القيامة هذه كانوا كذابين وإنهم ما كانوا معتقدين لها فى الواقع ونفس الأمر وإن كانوا فيها واهمين؟ وما يدرنا أن أكثر الاضطهادات التى يحكونها كانت تحصل لهؤلاء المساكين الصادقين فى عقيدتهم إذ

مثل هؤلاء هم الذين يندفعون عادة ويتعرضون للناس ويدعونهم إليها من غير أن يحسنوا السياسة معهم والرؤساء من ورائهم يحرضونهم سرا ويشجعونهم طمعا في نجاحهم ونكاية بخصومهم وهم عن الأذى بعيدون؟ وهل حصول الاضطهاد لشخص اعتقد شيئا ما يدل على أن عقيدته هذه صحيحة؟ مع أننا نرى كثيرا من الناس يتوهمون شيئا ويعتقدونه فينالهم أذى كثير في سبيل ذلك ولا يتحولون عنه، وما من دين في العالم أو أى مذهب إلا ونال أتباعه الأولين أذى كثير واضطهاد فظيع فهل جميع الأديان والمذاهب صادقة، وهى كلها متناقضة؟

ظهور المسيح للنساء

ولنرجع إلى أصل موضوعنا فنقول: من العجيب أن بولس يذكر كل هؤلاء الأشخاص الذين أريناك حقيقة أمرهم ويترك ذكر (مريم المجدلية) وهى أول من قالت إنها رأت المسيح (يو ٢٠: ١٨ ومر ١٥: ٩) ولها فضل السبق فى الذهاب إلى القبر وقد ذكرت الأناجيل الأربعة اسمها وهى فى الحقيقة البطل الأعظم لهذه الرواية ومع ذلك لا يذكرها بولس ويذكر أشخاصا آخرين لم تذكرهم الأناجيل فما السبب فى ذلك ياترى؟

السبب الأكبر فى ذلك هو أن بولس - ككل العقلاء الحريصين - يرى أن شهادة النساء فى مثل هذه الحالة لا قيمة لها وخصوصا لأنها كانت امرأة مختلة العقل ومصابة بالشياطين كما تقول الأناجيل (لو ٨: ٢) ولذلك قال بولس فى النساء ١ كو ١٤: ٣٤ (لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مآذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا) وهو صريح فى بيان رأيه فى قيمة النساء عندهم خصوصا فى المسائل الدينية وكذلك نرى أن شهادتهن ما كان يعول عليها عند قومه

اليهود حتى ما كانوا يقبلونها فى محاكمهم، فلهذا ولعدم ضرورة التملق لهن لضعفهن وعدم الخوف منهن ترك بولس ذكر شهادة النساء فى مسألة القيامة. مع أن شهادة مريم هذه عند النصارى هى أول شهادة وأعظمها فى هذه المسألة!!

فمما تقدم يظهر لك شدة مبالغة بولس فى هذه المسألة التى هى أصل دعواه وأساس دعوته كما قال هو نفسه (١ كو ١٥: ١٤) وذكره أشياء فيها - سياسة منه كما بينا - لم يذكرها أحد قبله ممن رأوا المسيح وشاهدوا أعماله وهو مع ذلك لم يقل إنه رواها عنهم بل قال فى رسالته إلى أهل غلاطية (١: ١٧ - ١٩) إنه بعد إيمانه بالمسيح لم يصعد إلى أورشليم إلى الرسل بل ذهب إلى بلاد العرب ثم رجع إلى دمشق وبعد ثلاث سنين ذهب إلى أورشليم ولم يقابل فيها أحداً من الرسل إلا بطرس ويعقوب. وجاء فى سفر الأعمال (٩: ١٩ و ٢٠) أنه كان فى دمشق «يكرز» بالمسيح أى قبل ملاقاته الرسولين. فهل كان إذاً «يكرز» بقيامته أم لا؟

دعوى بولس الوحى

فالظاهر أن كرازته هذه وأخباره بمسألة القيامة والرؤية بعدها مبنية على دعواه لنفسه الوحى بها لا لسبب آخر (وهيات أن يثبت ذلك له) ولذلك قال فى رسالته إلى أهل غلاطية (١: ١١ و١٢) إن إنجيله لم يأخذه عن أى إنسان بل بإعلان يسوع المسيح!! فهذه هى قيمة شهادته من الوجهة التاريخية فهو لم يكن راوياً شيئاً فى هذه المسألة وغيرها عن تلاميذ المسيح باعترافه بنفسه^(١)!!

(١) المسيح وديانته الجديدة:

أعلم أن الذى اضطره إلى هذا التصريح هو أنه وجد أن بعض الناس وخصوصاً اليهود المتمصرين يفضلون «الرسل» عليه ولا يذعنون له ولا يتقون بتعاليمه إلا إذا سألوا الرسل عنها وأقروها فأثار ذلك حقه وغضبه حتى لم يقدر أن يكظم غيظه فكتب فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ما يظهر به أنه أفضل من هؤلاء الرسل الذين اتخذوهم حجة عليه وأن أتعبه أكثر وأعماله أعظم (٢ كو ١١: ٢٢ - ٣٣) ولما وجد أن هذا الكلام لم يجد مع مخالفه نفعاً وأنهم لم يزالوا يعتبرون الرسل فوقه ويحكمونهم فى أقواله وأعماله اضطر أن يظهر فى رسالته إلى أهل غلاطية أنه لا يبالي بهؤلاء الرسل مهما كانوا (٢: ٦ و٥) وأن كل من خالفه منهم أو من غيرهم وأتى الناس بتعليم آخر غير تعليمه لهم ولو كان ملكاً من السماء يكون ملعوناً مطروداً من رحمة الله (غل ١: ٨ و٩).

وأن تعاليمه لم يأخذها عن أى أحد منهم بل هى - كما ذكرنا - بوحي يسوع المسيح إليه (١: ١١ و١٢) الذى قال إنه رآه فى السماء الثالثة وفى الفردوس وسمعه وكلمه (٢ كو ١٢: ٢ - ٤) منذ سنين فلا يجوز لهم إذا أن يحكموهم فى أقواله وهو لم يقل إنه أخذ شيئاً عنهم أو إنه كان تلميذاً لهم بل قال إنه تلميذ المسيح بالوحى ورسوله إلى الأمم كافة وأنه أفضل من جميع الرسل (٢ كو ١١: ٢٣) بعد أن كان يقول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أنه أصغرهم وأنه ليس أهلاً لأن يسمى رسولا (٩: ١٥) فانظر وتعجب!!

وما تقدم تعلم أنه لم يكن على وفاق تام مع الرسل ولا مع أتباعهم الحقيقيين وخصوصاً بعد أن علمت مخالفة يعقوب له فى رسالته وذم يوحنا له فى رؤياه كما سبق بيانه. والظاهر من كتبهم القانونية أن بطرس كان مسالماً له، وذاك لخوفه منه وضعف مواهبه عنه ولكن

فمبالغاته السابقة في رؤيته هو وغيره للمسيح لا يعول عليها فإن من يدعى ويقول لأهل غلاطية (في آسيا الصغرى) إن المسيح صلب بينهم ورأوه بأعينهم أمامهم مصلوباً (غل ٣: ١) لا يبعد عليه أن يقول ما شاء وشاء هواه ما دام الناس

= يقال في خطب (أكليندس) (الرومانى) أن بطرس هذا كان أيضاً يتبعه ويحاربه ويكذبه وكذلك قيل في «رسالة بطرس ليعقوب» (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣١٨ و ٣١٩) وكان كثير من آباء النصرانية الأقدمين يعقتونه ويرفضون رسائله وكذلك الأيونيون كافة. فالسبب الحقيقى في شهرته بين النصارى بعد هو اتباع الأمم غير اليهودية له وسرورهم بتعاليمه لسهولتها عليهم بسبب خلوها من جميع التكاليف الموجودة غيرها ولموافقة عقيدته في الخلاص بالمسيح لعقيدة الوثنيين في آلهتهم المتجسدة النازلة إلى الأرض لخلاص الناس. لذلك تهافت تلك الأمم الرومانية واليونانية على هذه الديانة البولسية فنجح معهم بولس في ذلك نجاحاً كبيراً.

نعم كان بعض خاصة اليونانيين طلاب الحكمة (الفلسفة) لا يبالون بعقيدته في الخلاص بيسوع ويهزأون بها (١ كو ١٨: ١ و ٢٣) ومن كان منهم يعتقد مثلها في بعض آلهتهم اليونانية كان يسخر من بولس لجعله مخلص العالم رجلاً من قومه اليهود وهم قوم محترقون عندهم. ولكن عامة اليونانيين وجماهير الأمم الأخرى الوثنية كانت عقائدها تشبه من كل وجه عقيدة بولس في الخلاص بالصلب والموت وإن كان مخلصوهم غير مخلص بولس (راجع مثلاً كتاب «ملخص تاريخ الدين» ص ١٠٨ وكتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٠٦ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٦٧) فسهل عليهم لذلك قبول أفكاره في يسوع وراجت بين الرومانيين شيئاً فشيئاً حتى عمتهم تقريباً وانتقلت إلى بعض الخاصة أيضاً وما زالت هذه الديانة البولسية تنتشر بين الناس شيئاً فشيئاً لملانمتها لذلك الوسط الرومانى اليونانى الوثنى إلى أن صارت هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية بعد مضى نحو ثلاثة قرون عليها، ولولا أن «مخلصها» من اليهود المحترقين عندهم لكانت أسرع انتشاراً من ذلك بينهم لعدم مبايبتها لعقائدهم إلا في أشياء طفيفة قليلة ولاشتمالها على بعض مبادئ اشتراكية (أع ٣٢: ٢) وإباحية (كو ٢: ١٦) أسهل بكثير مما في بعض الشرائع الأخرى كالموسوية ونحوها التى لا خلاص فيها بالإيمان وحده بل بأعمال شاقة كثيرة معه. ومنذ ذلك الحين صاروا يضطهدون الناس بعد أن كانوا مضطهدين، وكان منهم ما كان مما تفطر لذكراه قلوب الراحمين، فزادت أيضاً بهذا القهر والإكراه انتشاراً، وإلى الآن تراهم على الضعفاء غالباً معتدين قاسين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!!

لجهلهم وغفلتهم لا يقرون على تكذيبه حتى فيما خالف حسهم. فلإن قيل: إن المراد بهذه العبارة التي تشير إليها هو أنهم رأوا رسمه وصورته مصلوباً (١) كما ترجموها في النسخ العربية أو المراد تصويره لهم وصفاً وتعبيراً.

قلت: وما فائدة هذا الكلام إذا وما قيمته؟ وأية حجة فيه على أهل غلاطية أو غيرهم الذين سماهم أغبياء لأنهم خالفوه ولم يذعنوا له؟ وهل مثل هذا التصوير الكلامي أو الكتابي يكفي لإقناع الناس بمسألة الصلب أو بصدقه فيما يدعيه؟ إن هذا الأمر عجاب!! ولماذا أضاعه النصارى إن كان مقنعا للناس لهذه الدرجة، الحق أقول: إن النصارى في دينهم واهمون، وعن طريق الصواب ناكبون، هداهم الله إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم.

(١) إذا صح أن المراد من هذه العبارة صورة المسيح ورسمه فلماذا إذا ينكر البروتستانت على الكاثوليك والأرثوذكس وضع الصور في كنائسهم ويدعون أنه لا مسوغ لهم في ذلك من كتبهم!!

تذليل للفصل السابق إشراك النصارى غير الله به

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١].

جاء فى إنجيل يوحنا (يو ٢٠: ٢٣) أن المسيح حينما قابل تلاميذه بعد قيامته من الموت قال لهم «من غفرتم خطاياهم أغفر له . ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت» ولم يأت فى عبارته هذه بقيد ولا شرط غير ما تراه فيها من تفويض الأمر كله للتلاميذ!! فلنسأل هنا الأسئلة الآتية:

(١) هل إذا غفروا للمذنب لم يتب تغفر ذنوبه أم لا؟ فإن غُفِرَتْ فأين إذا العدل الإلهي وقد ساووا الطالح بالصالح بكلمة منهم واحدة؟ وأية فائدة للتوبة والاستقامة ما دام الأمر موكولا لهم يهبونه لمن شاءوا ومتى شاءوا ولو لم يستحقه؟ وهل لا يحمل قول المسيح هذا - إذا صح - النفوس على ترك كل عمل من أعمال البر والتقوى والسعى فقط فيما يرضى هؤلاء التلاميذ ونوابهم كالمثلق لهم أو دفع مال أو غير ذلك وترك ما يرضى الله تعالى ما دام الأمر فى يدهم لا فى يده تعالى؟ فأية إباحة للشور والمفاسد أعظم من ذلك؟ وهل لا تعذر النصارى الذين عبدوا هؤلاء القديسين من قديم الزمان بعد أن علموا - من نصوص كتبهم - أنهم يمكنهم أن يفعلوا بهم ما لم يفعله الله نفسه فيغفروا ذنوبهم ولو كانوا على العصيان والشر مقيمين؟ وأية قدرة أكبر من ذلك؟ وإن لم تغفر ذنوب المذنب إلا بالتوبة إلى الله والعمل الصالح فلم لم يشترط ذلك المسيح فى عبارته هذه وجعلها مطلقة كما ترى؟ وإذا اشترط ذلك فما تكون إذا فائدة غفران تلاميذه وأى فرق

بين وجوده وعدمه وما مزيتهم على غيرهم؟ وهل لا تكون هذه العبارة عبثاً ظاهراً وقدرة موهومة أعطاها لتلاميذه؟ وكيف يصل علم هؤلاء التلاميذ إلى أسرار نفوس الناس والوقوف على حقيقة أمرهم حتى يعلموا إن كانت توبتهم صادقة صحيحة يستحقون لأجلها الغفران أم لا؟ فهل أصبحوا آلهة للعالم بكلمة المسيح هذه؟ فغفرانكم أيها الآلهة غفرانكم للعاصين مثلى الكافرين بكم!!

(٢) وإذا لم يغفروا للمذنب تاب ورجع إلى الله وحده فهل يغفر أم لا؟ فإن غفر الله له فما حاجة الناس إذاً إلى طلب الغفران منهم؟ وكيف قال المسيح «من أمسكتكم خطاياهم أمسكت»؟ وإن لم يغفر الله له فكيف وعد التائبين (راجع مثلاً حز ١٨: ٢١ - ٢٤) بالغفران ولم يشترط شيئاً آخر غير التوبة والصلاح في جميع كتب الأنبياء السابقين أى حتى قبل عمل الكفارة المزعومة بصلب المسيح؟ فهل لم يعلم الله فى تلك الأزمنة بأولئك الآلهة الذين أشركهم - بزعمهم - المسيح معه فيما بعد حتى استقل بالعمل وحده بدون مراعاة رضاهم عن التائبين، فماذا يفعل إذا هم خالفوه فى ذلك يوم القيامة؟ وكيف تكون التوبة قبل هذه الكفارة أسهل منها بعدها فإنها كانت قبلها قاصرة على إرضاء الإله وحده وأما بعدها فلا بد من إرضاء غيره معه وهم كثيرون؟ تعالى الله عما يشركون! وكيف لا يقدر الله الغفور الرحيم (مز ٨٦: ٥ وخر ٣٤: ٦) على الغفران بدون إذنهم حتى تكون مشيئته تابعة لمشيئتهم، أما مشيئتهم هم فنافذة - بمقتضى وعد المسيح هذا - كالمساهم بحيث لا تقف أمامها إرادة الله نفسه! فهم إذاً أقدر منه تعالى وأولى بالعبادة دونه وأحق! فأى باعث على الشرك وعبادة البشر أكبر من ذلك؟ فالآلهة إذاً عندهم ليسوا ثلاثة فقط بل هم كثيرون متعددون، فما معنى توحيدهم وأية فائدة منه بعد ذلك؟ وأى ذل واستعباد للناس أكبر من ذلك؟

وأى مبادئٍ أشد حَضاً من مبادئهم هذه على استبداد رؤسائهم الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ ونوابهم في الأرض) استبدادهم بالمرؤوسين وطغيانهم وتصرفهم فيهم كما يشاؤون؟ وكيف بعد ورود هذه العبارة ونحوها في الأناجيل ينكر مبشرو البروتستنت الآن أن كل ما حصل في أوروبا في القرون الخالية من مظالم رجال الكهنوت وغيرهم من رؤسائهم (انظر رو ١٣ : ٢) وأكلهم أموال الناس بالباطل ومفاسدهم واستبدادهم وسفك الدماء والمذابح المظلمة والشقاق الدائم بين فرق النصارى وغير ذلك إنما هو كله كان من النتائج اللازمة لتلك المبادئ التي قررتها كتبهم التي يقدسونها إلى الآن!! وكيف يعقل أن عبارة المسيح السابقة هي من الله؟ أليست هي مما اختلقته شياطينهم ونسبوه كذباً لعيسى عليه السلام، وهو منها ومن أمثالها والله لبرئ^(١) وإلا فكيف تتفق هذه العبارة مع قوله عليه السلام لمن

البروتستنت والعشاء الرباني

(١)

يعتقد البروتستنت أن المسيح قال حقيقة هذه العبارة، وأنه هو أيضاً الذي وضع لهم فريضة العشاء الرباني التي قال في أثنائها لهم «خذوا كلوا هذا هو جسدي (مشيراً إلى الخبز) وأخذ الكأس وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي» (مت ٢٦ : ٢٦ - ٢٨) فبنى النصارى جميعاً من قديم الأزمان على العبارة الأولى وما مائلها (مت ١٨ : ١٨) سلطة رجال الدين ووجوب الاعتراف لهم بالذنوب وقدرتهم على غفرانها الخ.

وعلى العبارة الثانية أن الخبز والخمر يستحيلان فعلاً إلى جسد المسيح ودمه وأنهم إنما يأكلون حقيقة إلههم (يسوع) ويشربون دمه في هذا القربان كما يفعل الوثنيون ببعض آلهتهم. فلذا قست قلوب النصارى على بنى البشر - من باب أولى - ما دام دينهم يأمرهم بأكل إلههم وشرب دمه! ولا أدري لماذا غضب على اليهود وعد عملهم به إساءة له مع أنه كان يطلب منهم ويود أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه!! (انظر يو ٦ : ٥٢ - ٥٩) وكان ما فعلوه به أقل مما طلب. ولماذا لا يغضب على أتباعه الذين يفعلون به ذلك مراراً إلى اليوم؟

أتى البروتستنت في العصور المتأخرة وكذبوا النصارى جميعاً في هذه المسائل وغيرها وأولوها لهم بغير ما عرفوه عن أقدم آباء النصرانية ولكننا نعجب غاية العجب كيف أن جميع أتباع =

سألته أن يجلس ابنها واحدا عن اليمين وواحدا عن اليسار في مجده قوله لها «وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى» (راجع متى ٢٠: ٢٣ ومرقس ١٠: ٣٧-٤٠) فإذا كان هو نفسه لا يمكنه أن يعطى شيئاً إلا لمن أراد الله فكيف إذا تعطى تلاميذه الغفران لمن شاءوا ويمنعونه عن شاءوا؟ إن هذا الأمر عجيب .

=المسيح حتى أحدثهم به عهدا لم يفهموا مراده من تلك العبارات - إذا صح أنه هو قائلها - وبقوا على الضلال فيها إلى القرن السادس عشر!؟ فلم يسمع عن أحد منهم ما يقوله البروتستنت فيها الآن.

فإذا جاز عند البروتستنت أن يصل ضلال جميع النصارى فى دينهم إلى هذه الدرجة وأن لا يفهموا مراد المسيح الحقيقى طول هذه القرون التى كانوا فيها يتخبطون فى أعمالهم وعقائدهم فكيف لا يجوز أنهم ضلوا فى غير ذلك - كما نقول- وكانوا من الواهيمين؟
إصلاح الإسلام للعقائد

وكيف إذا ينكرون حاجتهم إلى بعثة رسول الله وإلى ما جاء به من الإصلاح الكامل الذى سبق به جميع مصلحيهم حينما كانوا لا يخطر على بالهم أنهم فى دينهم واهمون، وفى الضلال هائمون؟ مع أنه لولا أن جاء عليه السلام ما اهتموا إلى هذا الإصلاح، أو لتأخر رقى العالم فى العلم والدين والمدنية إلى زمن أبعد وقرون أكثر فإنه هو وأمته هم الذين نشروا كل ذلك فى العالم القديم أجمع وأيقظوا النصرانية من سباتها العميق الطويل، فلو لم يكن مرسلا من الله فهل يعقل أنه تعالى الحكيم الرحيم بعباده يتركهم ضالين فى أمورهم، حيارى فى دينهم، ظالمين مفسدين، أغبياء جاهلين، لا يعرف أحد منهم للصواب والحق اليقين والعلم سبيلا حتى كان أكبر قاداتهم (بولس) يمدح الجهل والجهال ويذم الحكمة والحكماء ويقبل الناس ذلك منه على أنه وحى من الله مقدس (انظر مثلا ١ كو : ١٧-٢٥ و٢٧) فتركوا العلم وحرموا أنفسهم من استعمال العقل فى كل شئ حتى ضلوا بعيدا فلذا جاء القرآن بعكس ذلك وذم فى أكثر صفحاته الجهل والجهال والتقليد ومدح العلم والعقل والتفكر وأوجب النظر فى ملكوت السموات والأرض والبحث فى آياتهما كما هو معلوم للمطلعين عليه فهض بالعقل البشرى نهضة لم يسبقها كتاب ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

وإذا كان النصرارى يعتمدون قدرة التلاميذ على التصرف فى الكون (مت ١٦: ١٩ و ١٨: ١٨) وغفران الذنوب ودينونة الخلائق والملائكة يوم القيامة (١ كو ٦: ٢ و ٣) وأن كلمة أحدهم تنقل الجبال ولا يستحيل عليها شئ كما سبق (مت ١٧: ٢٠) فأى شئ أبقوة لله تعالى بعد ذلك كله سوى عمله بحسب مشيئتهم وانقياده لأوامرهم ونواهيهم؟ وهل هذا هو التوحيد الذى جاء به عيسى وجميع الأنبياء قبله؟ وهل إلى هذا الشرك والوثنية يدعون المسلمين الموحدين ولا يخجلون؟ فأى عقل أسخف من هذا؟ ومن الذى جن حتى يقبل ذلك منهم؟

بعثة محمد صلى الله عليه وسلم و آثارها

ومما تقدم هنا تعلم حكمة بعثة محمد ﷺ فى ذلك الزمن الذى بعث فيه ومقدار حاجة العالم إليه وقتئذ وحكمة إكثاره قبل كل شئ من الدعوة إلى التوحيد الحقيقى والتنزيه بعد أن امتلأ العالم كله بالشرك والوثنية والتشبيه والتجسيم، فهو إمام المصلحين وسابق المتأخرين منهم جميعا الذى أزال غياهب الباطل وظلماته ونشر الحق فى الأرض ودعا لعبادة الله تعالى وحده، فخلص الناس من الذل والاستبداد والاستعباد وساوى بين عباد الله أجمعين فمحق بذلك الظلم ورفع النفوس إلى أعلى ذروة من الكمال البشرى وأطلقها من أسر التقليد والأوهام والخرافات للعمل النافع والتعقل والتفكر فى الدنيا والآخرة (راجع القرآن ٢: ٢١٩) فانتشر فى العالم بسرعة خارقة للعادة العلم والحرية الصحيحة والرخاء والمساواة والإيمان بالحق

والمدينة الراقية التي كانت أساساً لمدينة أوروبا الحالية (١) فله دره وما أكبره من مصلح عظيم، ونبي كريم، ورسول من الله أتى بالخير العميم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، فلولا وحى الله إليه لما أمكنه الإتيان بعشر ما أتى به وهو ربيب الجاهلين المشركين الوثنيين ولم يغيب عن قومه غيبة تمكنه من تعلم القليل فضلاً عن الكثير، وأية بلاد كان فيها جميع ما أتى به الإسلام من الحقائق، والعقائد الراقية، والمبادئ الصحيحة، والأصول القويمة، للدين الحق الكامل فى كل شئ؟ مع أن بعض هذه الأشياء لم تقف عليها أرقى علماء الغرب أو لم يجزموا بها إلا فى الأعوام الأخيرة! وقد كانوا من قبل ظهور الإسلام إلى مئات من السنين بعده كالأنعام لا يهتدون إلى العلم والحق سبيلاً، يسوم بعضهم بعضاً سوء الظلم والاستبداد والاستعباد والاضطهاد حتى أضاع لهم قيس من نور الإسلام فى الشرق فكان له هادياً وللرقى دليلاً، سنة الله فى كل من اتبع مبادئ دينه القويمة، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

(١) بين الإسلام والمسيحية

يقول بعض العلماء الباحثين : إن الإسلام أوجد قديماً حينما كان الناس متمسكين بتعاليمه - أكبر دول فى العالم وأعظمها علماً ورقياً ومدنية وأنتج فى كل علم كثيراً من كبار العلماء والفلاسفة والحكماء المفكرين وأما تعاليم المسيحية المعروفة فما زالت تفت فى عضد الدولة الرومانية وهى دولتها الوحيدة إذ ذاك حتى قضت عليها ولم تنتج فى مئات من السنين علماً واحداً من كبار المحققين بل كان رجال الدين منهم يمتقنون العلم ويضطهدونه اضطهاداً شديداً وكلما ظهر بينهم أحد بدا عليه شئ من العلم والتفكر ثاروا عليه وأخمدوا أنفاسه بأقطع طرق الإعداد بحجة مخالفته للدين أو نصوص كتابهم المقدس وكل ذلك معروف مشهور فلا حاجة لنقل شواهد هنا وكيف لا تضطهد ديانتهم هذه العلم والعلماء وهى فى كل عقائدها وتعاليمها مناقضة للعقل الصحيح والفضيلة البشرية على خط مستقيم كما لا يخفى ، وما ارتقت أوروبا إلا بعد أن تركتها بتناً وأخذت بتعاليم أشبه بتعاليم الإسلام من كل شئ آخر وما نبغ بينهم الآن عالم محقق وفيلسوف كبير إلا وهو للمسيحية عدو مبين، أما فلاسفة المسلمين فكانوا فى كل زمن أشد الناس حباً للإسلام، وتمسكاً به، وغيره عليه. فهل تستوى الظلمات والنور؟!

الإسلام امتداد للأديان الحقّة

ولا يتوهمن القارئ مما ذكرناه هنا أن أحداً من المسلمين يقول إن «جميع» ما أتى به الإسلام لم يكن معروفاً عند الأمم الأخرى قبل نزول القرآن. كلا فإن هذه الدعوى لم يدعها أحد من المسلمين ولن يدعيها كيف وقد قال القرآن الشريف نفسه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] وقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] وقال ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] وقال ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] وقال ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل ٧٦، ٧٧] وغير ذلك كثير.

العوامل المشتركة بين الإسلام والأديان الأخرى

فما في القرآن مما يوجد مثله في الأديان الأخرى نوعان:

- (١) إما أن يكون مما أوحاه الله إليهم وأبقاه الإسلام لما فيه من المصلحة للناس.
- (٢) وإما أنه من الأشياء المستحسنة الصالحة التي وصل إليها الناس بعقولهم وكانت موافقة لحالتهم ونافعة لهم فأقرها الإسلام ولو لم تكن في الأصل وحياً فإن

الغرض من نزول القرآن وغيره من الكتب الإلهية هو «الإصلاح» لا محو كل شئ موجود من قبل ولو كان صالحا نافعا فإن الأنبياء مصلحون لا إعداميون. ولذلك قال المسيح (مت ٥: ١٧) «ما جئت لأنقض بل لأكمل» وقال الله تعالى على لسان شعيب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨] ولا شئ أكثر موافقة لحال الناس مما وصلوا إليه بأنفسهم كما لا يخفى.

فائدة الوحى

فائدة الوحى إذاً إلى الأنبياء هى:

أولاً: إرشادهم إلى أصلح الموجود وأنفعه لأمتهم ليقوه وليمحو الفاسد الضار من بينهم، ولو اعتمدوا على العقل وحده فى هذا العمل لوقعوا فى الخطأ والضلال من حيث يريدون النفع ولذلك قال القرآن فى الآية السابقة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود ٨٨].

ثانياً: هى الإتيان بأشياء جديدة لم تكن تعرفها الأمم السابقة وقد بينا بعض ما أتى به الإسلام مما لم يسبقه أحد فى بعض كتبنا ورسائلنا فلا حاجة للتكرار هنا فما فى القرآن موافقاً لما عند الأمم الأخرى إنما هو لصحة ذلك عن أنبيائهم أو لصلاحه ونفعه وما فيه مخالفا لها هو لفساده وخطئه وضرره لتحريف كتبهم على ممر الأزمان فإن القرآن جاء ليبين لهم ما كانوا فيه يختلفون.

استمداد المسيحية من هواريث الأمم السابقة

ولو كان وجود أشياء فى الدين المتأخر مما فى الدين المتقدم يدل على كذب نبي الدين المتأخر لكان موسى مثلاً من الكاذبين فإن بعض شريعته يوجد مثله - مع

اختلاف طفيف جدا - فى (شريعة حمورابى البابلى) التى اكتشفت سنة ١٩٠٢ وهى أقدم من التوراة بنحو عشرة قرون ولكان عيسى أيضاً كاذباً لأن جُلَّ نصائحه وتعاليمه - إن لم نقل كلها - كانت موجودة حرفاً بحرف فى كتب اليهود من قبل كما بينه كثير من علماء الإفرنج (راجع مثلاً كتاب «النصرانية والأساطير» ص ٤٠٣ - ٤٢٣ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٣٥ - ٢٨٨).

بل إن بعض حكم المسيح ونصائحه يوجد مثلها أيضاً فى كتب حكماء اليونان والهند والصين الأقدمين مثل (كونفيوشس) الصينى الذى مات سنة ٤٧٩ قبل الميلاد حتى أن حكمة عيسى عليه السلام الذهبية التى يفتخرون بها صباح مساء وهى قوله مت ١٢:٧ (فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء) قال مثلها تماماً كونفيوشس المذكور وأرسطوا أيضاً فى منتصف القرن الرابع قبل المسيح وغيرهما كثيرون (راجع كتاب «لغز العالم» تأليف إرنست هيكسل ص ١٢٤).

وجاء فى سفر (طوبيت) من أسفار اليهود غير القانونية قول كاتبه ٤:١٦ (ما لا تحب أن يفعله بك أحد لا تفعله بغيرك) .

وفى التلمود: قول هيلل (Hillel) (ما لا تحبه لا تفعله بقريبك، فإن هذا هو التعليم كله).

فإن قيل: إن هذه العبارات اليهودية بصيغة سلبية وهى لا شك أقل فضيلة من عبارة المسيح السابقة الواردة بطريقة إيجابية.

قلت: إن عبارة المسيح هذه كانت أيضاً بطريقة سلبية فى نسخ الأناجيل القديمة ولكن النصارى حرفوها فيما بعد لتكون أكمل وأرقى (راجع كتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٦٧).

وجاء في سفر اللاويين ١٩: ٣٤ الأمر بمحبة الغريب النازل في وسط اليهود كمحبة النفس وفي سفر الخروج ٢٣: ٤ و٥ ورد الأمر بمساعدة العدو . راجع أيضاً أمثال ٢٤: ١٧ و٢٥: ٢١ و٢٢: ٢٩ وغير ذلك كثير وفي التلمود قوله (أحب من عاقبك) وقوله (خير لك أن يسيئك غيرك من أن تسيء) وقوله (الأفضل أن تكون من المضطهدين (بالفتح) لامن المضطهدين).

أما قول المسيح مت ٥: ٤٤ (باركوا لأعينكم، أحسنو إلى ^(١) مبغضيكم) فلا وجود له مطلقاً في أقدم نسخ الأناجيل كما ذكره العلامة (أرثر درور) في كتابه عن «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٦٩ وإذا فهو من مخترعاتهم، على أن قول عيسى (أحبوا أعداءكم) ليس بأحكام مما نقلناه هنا عن كتب اليهود لأنه تكليف بما لا تطيقه النفس البشرية فهو من الغلو لا يمكن لأحد العمل به مطلقاً لأن قلب الإنسان لا يمكن إرغامه على مثل ذلك .

وهل من العدل والعقل أن يساوى الإنسان بين الصديق والعدو فيضعهما في قلبه وبتزلهما منزلة واحدة؟ وهل لا يحمل هذا بعض الخبيثاء الأشرار على الاسترسال في الأذى وعدم الكف عن الطغيان؟ ولماذا لا يفعل أحد من النصارى بهذه الأوامر ولا دولة من دولهم؟

(١) تذكر قول القرآن: ﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد ٢٢] وقوله ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] ولكن ذلك ليس بمحتم بل الأمر في الآية للندب لا للوجوب لقوله تعالى ﴿وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] إلى قوله ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٣].

بين المسيح والحكماء السابقين

وهنا نسأل المبشرين: هل أولئك الشارعون والحكماء - أمثال حمورابي ملك بابل، وكونفيوشس حكيم الصين، وغيرهما ممن ذكرنا وعن لم نذكر - هل وصلا إلى ما وصلا إليه بالعقل أم بالوحي؟ فإن كان وصلا إليه بالعقل لكانا إذاً أعقل وأرقى من موسى وعيسى اللذين ما وصلا إلى ما وصلا إليه إلا بعون الله ووحيه كما يقول المليون، وخصوصاً لأن شريعة حمورابي أكمل مما فى هذه التوراة باعتراف القس روس (Rouse) الإنكليزى وغيره فى كتابه «نقد العهد القديم بنور العهد الجديد» ص ٦٤ .

وإذا كان من مبطلات وحي القرآن عندهم وجود بعض أشياء فيه موجودة عند الأمم الأخرى فلم لا يبطل ذلك أيضاً وحي التوراة والإنجيل؟ ولم خص الله بنى إسرائيل - كما يزعمون - بالوحي والنبوة وهم من أقل الأمم عقلاً ومن أكثرهم ميلاً للضلال والكفر حتى أنهم كثيراً ما ارتدوا هم وبعض أنبيائهم وعبدوا الأصنام مع كثرة المعجزات فيهم وتعدد الأنبياء بينهم لدرجة مدهشة؟ وقد انتهى أمرهم أنهم أنكروا المسيح وصلبوه وقتلوه وبقي اليهود مصرين على كفرهم به إلى اليوم؟ فهل من الحكمة والعدل أن تكثر الأنبياء بينهم إلى تلك الدرجة المعروفة ويحرم الله أمم جميع العالمين قاطبة من رسل إليهم منهم أو من غير أمة اليهود المعاندين المرتدين الكافرين؟ فكيف يؤاخذ الله تلك الأمم ويلزمهم بالإيمان بما لا يؤمن به اليهود أنفسهم الذين كثرت بينهم الآيات والمعجزات وتعددت منهم الأنبياء والرسل؟ وكيف تكون جميع نعم الله تعالى على عباده فى هذا العالم مقسمة بين جميع الأمم على شئ من المساواة (التامة أو الناقصة) ويحرم بالمرّة جميع الناس ماعدا اليهود من أكبر نعمه وهى نعمة التجلى لهم والقرب منهم بالوحي والنبوة والإرشاد الإلهى الأكبر ويعطى ذلك كله لليهود وحدهم؟!

جهل «يهوه» وظلمه

والأغرب من ذلك أن يكون اليهود هم المقصودين أولاً وبالذات من بعثة عيسى حتى ما كان يجوز له ولا لرسله دعوة غيرهم من الأمم إلا إذا رفض اليهود الدعوة كما سنيته (انظر مثلاً مت ٢٤: ١٥ و أع ١٣: ٤٦ و ١٨: ٦ و ١٦: ١) فكان جميع الأمم عند رب العالمين «كلاب» وقد سماهم المسيح نفسه بذلك فقال مت ٢٦: ١٥ «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» !! وإذا قارنا اليهود بمن في السموات والأرض من ملائكة وأناسٍ ودواب وجن وغير ذلك بما فيهم من صالح وطالح ومهتدٍ وضالٍ، وعلمنا - بحسب دين النصارى - أن الله لم يهتم بغير اليهود، حتى تجسد ونزل إلى الأرض وحبس في هذا الجسد الإنساني إلى الأبد من أجلهم أولاً، فرفضوه وأهانوه وقتلوه، أدركنا كيف أن إلههم قد وضع الشيء في غير محله وأخطأ المرمى مرارا وظلم غيرهم بعدم اعتنائه بهم عنايته باليهود مع احتياج جميع المخلوقات إلى هدايته مثلهم ورعايته وتدييره لهم؛ ولكنه أهملهم ويعد ذلك كله لم يعرف كيف يخلص اليهود أنفسهم بل أوقعهم في الهلاك الأبدي بصلبهم له وحكم عليهم بالنار الدائمة فهو إذاً إله جاهل ظالم عاجز قاس حتى لم يعمل هو نفسه بما ألزم به الناس - عندهم - من «وجوب» درء السيئة بالحسنة والبغض بالمحبة (مت ٥: ٣٩ - ٤٨) فصار متمماً حقوداً حتى على مختاربه اليهود!! فكيف يوجب على الناس بعد ذلك ما لم يقدر عليه هو نفسه؟ وكيف جهل كل هذه النتائج السيئة ولم يعدل بين مخلوقاته العدل الممكن.

تعدد العوالم فى القرآن وعلم الفلك

قارن هذه العقائد بقول القرآن الشريف ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] وقوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩] وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ٢٩] الخ.

فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الأرض!! فانظر رعاك الله إلى هذه الحقائق الدينية العلمية السامية التي جاء بها الأملى وهي ما كانت تخطر على بال واضعى دينهم ومؤلفى كتبهم المقدسة، بل إن وجود دواب فى السموات كما فى الأرض ما كان يعرفه أحد من العالمين وخصوصا مؤلفى كتبهم الذين كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن المملكة الرومانية فقط (راجع ص ١٤ من هذه الرسالة).

(١) كان الاب مراكى (Marracci) وغيره من علماء النصرارى يطعنون فى القرآن لقوله بتعدد العوالم فى هذه الآية وغيرها مثل قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] (راجع ترجمة سيل للقرآن هامش ٢ لسورة الفاتحة) وقد أصبحت الآن هذه المسألة حقيقة علمية فلكية لا شك فيها والدابة تطلق على كل حيوان يدب (أى يمشى) ولو كان عاقلا كما يفهم من قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٥].

ولنرجع إلى ما كنا فيه: وإن كان وصل أولئك الحكماء الفضلاء المصلحون للأمم إلى ما وصلوا إليه بالوحي الإلهي فلم إذا أخذ المبشرون ينكرون على القرآن مثل قوله ﴿وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١) [النحل: ٣٦] وقوله: ﴿وَرَسُولًا

(١)

أما النبوة ونسل إبراهيم

قول القرآن الشريف في إبراهيم ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [عنكبوت: ٢٧] فيجوز أن الألف واللام فيه للعهد أي النبوة والكتب المعهودة المعروفة عند العرب المخالطين وهي أرقى وأشهر ما أعطى الله تعالى للناس بعده فلا ينافي ذلك أنه أعطى لغير أولاد إبراهيم من الوحي والكتاب مالم تعرفه العرب ولم تسمع به وإن كان في الغالب أقل درجة مما أعطى لأولاد إبراهيم ويجوز أن ذريته كثرت وانتشرت في سائر بقاع الأرض مع القبائل الرحل في تلك الأزمنة وامتزجت بجميع الأمم امتزاجاً تاماً حتى صارت منهم، ومن هذه الذرية كانت جميع الأنبياء الذين أتوا بعد إبراهيم حتى من ظهر منهم في أمريكا فقد كانت متصلة بالعالم القديم في سالف الزمان، ولا تنس أننا لا نعلم تاريخ وجود إبراهيم باليقين.

وهذا التفسير الأخير يساعده ما يتبادر من قوله تعالى بعد ذكر بعض أولاده الأنبياء ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧] إلى قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ويوافق أيضاً التوراة الحالية (انظر مثلاً تك ١٧: ٢٢ و١٨).

أما تغلب الكفر والوثنية، والجهل والشر على تلك الأمم في عصور مختلفة كثيرة فهو كتغلب المرض على الصحة في الأحياء جميعاً حتى يقتلها وتغلب الضعف والاضمحلال على الدول حتى يذهب بها، وكطروء النسيان على الذاكرة فيمحو ما علق بها من المعلومات، سنة الله في خلقه ليكون العالم في حركة دائمة ما بين صعود وهبوط، وأخذ وعطاء وعلم وجهل، وصحة ومرض، وحياة وموت، وتقدم وتأخر إلى غير ذلك من الصفات الملازمة لكيان هذا العالم واللزامة لإظهار كل نواميس الوجود وإبراز جميع مواهب الإنسان وغيره لميدان العمل، وهي أدل دليل على حدوث هذا الكون ووجود خالقه الأزلي تعالى. وكل أمر من ذلك سيستقر ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] وهذه الآية الشريفة تنطبق على العلوم الطبيعية وغيرها الحديثة القائلة بتنازع البقاء وبقاء الأنسب ومسير كل ما في العالم في سبيل الارتقاء والكمال، فإن العالم كالنهر الجاري =

قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴿[النساء ١٦٤]﴾ أما عدم علمنا بكل أولئك الرسل فلا يطعن فيما قرره القرآن - لغموض التاريخ القديم ونقصانه واختلاطه كثيرا بالباطل - كما لا يطعن في صحة قصص التواتر وغيرها عن وجود بني إسرائيل في مصر وخروجهم ^(١) منها وغرق المصريين وآيات موسى

= ترتفع أمواجه وتنخفض ولكن ذلك لا يوقف سيره ولا يمنع تقدمه للأمام، فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) تاريخ بني إسرائيل في القرآن موافق لأقدم الروايات التاريخية

جاء في كتاب «الأصول البشرية» ص ٨٨ لمؤلفه لينج أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير نقل عن (مانيثو) هذه الرواية المصرية القديمة التي ملخصها «أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر - الذي فر إلى بلاد الحبشة - حكم مصر ١٣ سنة وبعده ذلك عاد إليه فرعون هو وابنه ومعهما جيش عظيم فقهره وأخرجوه منها إلى بلاد الشام» وجاء في قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٤١٠ أن هيرودتس وهو المؤرخ اليوناني الشهير في القرن الخامس قبل الميلاد قال «إن ابن (سينسوسترس) ضرب بالعمى مدة عشر سنين لأنه رمى رمحه في النهر وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه بسبب نوء شديد إلى علو غير اعتيادي» أ هـ.

ويقول المؤرخون إن ابن (سينسوسترس) هذا (وهو منفتح الثاني) هو فرعون الخروج ويتخذون هذه العبارة إشارة إلى غرقه في زمن موسى. ولكن يرى القارئ منها أنها لو كانت إشارة إلى الغرق لكان الغرق في النيل، ومن الرواية الأولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة في مصر.

وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها وربما كانتا الوحيدتين في هذه المسألة، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة فأرسلت إليهم جيشاً فأوحى الله إلى موسى بالخروج حيثئذ من مصر وتركها لهم، وعليه يجوز أن المصريين تكتموا خبر غرق ملكهم واستبدلوه بدعوى تفهقره إلى الحبشة وقالوا إنه هو الذي عاد بعد ذلك وأخرج موسى بالقوة سترأ لخزيهم وخذلانهم وإرضاء لملوكهم وأسر هؤلاء الملوك وربما أنه لولا عظم هذه الحادثة وشهرتها بين الناس لأنكروها بالمره.

ومن ذلك نعلم أن الخروج لم يكن عقب غرق المصريين مباشرة كما يفهم من التواتر ولم يكن السبب فيه هذه الحادثة التي غرق فيها فرعون وجيشه بل كان بعد ذلك ببعض سنين.

بينهم الخ. لا يطعن في ذلك عدم وجود ما يؤيدهما الآن من الآثار المصرية

= ويرى المطلع على القرآن الشريف أن هاتين الروایتين صادقتان في مسألة غرق فرعون في النيل ومسألة حكم موسى في مصر ١٣ سنة. أما الغرق في النيل فيفهم من قول القرآن مثلاً في سورة طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٢٨) أَنْ أَدْفِنِي فِي التَّابُوتِ فَأَدْفِينِي فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ﴾ [طه: ٣٨، ٣٩] ثم قوله في آخر هذه القصة ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] فالتبادر من ذلك أن فرعون غرق في نفس اليم الذي ألقى فيه موسى وهو النيل ومثل ذلك أيضاً ما جاء في سورة القصص وهو قوله: ﴿فَإِذَا خَشِيتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧] ثم قوله فيها بعد ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] أما مسألة حكم موسى في مصر والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضاً المتبادر من نحو قوله تعالى ﴿فَأَرَادَ (أبي فرعون) أَنْ يَسْتَفْزِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٢) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٣، ١٠٤] وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧: ٥٩] ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر.

وفي زمن موسى أعطى الله بنى إسرائيل - بدلا عن مصر التي أمرهم بتركها - الممالك التي في شرق الأردن كما في كتبهم، وفي زمن يسوع أعطاهم كل أرض كنعان إلا بعض أجزاء منها (يش ١٣: ١) وهذه الأرض التي أعطيت لهم هي من أخصب أراضي العالم وأحسنها وهي المسماة عندهم بأرض الموعد لأنهم كانوا وعدوا بها من قبل.

فأين لمحمد ﷺ على ما بيناه من ذلك التاريخ وهو أجنبي عنه وعن قومه ومغاير للتوراة ومخالف لما يعتقد جميع اليهود والنصارى من قديم الزمان ولكنه موافق لأقدم الروايات المصرية وأصحها التي لا يعرفها - حتى الآن - إلا واسعوا الاطلاع من محققى المؤرخين؟
أما مانيتو (Manetho) المذكور هنا الذي وافقت روايته ما جاء في القرآن الشريف فكان كاهناً لمعبد من أقدم المعابد وأشهرها، وقد كتب تاريخ مصر بأمر بطليموس فيلادلفوس في القرن الثالث قبل المسيح وكان من أدق مؤرخى القدماء وأصدقهم وقد أخذ بأوثق المصادر وأصحها في كتابة تاريخه، إلا أن هذا التاريخ فقد مع ما فقد في حريق مكتبة الإسكندرية ولم يبق منه سوى مقتطفات في بعض الكتب القديمة اليونانية وقد أيد أكثر هذه المقتطفات ما اكتشف حديثاً من الآثار المصرية والمكتوبات العتيقة مع أن آباء النصرانية كيوستينيوس حرفوا - كعادتهم - كثيراً مما نقلوه منها لتطابق نصوص العهد القديم كما ذكره العلامة (لينج) في كتابه «الأصول البشيرية» ص ١١ منه.

القديمة (راجع كتاب «صدق المسيحية» ص ٢٠٤ و٢١٢ وكتاب «الأصول البشرية» ص ٨٨ و٨٩ و٩٢).

على أن العلماء المحققين قد أصبحوا الآن يشكون في أكثر ما في التاريخ القديم من الحوادث والحكايات لتعذر الوصول إلى حقيقته حتى أنهم شكوا^(١) في وجود مؤسسى الأديان المعروفة كموسى وعيسى ما عدا محمد عليهم الصلاة والسلام (راجع مثلاً كتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٣٨ و٢٣٩ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٩٤ و٢٩٥).

وبما تقدم تعلم فساد - بل هذيان - ما في كتب المبشرين مثل كتاب (مصادر الإسلام) وكتاب (علم الأعلام في حقيقة الإسلام) وغيرهما فإن وجود أشياء في القرآن مثل الموجودة عند الأمم الأخرى مما يؤيد صحة قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) ونحوه مما سبق ذكره في كتبهم هذه يصح أن يكون حجة للقرآن لا عليه فليتدبروا في ذلك إن كانوا يعقلون وللحق والهدى يطلبون.

(١) سبب شك علماء أوروبا في العهد القديم

من أكبر أسباب شك علماء أوروبا المحققين في حوادث كتب العهد القديم وغيرها: هو ما جاء فيها من تعيين الأوقات والسنين، والأماكن وعدد الرجال، وغير ذلك من التفاصيل التي كلما تعمقوا في البحث فيها وطبقوها على الآثار والمكتوبات القديمة ونحوها رجعوا بالخيبة والفشل فلا أنكروا هذه القصص بحذافيرها (راجع مثلاً الفصل السادس والسابع من كتاب «الأصول البشرية» تأليف صمويل لينج) ومن ذلك تعلم الحكمة في ترك القرآن أمثال هذه التفاصيل لأنه إن ذكرها كما هي في كتب أهل الكتاب لكانت خطأ وإن ذكرها على حقيقتها وخالف كتبهم فيها كلها لظنه الناس في تلك الأزمنة الجاهلة مخطئاً خطأ كثيراً فاحشاً وضحكوا منه وسخروا وشك أكثرهم في صدقه فكان تركها عين الحكمة ولذلك بقى القرآن إلى الآن بعيداً عن أكثر مطاعن علماء النقد من هذه الوجهة فيالله ما أحكمه من كتاب، ولولا وحى الله لظن الأمى صحة كل ما في كتب أهل الكتاب ونقل عنهم شيئاً كثيراً من هذه التفاصيل المغلوطة.

فصل فى بعض آيات القرآن فى هذه المسائل السابقة والمقارنة بينها وبين ما جاء فى كتبهم عن المسيح وغيره نص القرآن على فساد الأنجيل

مما تقدم فى الكلام عن الإنجيل نعلم الحكمة فى كون القرآن الشريف لم يقل فى موضع ما منه أن النصارى حرفت الإنجيل كما قال مثل ذلك فى اليهود مراراً لأن النصارى لم يكن عندهم فى وقت من الأوقات (إنجيل عيسى) فحرفوه كما كان عند اليهود (توراة موسى) فحرفوا بعضها ونسوا البعض الآخر منها فلذا قال تعالى فى اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾. أما النصارى فلم يكن عندهم من الإنجيل إلا بعض أقوال قليلة كما بين سابقاً ونسوا أكثر فلذا قال تعالى فيهم ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] أى عقب المسيح مباشرة كما يدل عليه العطف بالفاء.

وهذه الأقوال القليلة التى حفظوها عن المسيح تناقلوها أولاً بالروايات الشفهية ثم كتبوها وضمنوها فى كتب كانت تراجم لحياة المسيح سموها بالأنجيل وضموا إليها ما شاءوا من الأقوال والحوادث المخترعة والحقيقية ونسبوا كلها للمسيح عليه السلام حتى اختلط عندهم الحق بالباطل بحيث يتعسر الآن أو يتعذر تمييز جميع أقوال المسيح الصحيحة عن الأقوال المنسوبة إليه كذباً وقد اعترف يوحنا بأنه لم يكتب عن المسيح كل شئ (يو ٢١: ٢٥) فلم يكن الإنجيل موجوداً وحرفوه بل أضاعوا كثيراً منه كما قال تعالى ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] أى جزءاً عظيماً منه وما بقى اختلط بكثير من الآراء المتنوعة والمذاهب المختلفة باختلاف الأهواء والأغراض والعقول فقد توخى كل من كتب منهم إنجيلاً فى الأزمنة الأولى لتأييد غرض أو مذهب مخصوص أدته إليه معلوماته أو فلسفته كما سبق.

لذلك قال تعالى للنصارى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

وَصَلُّوا عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ [المائدة: ٧٧] وقال في أهل الكتاب عموماً ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] وقال ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ولعل الحكمة في إرادة الله تعالى اختلاف آراء النصارى ومذاهبهم في عقائدهم وغيرها هذا الاختلاف المعروف قبل البعثة المحمدية: هي إشباع العقول من كثرة البحث والتفكير^(١) وتوسيع معلومات الناس وتكبير مداركهم وترقيتها بذلك حتى تتهيأ لقبول العقائد والتعاليم الإسلامية بعد تشويقها إلى معرفة الحقيقة وتطلبها الوقوف عليها حتى إذا عرفتها - بعد هذا التعب الشديد والضلال عنها وإن كانت سهلة كما هو شأن الحق دائماً - عضت عليها بالنواجذ وما فرطت فيها الزمة المحمدية تفريط من قبلها كبنى إسرائيل الذين أوحى إليهم الحق فلم يعرفوا قيمته .

رفض النصارى لأحكام العقل

(١)

لما آلت إلى النصارى السلطة الدنيوية ورأوا أن البحث العقلي يؤدي الناس إلى رفض عقائدهم التي أكرههم عليها كما سيأتي حاولوا إخماد ميل الفطرة البشرية إلى ما تشرئب إليه فحرموا من قديم الزمان استعمال العقل في مسائل الدين واعترفوا - ولا يزالون يعترفون - بأنه لا يمكن للعقل البشرى إدراكها وأنه لا يجوز له رفضها وإن خالفته وناقضت أحكامه ولا أدرى كيف بعد ذلك يشبتون صحة أصل دينهم مع أن دلالة المعجزة على النبوة أساسها العقل؟ وليس هذا فقط بل كان رؤساؤهم يمنعون الناس من الاطلاع على كتبهم الدينية بأنفسهم قبل الإصلاح البروتستنتي لئلا يقفوا على عيوبها وتضاربها ومناقضتها للعلم والعقل فسدوا بذلك كل منفذ للبحث والتفكير بين أشياعهم ولكن لما أباح البروتستنت قراءة هذه الكتب بفضل ما وصلهم من دين المسلمين وكتبهم اشتغل الإفرنج بالبحث في هذه الكتب وهم الآن على وشك أن يرفضوها كلها. وإن كان بعضهم قد نبذها فعلاً وراء ظهره قبل الآن بقليل إلا أن المحامين عنها لا يزالون كثيرين!! والله في خلقه شؤون.

ولو ضلت الأمة المحمدية كلها عن الحقيقة وهي آخر الأمم لاحتيج إلى وحى جديد ولكن أراد الله أن يختم بمحمد النبوة لارتقاء البشر في عهده وكفاية العقل والقرآن لهدايتهم فلذا كان ما كان وصان القرآن .

ولو أراد الله بقاء كتبهم للعمل بها إلى يوم القيامة كما يزعمون لصانها كما صان القرآن الشريف من التحريف والتبديل والضياع، ومع ذلك فقد أبقى الله تعالى فيها من العقائد الصحيحة والحكم والنصائح العالية ما فيه هداية للمفكرين، وما به إظهار كذب أهل الكتاب ودسهم على أنبيائهم ما لم يأتوا به وما لم يقولوه ولذلك نجد - إذا تأملت - ما دسوه قلقاً مضطرباً لا يتفق مع تعاليم الأنبياء الأصلية كما سبق تفصيل بعض ذلك في هذه الرسالة، ولكن لا يدرك كل الناس الفرق بين الحق والباطل في هذه الكتب ولا يزالون في أمرها مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .

وما الأديان في هذا العالم إلا كباقي الأشياء الأخرى قابلة للتبدل والتغير الذي به تسترد شبابها وقوتها . ألا ترى أن الأشجار مثلاً تذبل وتسقط أوراقها كل سنة في زمن الشتاء حتى تصير كالميتة، ثم إذا ذهب الشتاء انتعشت، وأورقت وأزهرت وأثمرت، وصارت أقوى وأبهج مما كانت، فلا يعيق ذلك الذبول المؤقت صحتها وقوتها بل تكتسب به شباباً جديداً في كل سنة فكأنها تكتسب من الضعف قوة ومن الذبول والتغير صحة وشباباً ورقياً ^(١) فكذلك سنة الله في الأديان وغيرها فهي وإن

الوثنية والعقائد المسيحية

(١)

لما لاحظ القدماء ضعف الشمس في زمن الشتاء وذبول الأشجار وسبات بعض الحيوانات أو موتها المجازي في ذلك الفصل وبعبارة أخرى موت الطبيعة وجزئياتها التي كانوا يعبدونها اعتقدوا جواز الموت على الآلهة وقالوا إنه بسبب هذا الموت يحصلون على حياة أقوى وأرقى كما يسترد الإنسان قواه بعد النوم فلما عبدوا البشر واتخذوا منهم آلهة قالوا أيضاً بموتهم وقيامتهم (بعثهم) وارتفاعهم إلى سماء الكمال والجلال وتغلبهم على الموت الأدبي والحقيقي .

ومن ذلك نشأت عقيدة النصارى في موت المسيح وقيامته وصعوده وتغلبه على الموت كما =

تبدلت وتغيرت فى بعض الأوقات إلا أن ذلك يكسبها قوة وتقدما ورقيا بنهوض العقل البشرى للبحث والتفكر فيها وبما يوحيه الله للناس من جديد فتعود إليها صحتها ويرجع إليها شبابها وتصير أحسن مما كانت بعمل الأنبياء والمصلحين الذين يكونون لها كالشمس والماء للأشجار .

= تتغلب الشمس والأشجار وغيرهما على موت الطبيعة (الكون) بعد أن تخضع له مدة الشتاء وهى ثلاثة أشهر، فجعل النصرارى فى مقابلة ذلك مدة موت المسيح ثلاثة أيام لأنه أرقى من تلك الآلهة فتكون مدة خضوعه أقل لتناسب مقامه وعظمه ولكنهم حافظوا على أصل العدد (أى الثلاثة) وبما زاد رغبتهم أيضاً فى جعل هذه المدة ثلاثة أيام بدل ثلاثة أشهر ورود بعض عبارات فى العهد القديم أرادوا أن يجعلوها رمزاً أو نبوة عن مدة موت المسيح (راجع هوشع ٦: ٦ ويونان ١: ١٧ مع متى ١٢: ٤٠).

والى ذلك المعنى السابق فى أصل هذه العقيدة أشار يوحنا (١٢: ٢٤) فى إنجيله بقوله عن لسان المسيح «الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض ونمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بشمر كثير ومع ما فى ظاهر هذا المثل من الخطأ العلمى كما بيناه فى كتاب «دين الله» ص ٢٢٠. فإنه يدلنا على منشأ بعض أفكار النصرارى وعقائدهم ولذلك جعلوا يوم ٢٥ ديسمبر - وهو يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين أى انقلابها الشتائى أو رجوعها الظاهرى من عند مدار الجدى - جعلوه يوم الميلاد للمسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٣٨) وجعلوا عيد قيامته فى أول الربيع وهو وقت قيامة الشمس والأشجار والحيوانات من موت الشتاء أى يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذى يتغلبون فيه على سلطان الظلمة والبرد وموت الطبيعة فقالوا: إن المسيح تغلب فى نفس هذا اليوم على الشيطان وظلمة القبر وعلى الموت الروحانى والجسمانى فخلص هو نفسه من الموت الطبيعى وخلص أتباعه من الموت الروحانى وجعلوا قيامته فى يوم الأحد وهو يوم الشمس (Sunday) أيضاً الذى كانت تعبد فيه . وقد أفاض علماء الأفرنج فى هذه المباحث وبينوا اشتقاق عقيدة النصرانية فى المسيح من تلك الأفكار الوثنية فانظر وتعجب !! «راجع مثلاً كتاب الأصول البشرية» ص ٦٢ وكتاب «حكايات من العهد الجديد» لمؤلفة جولد ص ١٢٨ - ١٣٠ .

مصطلح الأب والابن فى القرآن!!

هذا وإنما استعمل الله لفظ (الأب) فى التوراة والإنجيل فى حق الله ولفظ (الأبناء) فى حق المخلوقين (كما فى مت ٩: ٥ و يو ١٧: ٢٠ وغيرهما) إذا صحت رواية اليهود والنصارى - ولم يستعمل ذلك فى القرآن لأن الناس كانوا فى تلك الأعصر الأولى صغار العقول حتى إنهم قل إن يفهموا شيئاً بدون ضرب الأمثال والتشبيه لهم فلذا كثرت فى كتبهم^(١) فلاجل أن يعرفوا أن الله رؤوف رحيم بهم محب لهم كما يحب الأب أبناءه، بل أكثر سماه أنبياءهم لهم (أباً) وسموهم (أبناءه) ولكن بعد زمن المسيح بقليل أى بعد انقطاع الأنبياء من بينهم الذين كانوا دائماً يحذرونهم من الوثنية، صار الناس يحملون كلا من لفظ (الأب) و (الابن) على معناه الحقيقى وادعوا (كما فى كتابات بوستينوس الشهيد^(٢) المتوفى نحو سنة

(١) ومن ذلك قولها استراح الله، وحزن، ونزل، ومشى، وصارعه يعقوب، وقاومه الخ الخ.

(٢) بوستينوس الشهيد

كان (بوستينوس) هذا يونانياً خاضعاً للرومان ووثنياً وبعد دراسة طويلة للفلسفة اليونانية اعتنق المسيحية مصبوغة بالصبغة اليهودية واليونانية لأن أكثر آرائه الفلسفية كانت مستمدة من كتابات (فيلو) اليهودى الإسكندرى وللإطلاع على أقواله فى ولادة الله تعالى ابنه قبل جميع المخلوقات راجع كتاب «دين الخوارق» فى الإنكليزية ص ٤٥٦ - ٤٦٠ والحق أن هؤلاء الوثنيين المتصرين هم الذين حملوا إلى المسيحية ووثنتهم القديمة فبدلوا دين المسيح الحق وأفسدوا ومنهم انتقل إلى ذرايعهم محرراً مبدلاً فاسداً .

إكراه الناس على النصرانية

واعلم أن أول من أخذ بعقيدة الثالوث من قياصرة الرومان هو (ثيودوسيوس) (Theodosius) الذى جلس على سرير الدولة سنة ٣٧٩ ومات سنة ٣٩٥ ومنذ جلوسه أخذ فى إكراه الناس على هذه العقيدة إكراهاً شديداً حتى زال التوحيد الحقيقى من بين النصارى، وهو الذى كان فاشياً وقتئذ فى نفس عاصمة الدولة (القسطنطينية).

وبعد موته مباشرة انقسمت الدولة بين ولديه إلى قسمين ، وفى سنة ٤٧٦ ضاع القسم الغربى من دولة الرومان وانتهى أمره. فترى من هذا أن النصرانية الحالية لم تنتشر بسرعة بين الناس =

١٦٦ ميلادية وغيره كثيرون) أن الله تعالى ولد (الابن) ولادة حقيقة أى أنه جزء خرج منه! وفهموا ما جاء فى سفر المزامير (٧:٢) ورسالة العبرانيين (١:٥)^(١)

=كما يزعم المبشرون ولم تدخل عقيدة الثالث رسيماً فى الدولة الرومانية إلا فى آواخر القرن الرابع مع وجود أمثالها عند كثير من الأمم الوثنية ولم يكن انتشارها بين النصارى الأولين إلا بالإكراه والجبر الشديد، ومنذ دخول هذه النصرانية فيهم أخذت دولتهم فى الضعف والاضمحلال كما قلنا حتى تلاشى قسمها الغربى سريعاً بعد ذلك ثم تلاشى القسم الشرقى أيضاً بأخذ المسلمين (القسطنطينية) سنة ١٤٥٣ .

ولولا قوة الدول الأوروبية الآن التى بلغتها بأسباب عمرانية اجتماعية عديدة متنوعة لما قامت لهذه العقيدة قائمة، ومع ذلك ترى أكثر العلماء فى أوربا الآن قد أصبحوا ينبذونها بنذ النواة ويسخرون منها ومن معتقديها الذين جلهم من العامة أو من رجال الدين الذين لا صناعة لهم إلا الاحتراف به .

معنى ولادة الله

(١)

إن شئت أن تعرف ماذا كان كتبة العهدين يريدونه فى أكثر المقامات (بالولادة من الله) فاقرا مثلاً «بِع ١: ١٨ و١٠ يو ٤: ٧ و١: ٥ و٤: ٥ و٩: ٣ و١٨: ٥ و١٩: ١ و١ بط ١: ٢٢ و٢٣ وإنجيل يوحنا ١: ١٢ و١٣) ومن أكبر المصادمات للبداهة العقلية فى عقائد النصرانية (وكلها مصادمات) قولهم من غير أن يستندوا على شئ من كتبهم المقدسة إن أقنوم الابن قديم ممتاز عن الأب امتياز الأشخاص بعضها عن بعض منذ الأزل ثم قولهم بعد ذلك كما فى كتبهم إنه مولود منه قبل جميع المخلوقات (كو ١: ١٥ ومى ٥: ٢) فلو كان امتياز شخصه أزلياً لما كان مولوداً ولو كان مولوداً لما كان له وجود مستقل بشخصه منذ الأزل!! وإلا فما معنى الولادة إذا وكيف تكون منذ الأزل؟ وما معنى «اليوم» فى قول كتبهم (أنا اليوم ولدتك) فإن كان شخصه مستقلاً أزلياً فكيف ولد فى ذلك اليوم؟! وما معنى خروجه منذ الأزل كما قال ميخا (٥: ٢) أفلم يكن فى الخارج ثم خرج؟ وإذا جاز ذلك فكيف تكون ذات الله عندهم غير قابلة للتفرق والانقسام؟ وكيف يبقى بعد ذلك جوهر الابن وجوهر الأب واحداً؟

(راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٥٠) وإذا كان الابن قديماً والله أب له منذ الأزل فكيف قال بولس عن لسان الله فى حقه (عب ١: ٥) «أنا أكون (أى أصير) له أباً وهو يكون لى ابناً» كما قال ذلك بعينه فى سليمان (٢ صم ٧: ١٤) وكيف يقول بولس أيضاً (عب ١: ٤) (صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم) فهل مثل هذا الكلام يليق أن يقال فى حق الله تعالى وهل تصح مقارنته بالملائكة وإظهار أيهما أفضل؟! =

ونحوهما فهماً خطأً ولهم في ذلك سخافات اتصلت إليهم بعد أنبيائهم من الوثنيين

الأناجيل ووحدة الوجود

=

ألا يدل ذلك وغيره كما قلنا سابقاً على أن كتبة العهد الجديد ما كانوا يعتقدون ألوهية المسيح «الحقيقية» بل ولا وجوده منذ الأزل بمعنى أنه لم يسبق بعدم إلا إذا كانوا يريدون أن جميع المخلوقات صادرة عن ذات الله تعالى أي أنها جزء من جوهره كأصحاب القول «بوحدة الوجود» (Pantheism) وذلك حقيقة هو ما يفهم من كثير من نصوص كتبهم إذا قورنت مع مثل (كو ١: ١٥ ورؤ ٣: ١٤ وأف ٤: ٦ و ١ كو ٨: ٦ و ١٥: ٢٨ وأع ١٧: ٢٨ ورو ١١: ٣٦ وغيرها) وبناء عليه يكون لفظ الولادة في اصطلاحهم مرادفاً للفظ الخلق في هذا المقام ويكون المسيح في اعتقادهم هو أول المولودات أو الأبناء أو المخلوقات على حد سواء وهو وحيد (يو ١: ١٨) في الأولوية والعظم والمقام والقدرة وغير ذلك مما أوتيته دون سائر العالمين على ما يزعمون، فكان الأبناء الآخرين (تك ٦: ٢ و ٤ وتث ٣٢: ١٩ و ٢٠) لا يعدون بجانبه شيئاً لأنه هو خالقهم المسيطر الذي سلطه الله عليهم جميعاً كما يدعون (مت ٢٨: ١٨ و يو ٣: ٣٥ و ١ كو ١٥: ٢٧).

وعندهم من هذا القبيل أيضاً تسمية إسحاق في التوراة بابن إبراهيم «الوحيد» (تك ٢٢: ٢) و (١٦) مع وجود ابنه الآخر إسماعيل ولكنه ابنه من هاجر جارية سارة التي طردها واعلم أن أمه مريم لم تسم «أم الله» (Theotokos) إلا منذ زمن أوريجانوس أي في القرن الثالث. وقد حارب هذه الفكرة في القرن الخامس كل من القس (أناسطاسيوس) و (نسطوريوس) أسقف القسطنطينية ولكن لا يزال بكل أسف هذا الاسم مستعملاً إلى الآن عند الكاثوليك الذين يصلون لها ويعبدونها إلى اليوم!! (راجع كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» ص ٩٩ و ٢١٠).

عبادة المسيح

قال بعض ظرفاء اليهود من الأفرنج: «لم لا يتيه اليهود عجباً على سائر الأمم ونصف العالم المتمدن يعبد يهودياً والنصف الآخر يعبد يهودية؟!» فليضحك القارئون! ولكن من تذكر أن الناس عبت الحجر والشجر، لا يعجب من عبادتهم البشر، فان وثنية هؤلاء لا شك أنها أرقى من وثنية أولئك فليهنأوا بها وليبقوها لهم ليعرض الموحدون عن الضحك منهم، ولإزدراء عقولهم، فيريحون، ويستريحون، وإلا فليبشروا بالخنية والفشل في إجابة دعوتهم إلى يوم القيامة، فإن عقول البشر الآن ليست كما كانت في أزمنة الجهل والغفلة.

أنا اليوم ولدتك

وجاء في إنجيل لوقا (٣: ٢٢) أن الصوت الذي سمع من السماء بعد معمودية عيسى هو =

والفلسفات الأجنبية كالفلسفة (سقراط) و(أفلاطون) اللذين قالوا بعقيدة (الكلمة) قبل

= «أنت ابني الحبيب سررت» وفي إنجيل العبرانيين زيادة هذه العبارة «وأنا اليوم ولدتك» ونقل يوستينوس هذا الصوت عن الكتاب الذي كان في زمنه يسمى «مذكرات الرسل» هكذا «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» وذكر القديس أوغسطين (المتوفى سنة ٤٣٠) أن بعض نسخ إنجيل لوقا في زمنه كانت فيها أيضا العبارة هكذا (٢٢:٣) «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» بدل قوله الموجود الآن «أنت ابني الحبيب بك سررت» ولا تزال العبارة الأولى توجد بصورتها المذكورة هنا في نسخة ييزا (Bezae) وفي الترجمة الإيطالية القديمة توجد عبارة تقرب منها في المعنى.

فمن ذلك يعلم أن العبارة كانت في الإنجيل كما نقلها يوستينوس عن «المذكرات» ولكن لما استدلل بها الموحدون من النصارى على أن المسيح ليس أزليا بدليل القول «أنا اليوم ولدتك» - الذي كان في نسخ إنجيل لوقا القديمة وفي الأناجيل الأخرى الأولية وهو يفيد ولادته في يوم المعمودية لا منذ الأزل كما يزعمون - كره النصارى المثلثون هذه العبارة وأبدلوها في الإنجيل بقولهم «أنت ابني الحبيب بك سررت» (راجع كتاب دين الخوارق ص ٢٠٢ و ٢٠٤) فإن قيل إذا صح قولك هذا أن أصل الصوت كان في الأناجيل «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك» كما في رسالة بولس إلى العبرانيين ١: ٥.

فلماذا حرفوه في الأناجيل ولم يحرفوه في هذه الرسالة؟

قلت: لما كانت هذه الرسالة مكتوبة للعبرانيين (أى اليهود) كان الغرض من ذكر هذه المسائل فيها بيان نبوات العهد القديم الواردة في المسيح الذي كان يتظره اليهود وتطبيقها على عيسى، كما هو ظاهر من الأصحاح الأول من هذه الرسالة، وجملة «أنا اليوم ولدتك» الواردة في هذا الأصحاح المراد بها الإشارة إلى ما في المزمور (٧: ٢) فإذا حرفها النصارى في هذه الرسالة ضاعت قيمتها لأن لليهود حيثذ أن يقول لهم «إن هذه الجملة لا وجود لها في كتبنا فهي ليست حجة علينا لأنها من اختراعاتكم» فلذا تركها النصارى في الرسالة العبرانية وحرفوها في الأناجيل لأنها فيها ليست إشارة إلى هذه النبوات القديمة ولو حذفوا هذه العبارة من الرسالة بالمرة (وكان هذا العمل في الحقيقة خيرا لهم من إبقائها لو أمكنهم) لقال اليهود إن المزمور الثاني عندنا هو من أهم النبوات عن مسيحنا فأرونا أيها النصارى كيف تطبقونه على مسيحكم؟ وأيضا ربما أن هذه الرسالة كانت كثيرة التداول بين العبرانيين المنتصرين وغيرهم من الفرق الموحدة وهؤلاء ما كانوا يعتقدون في المسيح الألوهية الحقيقية فلذا لا يهمهم تحريفها بأنفسهم في هذا الموضع ولو حرفها لهم آخر فيه بالحذف لخاف الفضيحة منهم واتضح لهم أمره وغشه. =

المسيح بقرون كما اعترف بذلك (يوستينوس) نفسه في بعض كتبه وإن كانت عقيدتهما طبعاً أبسط من عقيدة النصارى المعروفة.

وقد كان الرومانيون وغيرهم يعبدون بعض قياصرتهم في حياتهم ويؤلهونهم بعد موتهم (راجع ص ٤٤ من كتاب «التوأرة غير موثوق بها» لمؤلفه ولتر جيكل -Walter jekyll وكانت عبادة البشر^(١) وتألبيهم شائعة في المملكة الرومانية في ذلك الزمن كما يفهم ذلك أيضاً من نفس سفر الأعمال (١٢: ٢٢ و ١٤: ١١ و ٢٨: ٦).

المسيح النجار

وكان بعض النصارى في بعض القرون الأولى يكرهون أيضاً وصف المسيح بأنه نجار كما في إنجيل مرقس (٦: ٣) فحذفوا ذلك منه في كثير من النسخ حتى كان «أوريجانوس» في القرن الثالث يقول: إن المسيح لم يسم نجاراً مطلقاً في أى إنجيل من الأناجيل التي كانت مستعملة في الكنيسة في زمنه، وكذلك توجد بعض نسخ خطية من إنجيل مرقس خالية من هذه التسمية ولكنها توجد في جميع ما عثروا عليه من النسخ الأقدم من هذه النسخ الخطية المحذوف منها هذا الاسم (انظر كتاب «دين الخوارق» في الإنكليزية ص ١٩٩) فيعلم من ذلك وما تقدم كله: أن نسخ كتبهم كانت قليلة جداً لا توجد إلا عند بعض الرؤساء حتى باعتراف متعصبيهم (انظر مثلاً «كتاب علم الأعلام في حقيقة الإسلام» ص ٦٥) وأنهم كانوا في كل عصر يتصرفون فيها بحسب ما يبدو لهم من الآراء والأهواء، إلا إذا خافوا في بعض المواضع الشهيرة جداً أن يفضح أمرهم فيتركونها زمناً ما وهم على مضض منها حتى تيسر لهم فرصة لإزالتها وتحريفها سرا أو تدريجاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عزير واليهود

(١)

لذلك لا تستبعد على يهود العرب أنهم كانوا يعتقدون أن عزيرا (أو عزرا) هو ابن الله تعالى كما حكاها القرآن الشريف عنهم (٩: ٣٠) فقد كان (فيلو) اليهودى الإسكندري المعاصر للمسيح وهو من أكبر فلاسفتهم يعتقد أن الله ابنا هو كلمته التي خلق بها الأشياء كما سبق. فلذا قال القرآن الشريف - بعد أن حكى عنهم قولهم في عزرا - «يضاهنون (أى يشابهون) قول ﴿قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُون﴾ ولا تنس ميلهم القديم للكفر والارتداد وعبادة الآلهة الباطلة من قديم الزمان كما تشهد به كتبهم» (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٣٩).

الله وتصوير القرآن له

فلما فشا في الناس ذلك المعنى الضار في الأب والابن بتأثير الوثنية أبطل الله هذه الاستعمالات المجازية في القرآن الذي هو آخر الكتب بعد أن حصل الناس على الغرض منها وأصبحت لا فائدة فيها لهم سوى أنها قد تجر بعض سخفاء العقول كما جرتهم من قبل إلى الغلو فتوقعهم في الشرك والوثنية مرة أخرى بعد ختم الوحي والنبوة فلذا استبدلها الله تعالى باستعمالات أخرى أقرب إلى الحقيقة ، وأبعد عن الضرر، وتكفى الناس في ذلك الزمن لفهم المراد ما كفتهم تلك في الأزمنة الأولى والبشر في طور الطفولية، فبين تعالى في كتابه العزيز أن الله رؤوف، رحيم، ودود لعباده، وأنه يحبهم ويحبونه (قرآن ٣: ٣١ و ٥: ٥٤ و ١٦: ١٨ و ٨٥: ١٤ وغير ذلك كثيرا) وأنه وليهم (٢: ٢٥٧) وهم أولياؤه (١٠: ٦٢) وبدأ كل سورة منه بيسم الله الرحمن الرحيم.

وبين رسوله أن الخلق عياله، وأنه أشفق عليهم وأرحم من الأم بولدها؛ وبذلك ونحوه حصلوا على فهم ما فهمه الأولون من الأب والأبناء بدون أن يلحقهم ما لحق أولئك من الشرك والوثنية، فإن البشر في زمن البعثة المحمدية كانوا أرقى ممن سبقهم فكانت تكفيهم كما قلنا هذه العبارات لفهم المراد من محبة الله لهم بدون تشبيه ولا تمثيل. ولا تنس أن محمداً هو خاتم النبيين وأمه أرقى الأمم فلذا تركت هذه الاستعمالات المجازية في القرآن لعدم حاجة البشر إليها في فهم المراد ولأنه إذا وقع بعضهم بسببها في الوثنية تعسر إعادهم عنها بعد ختم الوحي والنبوة.

هذا وفي قول القرآن الشريف ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [بينة: ٨] وقوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٣] من التكريم الإلهي والتعجب واللفظ ما لا يخفى على متأمل، فكان الله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] ساوى عباده به حتى صار يطلب رضاهم عنه وحبهم له كما يطلبون هم ذلك منه، وهو الذي بدأ - كما في هذه الآيات - بالرضا عنهم والحب لهم.

فأى رفع لنفوس البشر وجذب لقلوبهم - بعد أن أماتها الشرك والوثنية - أكبر من ذلك؟ فهم وإن كانوا عباده إلا أنه لا يعاملهم معاملة السيد لعبيده بل معاملة الأخلاء بعضهم لبعض كما هو ظاهر من عبارات القرآن هذه، وهى لا شك أدعى لرفع نفوس الناس وتشريفهم وجذب قلوبهم إلى الله تعالى من قول الإنجيل (أبانا الذى فى السموات) فإن الفرق بين درجة الأب مع ابنه، ودرجة النظير مع نظيره لا يحتاج لتوضيح.

وقول القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] ليس كقول الإنجيل هذا أنه فى السموات إذ دلالة الأول على القرب لا تقارن بدلالة الثانى عليه، وشتان بين من يدعو الذى فى السموات وبين من يدعو الذى هو أقرب إليه من حبل الوريد، وفرق بين النصرانى الذى يتسبب إلى الله ويقول إنه أبوه وبين المسلم الذى يتقرب إليه الله نفسه ويقول له: إنى أقرب إليك من أجزاء جسمك الداخلية، ويخاطب نفسه بقوله لها ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٨، ٣٠].

أما قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨] فليس المراد به إنكار تسميتهم أبناء الله بمعنى أحبائه بل المراد إنكار اختصاصهم بذلك - كما ادعت اليهود والنصارى وبعناية الله وبالوحي والنبوة والخير الأكبر وغير ذلك دون سائر العالمين فبين تعالى لهم أنهم عنده كسائر الناس خصوصا فى زمن البعثة المحمدية التى ساوت بين جميع العالمين، وإن كانوا فضلوا فى بعض الأشياء وفى بعض الأوقات عن غيرهم، إلا أن ذلك لم يكن لكل زمان ولا فى كل شئ، ورد عليهم دعواهم المحبة لله بأنهم يعصونه، والمحبة لمن يحب مطيع فهم كاذبون أيضا فى دعوى محبتهم له، ولو كان لهم عنده مزية على غيرهم لما ساوى بين

الناس جميعاً في العقاب الدنيوى والأخروى، ولذلك قال ﴿يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨] أى كباقي الناس.

فالمراد أن الخلق كلهم عياله تعالى وأنه محب لهم جميعاً ولم يبق مزية لكتابتى على جاهلى ولا لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى بل الكل عند الله سواء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويجوز أن مذهب «وحدة الوجود» كان فاشياً فى نصارى العرب ويهودهم كما كان فاشياً فى أسلافهم الأولين فيكون مرادهم بقولهم إنهم أبناء الله أنهم مولودون منه حقيقة أى أن مصلحتهم هى من ذات الله تعالى، فكذبهم القرآن فى هذه الدعوى وبين أنهم مخلوقون محدثون هم وسائر الناس بقدرته وصنعه لا مولودون منه، فيجوز عليهم كل ما جاز على سائر الأحياء المخلوقة كالآلام والذل والعذاب وغيره، ولا يعقل أن الله يهين نفسه ويعذبها لو صح قولهم إن ذاتهم هى من ذات الله تعالى، بل له ملك السموات والأرض بالقهر والإيجاد لا بكونهما أجزاء منه. والوجه الأول - عندنا - أقرب إلى ظاهر الآية فإن المتبادر منها أن العطف فى قوله (نحن أبناء الله وأحباؤه) هو للتفسير، فمقصودهم أنهم وحدهم أحب الناس إليه كأنهم أبناؤه لأن ولد الإنسان أحب إليه من كل من سواه كما لا يخفى.

واعلم أن الله تعالى منزّه عن الانفعالات النفسية والجولات الفكرية والتأثرات القلبية ونحوها من صفات الحوادث فوصفه تعالى بالحب والرافة والرحمة وغير ذلك هو أيضاً لا ينطبق تماماً على صفاته القديمة وإنما هى ضرورة التعبير ألجأتنا إلى هذه الألفاظ ونحوها لنفهم منها فضله علينا.

معنى حب الله عندنا

أما الحب عندنا في جانب الله فمعناه^(١) إفاضته الوجود وما يلزم له من النعم العديدة التي لا تحصى على جميع المخلوقين ولو كانوا به كافرين مشركين، ودوام هذا التفضل والإنعام على عباده المؤمنين إلى الأبد من غير أن يعود عليه تعالى أقل نفع له منهم جميعها أو أدنى فائدة ترتجى له إذ هو الغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل من عداه ، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] فحبه تعالى يمتاز عن حبنا في كونه صفة أزلية له تعالى وإن تعلق بالموجودات بالفعل في وقت وجودها فهو كباقي الصفات الأخرى فإن تعلقها بالحوادث هو في غير الأزل مثل القدرة على الخلق، وأيضا فحبه أكبر وأعظم لأنه يهبنا ما لا يقدر على هبته لنا غيره، ولا يشوب حبه هذا أدنى شائبة من الحاجة إلينا أو المنفعة - كما قلنا - لا كالعتاد الغالب في حبنا مهما خلص، وهو يشمل جميع مخلوقاته حتى أعداءه منهم، بالمعنى الذى بيناه هنا وهو دائم أبدا لعباده المؤمنين الذين يمددهم بالخير العظيم، والفضل العميم، والإحسان الكبير، من غير أن يكون شئ من ذلك واجبا عليه تعالى بل هو كله محض فضل منه ورحمة، وأيضا فقد ينشأ عن حب بعضنا بعضا شئ من الضرر كحب الأم الجاهلة لولدها حتى تمنعه من كل عمل فيه مشقة ولو كان نافعا أو ضروريا، وأما حب الله لنا فهو خال من كل ضرر ولا ينشأ عنه إلا النفع المحض، والله تعالى عندنا غفور رحيم للمذنبين مهما كثرت جرائمهم بشرط التوبة الصحيحة بدون انتقام ولا سفك دم، ولا يكلف الإنسان ما لا يطيق.

(١) المنار: هذا التفسير غير ظاهر والصواب أن كل ما أطلق على البارئ تعالى من الصفات يوصف بها الناس والأفعال التي تسند إليهم وإنما تفسر مع التنزيه بروح المعنى المستعمل فنفهم من حبه للصالحين من عباده أنه يعاملهم معاملة المحب لمحبوبه من الرعاية والعناية التي يميزهم بها على الكفرة الفجرة الذين جحدوا فضله وخالفوا شرائعه وسنته مع تنزيهه عما لا يليق به كما أشار إليه الكاتب فحبه تعالى لخلقه شأن من شؤونه اللاتفة بما يترتب عليها مما ذكر فهو أخص من الفضل العام.

معنى الحب عند النصارى

أما أرقى أنواع الحب عند النصارى فهى التى تؤدى إلى الانتحار لخلاص الناس (انظر مثلاً كتاب «صدق المسيحية» لمؤلفة ترتون ص ٢٨٣) ولكن مثل هذا الحب هو من شأن الضعفاء العاجزين المختلين الذين لا يقدرّون على خلاص محبوبهم فلذا يتسحرون والله أقدر من ذلك وفوق ذلك، على أن مثل هذا الحب مشاهد بين الناس، فكثيراً ما يتتحر العاشق فى سبيل معشوقه، والام لأجل ولدها مثلاً، فحب الله على قولهم هذا لا يمتاز عن الحب المعتاد بين ضعاف المخلوقين وشرارهم.

سبب فشو الانتحار والخمر

ولعل من أسباب كثرة الانتحار بين الأفرنج : هذه العقيدة إذ من مقتضاها أن الانتحار ليس بعار ولا عيب فيه، ما دام ربهم نفسه قد ارتكبه ولو أن الحامل له عليه غير الحامل لأكثرهم، ولكن الانتحار على كل حال هو مظهر من مظاهر اليأس والضعف والجبن وقلة العقل والحيلة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (لاحظ أيضاً أن إلههم هو الذى أباح لهم شرب الخمر وشربها معهم وناولهم إياها بيده كما سنيته (مت ٢٦ : ٢-٢٩ ومر ١٤ : ٢٣ - ٢٥ ويو ٢ : ١-١١) (راجع كتاب دين الله ص ٩٨) فلذا فشا فيهم الانتحار وشرب الخمر وهما من أكبر الموبقات ومع كل ما تقدم فالله تعالى باعترافهم لم يتتحر هو نفسه لخلاصهم بل ضحى (بالإنسان يسوع) الذى أكرهه على ذلك إكراهاً كما بيناه فى مقالة الصلب وغيرها وظلمه وهو برئ ولم يشفق عليه ولم يرحمه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الأرض؟ فإذا لم يحمل الناس على حب الله خلقه لهم وتفضله عليهم بجميع أنواع النعم الصغيرة والكبيرة وهدايته لهم بدون مقابل ورحمته بهم وعفوه عنهم بلا انتقام وعدم تكليفهم ما لا يطيقون فهل يحملهم على حبه صلبه البرئ (يسوع) لأجل خطيئة آدم وخطيئتهم وهم لم يقموا فى العصيان إلا بعلمه

وإرادته وتقديره؟ ومهما بالغ بعضهم فى إرادة الإنسان واختياره فإن ذلك مخالف لما فى كتبهم (راجع يو ١٢: ٣٩ - ٤١ ورو ٩: ١٧ و١٨ و١١: ٧ و٨ و١٢: ٣ وخر ٤: ٢١ و٩: ١٢ و١٠: ١ و١ صم ٢: ٢٥ ورتث ٢: ٣٠ واش ٦: ١٠ ويشوع ١١: ٢).

عقيدة الفداء والرد عليهما

وقد كان يمكنه أن يمنع وقوع الإنسان (آدم) فى هذه الخطيئة أو يمنع نسله من التأثر بخطأ أيهم الذى أدخل بزعمهم الخطيئة فى العالم كما قال بولس (رومية ٥: ١٢) مع أنه لولا خلقه آدم بطبيعته ميالا من قبل للشعر والعصيان لما عصاه وخالف أمره (راجع رسالة الصلب ص ١٢٣ - ١٢٥) ولو أراد أن ينجيهم من العقاب تفضلا منه ورحمة لما عارضه أحد ولما نافى ذلك عدله كما يزعمون وإلا فهل صلب البرئ بدون إرادته فداء للمذنبين هو الذى لا ينافى ذلك العدل الذى ما فهموه؟ (راجع ص ١١ - ١٣ من كتابنا «دين الله») وهل إيقاعهم فى العصيان بخلق آدم ميالا للشعر وخلقهم كذلك ومؤاخذتهم بذنبه وذنوبهم (انظر مثلا تك ٣: ١٥ - ١٩) وعدم العفو عنهم مطلقا إلا بسفك الدم هو الذى يحملهم على حبه؟ ولا يحمل المسلمين ما ذكرنا على حب الله الرؤوف بهم الرحيم المنعم عليهم بكل شئ الغفور لذنوبهم جميعا بدون سفك دم أحد متى صحت توبتهم ورجعوا إليه وحده مستغفرين خاضعين مطيعين، وهو الذى لا يسأل أحدا منهم إلا عما اكتسبته يده، فتأملوا فى ذلك أيها العاقلون واحكموا بيننا وبين القوم الظالمين.

وليس غرضنا بما قلنا البحث معهم هنا فى (مسألة القضاء والقدر) فقد وفيناها حقها فى بعض أعداد النار السابقة (م ١٠ ص ٧٣١) وإنما الغرض مقارنة العقيدتين وبيان أيهما أشد حملا للناس على حب الله وإذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لأنه مولود من مريم ومتكون فى رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع فى الذنب فهو أيضا يحتاج إلى الكفارة مثلهم وإذا يكون غير طاهر ولا معصوما من الذنوب كما تزعمون لأنه «ابن الإنسان» الخاطئ وناسوته مخلوق من

مريم بمقتضى التولد الجثمانى وإن كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره (رومية ١٢: ١٧ و ١ كو ١٥ : ٢١ و ٢٢).

وكلنا من نسل آدم وطبيعتنا هى من طبيعته؟ وإن كان الله طهره من الخطيئة بحلوله فيه فإذا يجوز التطهير من الذنوب بدون سفك الدم وهو خلاف ما تدعون، وإن كان حلول الابن مطهرا من ذلك فلم لم يطهركم حلول روح القدس فيكم وكلكم هيكل الله الحى كما يقول لكم بولس (١ كو ١٦: ٣ وأف ٦: ٤ وراجع أيضا أع ٢: ٤).

فإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه فى الإنسان مطهراً له من الذنوب فأية حاجة إذاً إلى صلب المسيح؟ ولم لم يجعل الله موت شهدائهم الكثير بزعمهم كفارة عن باقى النوع الإنسانى وكلهم ممثلون من روح القدس (رو ٥: ٥).

وإن قيل إنه باعتبار ناسوته واقع مثلنا فى خطيئة آدم ولكن صلبه وهو ابن الله كاف لتكفير الخطيئة عن جميع بنى آدم وهو من ضمنهم، قلت: إن كان صلبه باعتبار أنه إله جاز على الله الموت والألم والجزع والاستغاثة بغيره والضعف، وغير ذلك مما أظن أنكم تتزهون الله تعالى عنه وخصوصاً بعد قول المصلوب (إلهى إلهى لماذا تركتنى) وإن كان صلبه باعتبار أنه إنسان فهو خاطئ مثلنا بمقتضى طبيعته البشرية فكيف لا يكون موته مكفراً عنه وحده ويكون ما ينال كلا منا فى هذه الحياة من المشاق والأحزان والموت أو القتل وغير ذلك كفارة له عن ذنبه وقد كان أصل العقاب على ذنب آدم (كما فى سفر التكوين) الموت والألم والتعب وعداوة الشيطان أو الحية ونحو ذلك (تك ٢: ١٧ و ٣ : ١٣ - ١٩) وكل هذه الأشياء واقعة بنا وباقية علينا إلى الآن.

وإن كان لابد من سفك الدم فهى دعوى لا دليل لكم عليها ولم يكن موت المسيح بسفك دمه وذبحه بل إن ما فاض منه من مسامير الصلب لم يكن هو السبب فى الموت كما بيناه فى كتاب دين الله (ص ١٢٥ و ١٢٥) وفى رسالة الصلب (ص ١٢٨ - ١٣٠) ولم لم يزل عن الإنسان ذلك القصاص بعد الصلب؟ وإذا كان الله

لا يكتفى بما حل ويحل بالإنسان فى هذه الحياة من المصائب والبلايا والموت والقتل وغيره ويصر على الانتقام منه فى شخص أحد أفراد هذا النوع (المسيح) الذى حمله من أنواع الإهانات والفظائع ما جعله يستغيث به فلم يغته ولم يرحمه (لو ٢٢ : ٣٩ - ٤٦ و روميه ٨ : ٣٢) مع أنه اتخذ له ابنا وحل فيه وإذا كان أيضا لا يكتفى بحلول روح القدس فى الناس لتطهيرهم ولا بتوبتهم واستقامتهم ولا باستشهاد كثير منهم فى سبيله إلا بعد سفك دم عيسى ويحب الضحايا البشرية من قديم الزمان ويتقبلها من مقربها له (قض ١١ : ٢٩ - ٤٠) ويأمر أنبياءه وأتباعهم بسفك دماء ما لا يحصى من الحيوانات (انظر مثالا ١ مل ٨ : ٦٢ و ٦٣) وقتل ما لا يعد من البشر (تت ٢٠ : ١٦) ويسر برائحة المحرقات (لا ١ : ١٧) .

إذا كانت كل هذه صفات إلههم فهو مجرد من كل رحمة وشفقة وحنان وعدو للإنسان والحيوان! حتى أنه ندم على خلقه الإنسان (تك ٦ : ٦) لشدة غيظه منه، وبغضه له، وخوفه منه (تك ٣ : ٢٢ و ١١ : ٦) فكيف يمكن للإنسان أن يحبه بعد ذلك كله؟ مع أن الله وهو أقدر منا طبعاً لم يحب الإنسان ولم يرحم إلا بعض أفراد هذا النوع بعد أن شبع وروى من الدماء التى تملأ الأنهار!! فهل يا قوم هذه العقيدة^(١) هى التى تدعون أنها الطريقة الوحيدة لإظهار محبة الله للإنسان وهل هذا إله محبة كما يسميه يوحنا (١ يو ٤ : ١٦) وهل كل هذه الأشياء التى صدرت منه ضد الإنسان تحملنا على حبنا له ولا طريقة تحملنا على حبه غيرها؟ إن هذا لشيء عجيب .

(١) كان من أثر هذه العقيدة فى نفوس أتباعها أن الأفرنج أغرقوا فى حب سفك دماء مخالفيهم فى الدين أو المذهب لعلهم يرضون بذلك إلههم هذا ويريحونه من أعدائه هؤلاء فى زعمهم ويسرونه برؤيته لدمائهم مسفوحة تسدق كالأنهار على وجه الغبراء لأنه لا يمكنه العفو عن أحد إلا بسفك الدماء، فأنعم به من إله رؤوف رحيم!!

كلمة في عدل الله

يظن النصارى أن العدل معناه وجوب معاقبة المذنب على ذنبه، والحق أن العدل معناه «المساواة» فإذا ساوى تعالى بين جميع عباده في معاملته لهم بأن غفر مثلاً لجميع المذنبين وزاد - في مقابلة ذلك - في أجر المحسنين فهو لا شك عادل لغةً وعرفاً وعقلاً وكذلك إذا وفي كل مخلوق حقه تماماً بلا نقص في الأجر ولا زيادة في العقاب عما يستحقه كل شخص، ولا ينافى العدل بعد ذلك أن يزيد في الثواب أو أن ينقص من العقاب بمقتضى فضله ورحمته (راجع كتاب «دين الله» ص ١١-١٣) على أن صفة العدل لا تنطبق على موجد الوجود من حيث تخصيص كل موجود بما خصه به في الأزل وإلا لساوى بين جميع الموجودات في كل شئ ولو فعل ذلك لما وجد «هذا» العالم فإن التفاوت بين أجزائه ضرورى لكيانه وجماله، ولكن هذه الصفة تنطبق عليه من حيث الفصل بين الناس بالحق ومجازاة كل بحسب عمله بعد أن اختص كل موجود بما اختصه به من الظروف والبيئة والأحوال والوراثة ونحو ذلك مما له التأثير الكلى على الإنسان في جميع حركاته وسكناته «فإنه في الحقيقة مضطر في صورة مختار» كما قال بعض علماء الإسلام والنصرانية وغيرهما وكما يقول الآن علماء الماديين والعقليين في أوربة، فإذا أريد بالعدل المساواة في أصل الخلق وكل ما يلزمه فهذا قطعاً غير موجود، وإن أريد به المساواة في مجازاة العاملين بما يستحقون - في الظاهر - بلا مراعاة ولا محاباة فهذا حق وهو صفة من صفاته تعالى فإنه - كما يسميه المسلمون - «الحكم العدل» بين مخلوقاته فالعدل في الحقيقة لا معنى له في جانب الله إلا من بعض الوجوه المحدودة كما بينا وهو ليس - كما يتوهم قصار النظر - العدل المطلق وإلا لاستحال وجود «هذا» العالم المشاهد بما فيه من التفاوت والاختلافات والتنوعات ولكان الكل إما جماداً (متماثلاً في كل جزئية من جزئياته في كل شئ) أو نباتاً أو حيواناً، كذلك ولا يصح نسبة الظلم إلى موجد الكون بسبب ما نشاهده فيه من الاختلاف بين

جزئياته فإنه ليس فى الإمكان إلا ما كان، ولا يتصور فى العقل أبدع منه، وهذا الاختلاف ضرورى لإظهار جميع صفات الخالق على أكمل وجه ولإبراز جميع السنن والنواميس الممكنة عقلاً فى هذا العالم فتبارك الله أحسن الخالقين، وإن شئت المزيد فاقرا المقالة التى أحلناك إليها آنفا المدرجة فى المنار (مجلد ١٠ ص ٧٣١).

فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته فى القرآن وصورته فى الأنجيل

فإن قيل: إذا كانت هذه العقائد التى امتازت بها المسيحية عن الإسلام واليهودية باطلة فما فائدة بعثة عيسى إذا ولم فتن الله الناس به حتى اتخذوه إلهاً؟

قلت: لا شك أن عيسى كان نبياً كبيراً ورسولاً عظيماً جعله الله مثلاً حسناً للناس ليهدوا بهديه وليقتدوا به فى أخلاقه وأعماله وأقواله وسيرته الطاهرة وقد اشتهرت تعاليمه الداعية إلى السلم والرحمة والرأفة والزهد فى الدنيا، كما قال القرآن الشريف ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ وذاع إصلاحه فى الأرض منذ وجوده للآن رغماً عن كل ما طرأ على دينه من التحريف والتبديل مع كثرته.

ومن فوائد بعثته أيضاً أن الله تعالى جعله دليلاً على قدرته على البعث والقيامة الآخروية فإن الناس كانت قد ضعفت فيهم أو تلاشت من بينهم تقريباً هذه العقيدة الكبرى لدرجة جعلت الصدوقيين من اليهود (وهم الأمة التى اشتهرت بكثرة الوحي فيها والأنبياء) يتكرون البعث يوم القيامة (مت ٢٣: ٢٢ وأع ٢٣: ٨) وكان يوجد من النصارى أيضاً من تبعهم فى ذلك كبعض أهل كورنثوس كما يفهم من رسالة بولس الأولى إليهم (١٥: ١٢).

عقيدة البعث عند اليهود والمصريين

ونجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة اللهم إلا بعض إشارات طفيفة كما في سفر الشئبة (١٩:٣٢ - ٤٣) ولعل السبب في ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة (خر ١٢: ٤٠) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة كثيرا بأذهان المصريين^(١) فانتقلت منهم إلى بنى إسرائيل وأصبحت عندهم من الأمور التي لا يترددون في قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيرا فاكفت كتبهم بالإشارة إليها أحيانا، ولا تنس أن بنى إسرائيل كانوا من أشد الأمم ميلاً للتقليد وخصوصا للأمم الغالبة لهم فلذا انتقلت إليهم هذه العقيدة من المصريين وانتشرت بينهم، أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا في تلك الأزمنة قصيرى الإدراك بلداء الشعور وخصوصا اليهود ذوى الرقاب الصلبة (خر ٩:٣٢).

فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التي اكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلظ قلوبهم وقساوتها، فلما كثر بين

(١) الظاهر أن المصريين أتتهم هذه العقيدة عن طريق الوحي إليهم وإلا لما سبقوا اليهود بها. وكانوا يعتقدون أن قلب الإنسان سيوزن يوم القيامة لمعرفة إن كان يستحق الرحمة أو العذاب ولعل مرادهم من ذلك هو كمراد القرآن عند المحققين مما ذكره مثلها لذلك (مثل ٢١: ٤٧) أية مبالغة في بيان دقة الحساب وكمال العدل الإلهي في دينونة الخلائق كأن أعمالهم أو قلوبهم توزن وزنا دقيقا بحيث لا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتى بها الله وعامل الإنسان بحسبها.

ولوجود عقيدة البعث عند المصريين نجد أن يوسف كما في القرآن الشريف لما تكلم مع الفتيين اللذين حبسا معه في مسائل الدين لم يحثهما على الإيمان باليوم الآخر كما حثهما على التوحيد فإن ذلك كان من أكبر عقائدهم حتى من قبل يوسف (راجع سورة يوسف ٣٩: ١٢ و ٤٠) وترى أن عزيز مصر لما وجد امرأته خاطئة قال لها (استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) ولولا اعتقادهم بالدينونة في اليوم الآخر ما قال لها ذلك.

الناس الشك في هذه العقيدة وارتقى إدراكهم ورق شعورهم عن ذى قبل جاء عيسى لتبيين هذه العقيدة العظمى واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بنى إسرائيل وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته العظيمة لإحياء الموتى وخلقهم من الطين طيراً وبوجوده هو نفسه بدون أب خلافاً لما اعتاده الناس فالله تعالى الذى أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات (أ ع ٢: ٢٣) لا شك أنه قادر على إحياء الموتى يوم القيامة (١).

(١) معجزات عيسى دليل على الساعة

لذلك ترى أن أكثر معجزات عيسى هي مما له علاقة بإحياء الميت، كخلقه هو نفسه بدون أب وإحياء الموتى على يديه وتحويل الطين طيراً؛ ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة على البعث فإن الذى خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة فى خلق الإحياء الراقية وأحى على يديه الموتى بل الجماد لا شك أنه قادر على بعث الخلائق يوم القيامة مهما طراً عليهم من الفساد والانحلال والتغير ومهما فقد من الشروط المعتادة أو اللازمة للحياة فى هذه الدنيا. لذلك قال تعالى فى عيسى (ولنجعله آية للناس) وجاء عن لسانه مكرراً فى موضع واحد (٣: ٤٩ و ٥٠) قوله (انى قد جنتكم بأية من ربكم - إلى قوله - وجنتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) أى إذا علمتم مما جنتكم به من الآيات أن الله موجود وأنه سيبعثكم للحساب يوم القيامة كان واجباً عليكم إن كنتم تعقلون أن تقوه كمال التقوى وتطيعونى.

أما فى زمن البعثة المحمدية - وقد ارتقى الناس فى الجملة عن ذى قبل - فكانوا يرون أو يمكنهم أن يروا مالا يراه القدماء إلا نادراً من أن آيات الكون الحاصلة أمامهم كل يوم تكفى لإثبات أن الله قادر على البعث؛ لأنه تعالى يخلق فعلاً فى كل وقت الأحياء النباتية والحيوانية من الجماد كما هو مشاهد لجميع الناس، ولا شك أن إعادة الخلق أهون من بدءه كما قال القرآن الشريف (٣٠: ٢٧) لذلك اكتفى القرآن بتبيينهم إلى هذه الآيات الكونية فى أكثر سورة وناقشهم فيها مناقشة عقلية منطقية كما هو معلوم لمن يتدبر آياته (راجع مثلاً سورة الحج ٢٢: ٥ - ٧) وما زال يرشدهم إليها ويذكرهم بها ويجادلهم فيها حتى اقتنع العرب اقتناعاً عقلياً صحيحاً بقدرة الله على البعث وتبعته الأمم الداخلة فى الإسلام إلى اليوم.

فالناس وإن كفتهم الحجة العقلية فى زمن البعثة المحمدية وبعدها إلا أن أكثر الأمم أو كلهم قبل ذلك ما كانت تكفيهم هذه الحجة أو لا تؤثر فيهم تأثيرها فى الناس بعد الإسلام؛ فلذا جاء عيسى وغيره لقومهم بالمعجزات الحسية، والغالب أن الأمم القديمة ما اقتنعت بهذه العقيدة اقتناعاً عقلياً جازماً، وإنما سلموها بعد أن رأوا من أنبيائهم ما رأوا من المعجزات الحسية =

فإصلاح الأخلاق وتذكير قومه بكلام الله القديم الذى كانوا هجروه وإرشادهم إلى حقيقة الشريعة وروحها والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر والزهد فى الدنيا لشدة انغماس الناس فى زمنه فى الماديات هى أهم ما جاء عيسى به وهى أعظم ما عرف عنه بين جميع أتباعه واشتهر به على اختلافهم فى الآراء والمعتقدات ولو أنهم جعلوا نعيم الآخرة روحانيا فقط - مع اعترافهم بالبعث الجثمانى بل والعذاب الجسدانى أيضاً- ^(١) بسبب تأثير أقوال بعض فلاسفة اليونانيين فيهم (كأرسطو) حتى

= ونحوها لا بالحجج العقلية كأهل الإسلام وربما كان اقتناعهم بها بعد ذلك أقل درجة من اقتناع المسلمين، ألا ترى إلى قول إبراهيم وهو أبو النبيين (رب أرنى كيف تحمى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليظمن قلبى) فإذا كان هذا حال إبراهيم فما بالك بغيره من الناس؟ والحق أن استعمال الحجج العقلية لإثبات المسائل الدينية لم يعرف بين أكثر الأمم قبل الإسلام ومن عرف عندهم لم يبلغ مبلغه بين المسلمين كما لا يخفى على المطلعين الباحثين فى أحوال البشر وعقائدهم. والفضل فى ذلك كله للقرآن الذى نهض بالعقل البشرى نهضة لم يسبقه بها كتاب، إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب.

عقيدة النصارى فى البعث

(١)

من غرائب عقول النصارى أنهم مع تسليمهم بقيامة الأموات والبعث الجثمانى (١) كرو (١٢: ١٥ - ٥٧) وبالعذاب الجسدانى أيضاً - كما قلنا فى المتن - الدائم إلى أبد الأبدين (مت ٥: ٢٩ و ٨: ١٢ و ١٣: ٤٢ و رؤ ١٩: ٢٠ و ٢٠: ١٠) يعودون فينكرون النعيم الجثمانى ويسخرون من المسلمين لأنهم يقولون به!! فلا أدرى لماذا يقبلون تعذيب الجسد بالنيران وغيرها ولا يقبلون تنعيمه بما يليق به من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مع الأدب والكمال، وإذا كان الله قضى بحصول هذه الأشياء فى الدنيا للإنسان والحيوان فأى استبعاد إذا للقول بحصولها أيضاً فى الآخرة على نحو أكبر وأبهى وأفضل؟

النعيم الحسى فى الآخرة

نعم إن الجماع شهوة بهيمية ولكنه هو كالأكل والشرب الذى قالت كتبهم بحصوله فى الآخرة (لو ٢٢: ٣٠) ولذلك سميت دار النعيم عندهم أيضاً بالفردوس (لو ٢٣: ٤٣) أى البستان بالفارسية لما فيها من الأشجار والأثمار ونحوها وإذا استعمل الجماع فى محله مع الاحتشام والأدب فلا عيب فيه ما دام الإنسان فى الآخرة لم يخرج باعترافيهم عن كونه حيوانا جسديا ، وأى فرق حقيقى بين اللذة الروحية واللذة الجسدية، وكلتاها لا تصل=

أولاً أقوال المسيح نفسه الدالة على عكس ما ذهبوا إليه تقليداً لهم كما فى متى (٢٦: ٢٩) ولوقا (٢٢: ٣٠).

ولكن من المجمع عليه أن أكثر تعاليم عيسى وشغله الشاغل كان فى الدعوة إلى مكارم الأخلاق والسلم والتمسك بروح الدين^(١) وجوهره والإيمان باليوم الآخر والعمل على نشر ذلك كله بين العامة والخاصة من قومه ولكنه قل أن تعرض

= إلى الإنسان ولا تكون عادة إلا بطريق الجسد وإن كانت الأولى خيراً وأبقى من الثانية ولكن فى الآخرة ستكون الاثنتان باقيتين، هذا ولم يقل أحد من المسلمين إن لذة الآخرة كلذة الدنيا ولا إن الآخرة خالية من النعيم الروحاني، وكيف يقول أحد منهم ذلك والقرآن يقول (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) ويقول ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٢٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ وقال ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٢٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ و ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وغير ذلك كثير (راجع كتابنا «الإسلام» ص ٥١٥٠ منه).

وإذا اقتصر القرآن على ذكر اللذات الروحية أكون لكلامه من التأثير على عامة البشر ما كان له بذكر اللذتين، ومن العامة يدرك اللذة الروحية أو يقدرها قدرها، أو تفعل نفسه لها، ولماذا لا يتقدون كتبهم لذكرها شرب الخمر فى الآخرة ونصها على أنها ستكون من نتاج الكرمه كخمر الدنيا سواء بسواء (راجع مر ١٤ : ٢٥ وغيره)،

هذا وسيرضى كل فى الآخرة بما قسم له من النعيم كما يرضى الصغير بثوبه الصغير والكبير بثوبه الكبير بحيث إذا أعطى للكبير ثوب الصغير لغضب وعد ذلك استهزاء وكذلك العكس كما قال المسيح عليه السلام فى إنجيل برنابا (١٧٦: ١١ - ١٦) ولذلك قال تعالى فى القرآن الشريف ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ولما كان الرجل فى الدنيا أقوى وأفضل وأعقل من المرأة وأكبر شهوة منها فلا عجب إن كان ثوابه فى الآخرة أكبر؛ لأن أعماله أعظم والذى فضله فى الدنيا هو الذى سيفضله فى الآخرة بسبب عمله ولا يثير ذلك حقد المرأة عليه كما بينا هنا.

(١) لذلك وضع عن اليهود شيئا من إصر التواراة وأغلال الناموس كما فعل فى يوم السبت حيث خفف شدة حكمه (راجع يو ٥ : ١٠ - ١٢ وخر ١ : ٢٠ وعد ١٥ : ٣٢ - ٣٦) فلذا قال الله تعالى فى القرآن الشريف عن لسانه ﴿وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

للإلهيات لعدم حاجة اليهود إليها بل أحالهم فيها إلى ناموسهم إذ فيه الكفاية منها،
وبين أن التوحيد هو أول كل الوصايا (راجع مثلاً مرقس ١٢: ٢٨ - ٣٤) كما كان
معلوماً لديهم من قبل وقد استفاد العالم من تعاليمه كثيراً منذ زمنه إلى الآن.

وأما افتتان الناس به ودعواهم له الألوهية - وإن كان هو قد تبرأ حتى من إطلاق
لفظ «الصالح» عليه كما سبق (مت ١٩: ١٧) - فذلك لا يطعن في انتفاعهم العظيم
به عليه السلام وفي أنه كان إماماً ورحمة لهم وآية للعالمين كما أنه لا يطعن في
فائدة نزول الغيث وكونه قد يصيب بعض البيوت مثلاً فيهدمها على أهلها ولا
يطعن في نفع النار وغيرها أنها كثيراً ما تؤذي الإنسان وتهلكه وهي أقوى ما
يستعمله الإنسان للتدمير في الحروب وغيرها.

شهادة القرآن بضعف الحواريين

فهذه سنة الله في خلقه إذ يندر أن يوجد شيء في العالم خالٍ من الضرر في
جانب نفعه الكبير فكذلك بعثة عيسى وإن أفادت الناس كثيراً إلا أنها لم تخل من
الإضرار بضعاف العقول الذين ألوهوه وعبدوه من دون الله تعالى عما يشركون.

فالاعتراض على بعثته بسبب ذلك كالاعتراض على جميع ما خلق الله مما لا
يخلو من ضرر ولذلك أيد الله تعالى - كما قال القرآن - أتباع عيسى مع ضعف
إيمانهم وفساد بعض عقائدهم حتى نشروا دينه على علاته في الأرض وأصبحوا
فيها ظاهرين. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

[الصف: ١٤] أي قل يا محمد كما قال عيسى لأصحابه ما ذكر، والحكمة في قول
القرآن ذلك بدل أن يقول (كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله) إنهم لم

يكونوا في دينهم على ما يرام كما يفهم من قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] لأن يهودا باعتراف النصارى كان منهم وكذلك بطرس الذى سماه المسيح «شيطانا» وغيرهما كان ضعيف الإيمان أو عديمه كما سبق بيانه .

وقال القرآن أيضاً ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [مائدة: ١١٢] الآية وقال ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الزحرف: ٦٥] الآية وإذا كان الله أيدهم مع ضعفهم هذا وفساد بعض عقائدهم بسبب أن في دينهم أشياء أخرى صالحة للبشر وهى أكثر مما ألحق به من المفساد فمن باب أولى يؤيد الله المؤمنين الصادقين الخالى دينهم وعقائدهم من التحريف والتبديل؛ لذلك ضرب الله الحواريين مثلاً للمؤمنين؛ لبيان كرمه وحلمه وتفضله على عباده بالخير الكبير ولو لم يستحقوه كله؛ ليعلموا أنهم إن نصرروا الله ولو قليلاً نصرهم هو كثيراً كما فعل بأصحاب عيسى، ولم يضرب المثل بغيرهم من الأمم السابقة المؤمنة لأنهم لم يبق لهم ملك فى الأرض مشاهد كاليهود، أو أنهم انقضوا كمؤمنى قوم صالح وهود.

تاريخ عيسى فى القرآن

هذا وقد بين القرآن الشريف تاريخ عيسى كما بيناه هنا فقال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ^(١) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً

(١) فإنه مرسل إليهم أولاً وبالذات فإن رفضوا ولم يؤمنوا به دعى حيثئذ غيرهم من الأمم وإلا فلا (مت ١٤-١: ٢٢) و (أع ١٣: ٤٦ و ١٨: ٦) و (رومية ١: ١٦) وأما محمد ﷺ فمرسل للناس كافة سواء قبله العرب أو رفضوه ولكن يجب أن يبدأ بدعوتهم ليستعين بهم على دعوة غيرهم. هذا إذا تساهلنا معهم فى فهم عبارات كتبهم المتناقضة حتى فى هذه المسألة الهامة وستكلم معهم قليلاً فى ذلك قريباً بغير هذا التساهل.

فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ. وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ (١) لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ (٢) الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴿الزخحر: ٥٩﴾ (أى كاختلاف اليهود فى القيامة لعدم صراحتها فى كتبهم) ﴿فَاتَّقُوا

(١) أى سبب للعلم بها فإنه هو ومعجزاته من أعظم الدلائل على إمكان البعث، وهذه العبارة فى الآية مجاز مرسل علاقته المسببه فإنه أطلق المسبب (وهو العلم) وأراد السبب (وهو عيسى ومعجزاته) كقولك «أمطرت السماء نباتا» أى مطرا يتسبب عنه النبات وقرئ أيضا (وإنه لعلم للساعة) بفتحيتين أى أنه كالجبل الذى يهتدى به إلى معرفة الطريق ونحوه فبعيسى عليه السلام يهتدى إلى طريقة إقامة الدليل على إمكان الساعة وكيفية حصولها كما بينا فى المتن.

(٢) إنما لم يقل «ولأبين لكم كل ما تختلفون فيه» لأنه لم يفعل ذلك بل ترك بيان كثير من الأشياء كالفساد الذى دخل فى أغلب كتبهم للبارقليط (محمد) الذى يأتى بعده لعدم استعداد الناس فى زمنة لقبول كل شئ منه كما قال نفسه (يو ١٦: ١٢ و١٣) وخصوصا إذا تعرض للظن فى كتبهم وهى رأس مالهم الوحيد وتراث أجدادهم، ولو فعل ذلك لشك فيه الكثيرون منهم وكذبوه ولما اتبعه إلا الأقلون أو النادرون فتضيع الفائدة من بعثته التى بينها فى المتن وهى التى بعث لأجلها.

معنى تصديق عيسى للتوارة

وأما قول الله تعالى عن لسانه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [الصف: ٦] فالمراد بمثل هذا التعبير أنه بمجيئه عليه السلام تحققت نبوات التوارة عنه وبه صحت وصدقت، وكلمة «التوارة» تطلق على كل كتب العهد القديم كما بيناه فى كتاب «دين الله» (ص ٦٥).

فالمعنى: إن مجيئ عيسى كان وفق ما أنبأ به النبيون عنه من قبل ولولاه لما صدقت تلك النبوات فإنها لا تنطبق إلا عليه، وليس المراد أن عيسى يقر كل ما فى التوارة كما يتوهم النصارى الآن من مثل هذه الآية وإلا لما قال بعدها مباشرة ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [ال عمران: ٥٠] فكيف يقرأها وهو قد جاء ناسخاً لبعض ما فيها؟! فتدبر ذلك ولا تكن كهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون، ويفسرون مالا يفهمون!!

هذا إذا سلمنا ما فى هذه الأناجيل من أن المسيح عليه السلام لم يطعن فى كتب اليهود الموجودة فى زمنه ولم يبين لهم ما فيها من الفساد. ولكن كيف يثق المسلم بما فى هذه الأناجيل بعد الذى كتبناه فيها؟ فيجوز أن المسيح بين لهم=

اللَّهِ وَأَطِيعُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلَفَ
 الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴿ [الزخرف: ٦٤] (لاحظ العطف هنا بالفاء) «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ . هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
 يَشْعُرُونَ» والآيات في بيان فضائل المسيح ومزاياه وأعماله والثناء عليه عديدة

= فساد كتبهم كله أو بعضه المهم، ثم إنهم أهملوا أغلب أقواله هذه تدريجياً حتى نسوها لعدم موافقتها لأهوائهم ولما شبها وربوا وشابوا عليه وورثوه عن آبائهم كما أهملوا أقواله في التوحيد الحقيقي وخالفوا نصائحه ووصاياه في مسائل كثيرة مما بيناه وتغالوا في شأنه شيئاً فشيئاً حتى جعلوه إلهاً وهو - لا شك - برئ من هذه الدعوى، ولا يخفى أن تلاميذه - وهم ضعاف من وجوه كثيرة - لو كانوا أكثروا من الطعن في كتب اليهود وترديد أقوال المسيح فيها لنفروا اليهود منهم ومن دينهم ومسيحهم ولزاد اليهود في احتقارهم وإذائهم فلذا تحاشوا ذلك وخصوصاً لأنه لا يمكنهم إقناعهم بصحة مسيحية عيسى إلا بهذه الكتب فاستمروا على قبولها والتعويل عليها مجاملة وخرفاً من باقى أمتهم اليهود واستمالة لهم لإدخالهم في دينهم بها وربما أنهم حرفوا بعض أقوال المسيح التى نقلوها فى هذه المسألة وجعلوها قاصرة على ذم المسيح اليهود باتباع تقاليدهم الموضوعه لا بتحريف كتبهم المقدسه كما هو الظاهر مما فى إنجيل مرقس مثلاً (٦:٧-١٣) (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٨١ - ٨٤).

شك بعض النصارى فى التواره

على أن بعض فرق النصارى الأقدمين فى القرن الأول والثانى قد أنكروا العهد القديم كله أو أكثره كالأبوينيين والماركيونيين وغيرهم، ويعد كل البعد أن تنكر هذه الفرق هذه الكتب من غير أن يستندوا إلى شئ روهه عن المسيح نفسه فى أمرها، وقد كانوا قريبي العهد به عليه السلام فتكون روايتهم أصح من رواية هذه الأناجيل التى لم يعرف لها سند إلا فى أواخر القرن الثانى وما خلت من التحريف بعد ذلك كما بينا.

وجاء فى إنجيل برنابا أن المسيح نص على تحريف اليهود لكتبهم، راجع مثلاً الأصحاح ٣: ٤٤ منه وهو من الأناجيل القديمة وإن كانوا يكابرون فيه ويكذبون.

وما يدرينا أنه كان يوجد فى الأناجيل الأخرى التى رفضوها وأضاعوها مثل ما فى إنجيل برنابا أيضاً، ولا تنس أن أناجيلهم هذه الحالية لا تشمل جميع أعمال المسيح (وأقواله طبعا)

باعتراف مؤلفيها (يو ٢١: ٢٥).

شهيرة^(١) فانظر إلى آداب القرآن العالية في المسيح فهو يصوره دائما بغير الصورة

(١) إخلاص النبي ﷺ وصدقه

من أكبر آيات إخلاص النبي ﷺ وصدقه في دعواه أن القرآن الذي عظم جميع الأنبياء تعظيما كبيرا وأثنى على كل من ذكره باسمه منهم فرداً فرداً، وبراهم من كل ما رماهم به أهل دينهم من الكبائر والفضائح قل أن اختص محمداً بمدح أو بفضل أو مزية دون غيره من إخوانه الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، بل كثيراً ما يذكر محمداً مع شيء من اللوم له أو العتاب أو الإرشاد والتأديب ونحو ذلك مما يعرفه المطلعون على القرآن الكريم. ولو كان محمد من الكاذبين لما سجل على نفسه شيئاً من هفواته في قرآنه (راجع مثلاً ١٧: ٧٣ - ٧٥ و ٣٣: ٣٧ وغير ذلك) ولخص نفسه بالمدح والتعظيم والتبجيل والإكرام في أغلب القرآن، ولرفع منزلته فوق كل منزلة، ولنص على أنه أفضل النبيين وأقرب المقربين من رب العالمين بل لادعى البراءة من كل عيب ونقص وخطأ، ولنسب لنفسه العصمة من كل زلل أو سهو أو نسيان، ولما أمر في القرآن بطلب الرحمة والغفران من الله ولما ألزم نفسه الفرائض الكثيرة والنوافل العديدة الشاقة في صلواته وصيامه وقيامه بالليل لعبادة الرحمن (راجع كتاب دين الله ص ٧٠ و ٧١) ولأدعى الكمال المطلق في كل شيء، ولقال إن العالم خلق لأجله ومن نوره وإنه أول موجود كما يقول عامة المسلمين الآن فيه تقليداً للنصاري في عيسى (راجع الجواب الصحيح لابن تيمية جزء ٢ ص ١٩٨) بل لقال عن نفسه أكثر مما قال يوحنا في إنجيله عن المسيح، ولما نهى عليه السلام الناس - وبالغ في النهي - عن إطرانه كما أطرت النصاري عيسى أو لعدد على الأقل في قرآنه جميع أعماله وأتباعه ومناقبه ومفاخره أو لأعجب بنفسه ومدحها كثيراً كما فعل بولس في رسالة على ما سبق بيانه.

ولكن أين ذلك الكبر الباطل والغرور والإعجاب بالذات من تلك الروح العالية، والنفس الطاهرة الكبيرة، روح الصدق والإخلاص والتواضع والانكسار لله تعالى، وفوق ما تقدم كله لم يذكر في القرآن حادثة من حوادث حياته إلا عرضاً ولغرض غير مجرد تدوين أخباره وسيرته فإن الرغبة في ذلك لم تكن منه مطلقاً وإلا لو أرادها لكانت (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٦٨ - ٧١).

رد على هذا أنه لم يضع للمسلمين موسماً أو عيداً أو نحو ذلك لتذكر شيء ما من حوادث حياته الشخصية كيوم ولادته أو هجرته أو إسرائته أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بعده ولو شاء لجعل كثيراً من أمم الأرض تعبدوه أو على الأقل تذكره كل سنة بأعياد عديدة ومواسم متكررة. فأين هذا ممن كان يطلب بنفسه من الناس أن يمدحوه ويظهر رغبته في ذلك =

التي تفهم من الأناجيل وفيها كثير من المسائل تؤدي إلى الطعن الفظيع فيه كما أدت كثيرين إلى ذلك في أوربة فنحن وإن كنا نبرأ إلى الله من مطاعنهم هذه نشير هنا^(١)

= كما فعل بولس (٢ كو ١٢: ١١) .

تواضع النبي ونهيه عن زيارة قبره

بل نهى ﷺ - فوق هذا كله - مراراً عن تعظيم قبره، أو اتخاذه وثناً أو عيداً أو مسجداً حتى قال العلماء: إن أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة أو موضوعة لا يصح الاعتماد على شيء منها ولهذا لم يروها أهل الصحاح والسنن (راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٢ - ٨٦).

فأى تواضع أكبر من ذلك؟ وأى إنكار للذات أعظم منه، لذلك كله ترك القرآن الحكيم على هذه النفس العالية العجيبة (نفس محمد) وتقديرها قدرها للزمان، ولعقلاء الرجال المفكرين، الذين نبذوا التعصب والتقليد وراء ظهورهم وتركوه خلفهم نسياً منسياً.

اعتراف الغرب بفضل محمد ﷺ

فظهر لهم والله الحمد بعد أن نظروا في أعمال النبي وإصلاحه في الأرض ودينه وشريعته وقارنوا ذلك بغيره من الأديان أنه أكبر مصلح قام في الأرض، وأعظم من يسميهم المليون أنبياء، وأخلص المخلصين، وأصدق الصادقين، وهذا الحكم عليه ليس صادراً من المسلمين وحدهم، بل من كبار المفكرين أيضاً، والعلماء في العالم المتمسدين من ملحدين ومؤمنين، أحرار ومتعصبين (انظر مثلاً كتاب «نشوء القرآن التاريخي» للقس إدوارد سل ص ١٨٤).

كما يعرف ذلك المطلعون على كتبهم.

وأعظم لم تلد النساء

وأكمل منك لم تر قط عيني

كانك قد خلقت كما تشاء

خلقت مبرراً من كل عيب

(١) تنبيه: نظري إلى المسيح في العبارات الآتية هو ليس من الوجهة الاعتقادية بل من الوجهة العقلية فقط بحسب روايات النصراني عنه فهو نظر تاريخي محض بقطع النظر عن اعتقاد المسلمين فيه - وفي جميع الأنبياء - العصمة والكمال وبقطع النظر عن اعتقاد النصراني فيه الألوهية فليتنبه لذلك القارئ فإن جوزت عليه شيئاً من النقص البشري فليس ذلك لاعتقادي فيه ذلك - حاشا وكلا - بل هو لأجل مناقشة الخصوم فيما روه عنه بأنفسهم.

وعقيدتي في المسيح هي عقيدة القرآن أي أنه من أعظم الأنبياء ومن أكرم الرسل ومصلحي الأنام وهداة البشر وهي العقيدة التي يلزمنا القرآن الشريف بها ولولاه لما عرفنا قدره بسبب ما يرويه نفس أتباعه عنه من النقص كما سنبينه، فما يأتي هنا لم أقله عن لساني وإنما هو =

إلى بعضها ولا نتعرض للبحث فيها طويلا بمثل ما تعرضوا به من المبالغة فى الطعن إجلالا لمقامه السامى عندنا بسبب شهادة القرآن له ليس إلا .

معائب عيسى وذنوبه فى كتبهم

فما عابوه به:

(١) مسألة تردده وهو شاب عزب جميل على بيت مريم ومرثا أختها وهما عاهرتان (قارن لوقا ٣٦:٧ - ٣٩ يوحنا ١:١١ - ٣ و١٢:١ - ٨) وحبهما لهما (يو ١١:٥) والأكل فى بيتهما والمبيت عندهما وتدليك مريم قدميه ومسحهما بشعرها ودهن رأسه بالطيب (لو ١٠:٣٨ - ٤٢ ومت ٢١:١٧ و ٢٦:٦ - ١٣) وكثرة اختلاط غيرهما من النساء به وتلاميذه ومصاحبتهم لهم فى كل مكان وخدمتهم له من أموالهن (لو ٨:١ - ٣) إلى غير ذلك مما يحرم علينا الإسلام الخوض فيه وسوء الظن بالمسيح بسببه، فإن لم يفتتن هو أو تلاميذه بهن فكيف لا تفتتن مثل هؤلاء النساء بهم وأكثرهن عزبات؟! ومن أراد الاطلاع على بعض ما يقوله علماء الأفرنج فى مثل هذه المسألة فليقرأ الفصل السابع من كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» تأليف فيلب سدنى (Philip Sidney) .

(٢) وجود المسيح فى عرس يشرب الناس فيه الخمر بحضرته ويسكرون (يو ٢:١٠) وهو لا ينكر عليهم ذلك بل ساعدهم على المنكر وحول لهم الماء خمراً فكانه زاد الطين بلة (يو ٢:١ - ١١) حتى رماه المعاصرون له من

= عن لسان ملحديهم، (وناقل الكفر ليس بكافر) وأنا معذور فى ذلك لأن النصارى هم البادئون بالاعتداء علينا وعلى ديننا وقد طغوا وبلغوا فوجب علينا أن نوقفهم عند حدهم بسيف الحجّة والبرهان وأن نرد كيدهم فى نحرهم لعلهم يرجعون .

اليهود بأنه شريب خمر محب للخطة والعشارين (لو ٧: ٣٣ و ٣٤) ومن كلامه في لوقا (٥: ٣٧ - ٣٩) ومتى (٩: ١٧) يفهم أنه كان له دراية كبيرة بالخمر وأحوالها. وقد أوجب على أتباعه شربها في فريضة العشاء الرباني^(١) كلما فعلوه!! (مت ٢٦: ٢٧ ولو ٢٢: ١٧ - ٢٠) ففتح لهم بذلك بابا واسعا للشرب وألزمهم بدخوله، فكانوا في كل زمن أكثر الناس صناعة لها وشربا، وأوسعهم تجارة فيها، حتى ملأوا الأرض بها وبأمراضها وشرورها العديدة كما هو معلوم. ولو أحسن عيسى صنعا وكان ممن يعرفون طباع البشر لحرم عليهم أن يذوقوها سدا للذريعة ولكن كيف يفعل ذلك وهو من عشاق أهلها كما يفهم من هذه الأناجيل!؟

(٣) اختصاصه أحد تلاميذه (يوحنا) بحبه، واتكاء هذا في حضنه والتدلل عليه وكان يوحنا إذ ذاك فتى صغيراً، وعدم تجاسر التلاميذ الآخرين على سؤاله

العشاء الرباني وأصله

(١)

اعلم أن العشاء الرباني أصله عبادة وثنية، أو وليمة دينية مقدسة، كانت تشرب فيها الخمر على أنها دم بعض الآلهة مثل (ديونيسوس) (Dionysos) معبود اليونانيين وفاديهم بموته وهو إله الخمر عندهم وابن زيس أو جوبيتر (أي الأب السماوي وهو المشتري) وكانوا يعتقدون أن (ديونيسوس) هذا يحول لهم الماء خمرا كل سنة في الكروم ويملا بها أباريق يضعونها ليلاً في معبده لهذا الغرض (راجع كتاب «النصرانية والأساطير» ص ٣٥٥ - ٣٦١ وكتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٣١٨ وكتاب «ملخص تاريخ الدين» مجلد ٣ ص ١٠٥) وقد دخلت هذه الأفكار الوثنية والأوهام في النصرانية مع من دخلوا فيها من الوثنيين ومن الزيادات المتأخرة في العهد الجديد في هذه المسألة - باعتراف مصححي كتبهم الآن - قولهم في مرقس ١٤: ٢٢ «كلوا» وقولهم في ١ كو ١١: ٢٤ «خذوا كلوا» فإنه لا وجود له في أقدم النسخ جميعاً، ومن زاد هذه الألفاظ لا يبعد عليه أن يزيد غيرها فلا يوثق بنقله لأنه غير أمين فيه.

فالحق أن المسيح برئ من إفكهم هذا كله، وحاشا له أن يفرض على أتباعه شرب الخمر بل أن يبصحها لهم و لكنهم قوم مفترون، وعن وثنياتهم القديمة لا يتحولون، فلذا حرفوا دين المسيح الحق وأفسدوه.

إلا بواسطة هذا التلميذ المحبوب وحده (يو ١٣ : ٢٣ - ٢٥) وتجرد عيسى من ثيابه أمامهم بعد العشاء بدون مناسبة مما يوهم أنه سكر بكأس العشاء التي شربها معهم (يو ١٣ : ٥٤ و ٥٥ ومت ٢٦ : ٢٩).

(٤) قولهم إنه كذب مرة على إخوته وِعَشَّهم (يو ٧ : ٨ و ١٠) .

(٥) أمره تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه فضرب أحدهم بالسيوف عبد رئيس الكهنة ليقته فأفلتت الضربة وأصابت أذنه فقطعتها (لو ٢٢ : ٣٦ - ٣٨ و ٥٠) مع أنه كان في أول الأمر يحض الناس على محبة الأعداء (مت ٥ : ٤٤) وهو أمر مغاير للطباع البشرية حتى لم يقدر عليه نفسه فخالف بذلك وصيته وكان أول من نقضها بعمله هذا ^(١) راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

معائب الغربيين ومدنيتهم

(١)

لذلك كله ولغيره قد استباح بعض الأفرنج أو جميعهم الكذب في السياسة ونحوها، وإخلاف العهود فيها، وشرب الخمر والسكر، وتبرج النساء وإبداء زيتهن الفاتنة لجميع الناس، والخلوة بهن، والرقص معهن، ووطء غير المتزوجات من النساء، ولم يعدوه من الزنا المحرم، والحروب الكثيرة العنيفة لأقل الأسباب والتغلب على الضعفاء والحقد على كل من خالفهم الخ الخ.

فيجوز أن أسلافهم وكتبة الأناجيل كانوا من الرومانيين وغيرهم الإباحيين والاشتراكيين الذين كان كل شئ عندهم مشتركا بينهم (انظر أع ٢ : ٤٤ و ٤٥) فما كانوا ينظرون إلى هذه الأشياء نظرتنا إليها نحن الآن فلذا نسبوا للمسيح - بلا حياء - ما بيناه هنا في المتن ليظهروا أن كل شئ قد أبيع لهم وأصبحوا غير مقيدين بشرع أو ناموس ، وما أسرع انتشار مثل هذه المبادئ الإباحية والاشتراكية بين الناس وخصوصا متبعي أهوائهم والفقراء وهم الذين يتألف منهم الجزء الأعظم من كل أمة، فمن العجيب بعد ذلك - لأول نظرة - أن المسيحية لم تصر الدين الرسمي للدولة الرومانية إلا بعد ثلاثة قرون من زمن مؤسسها!! فهذا من مدنيتهم التي يقولون إنها من آثار المسيحية فيهم، والمسيحية الحقيقية براء منها وكذلك المسيح عليه السلام كما يعلم ذلك من تعاليمه الأخرى العالية الطاهرة التي بقيت آثارها في الأناجيل إلى اليوم وإن كانت مختلطة بغيرها مما أفسده الناس اتباعا لأهوائهم وشهواتهم وميلا لوثنيتهم القديمة ولولا تعاليم المسيح هذه الحقيقية الشريفة التي حافظ عليها بعض فرق النصرارى =

(٦) عدم احترامه لأمه مريم وإهانتها مراراً أمام الناس (يو ٢: ٤ و ١٩: ٢٦ ومت ١٢: ٤٦ - ٥٠) ومخالفته بذلك قول الله (تث ٥: ١٦) «أكرم أباك وأمك» ثم دعواه أنه ما جاء لينقض الناموس (مت ٥: ١٧) مع أنه نقضه في أعظم أركانه وأكبر دعائمه (وهي الوصايا العشر) (١).

(٧) إيجاد التقاطع والتفريق بين الناس وحضهم على بغض أهليهم وأقاربهم حتى آباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وأخواتهم (لو ١٤: ٢٦ ومت ١٠: ٣٤ - ٣٧) وهو الداعي - في أول أمره - إلى السلم ومحبة الأعداء كما سبق.

قساوة المسيح على من لم يؤمن به

وقوله المشار إليه هنا وهو (لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض. ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً؛ فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا

=الأقدمين لكانت المسيحية أسرع انتشاراً بين الرومانيين مما كان، غير أنها ما كانت تسود ولا تدوم بين البشر إلى الآن.

(١) قارن أعمال المسيح هذه مع أمه - على ما في الأناجيل - بقول القرآن ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴿ [لقمان : ١٤، ١٥] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء ٢٣] إلى قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تنهرهما وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) وأخفص لهما جناح الذل من الرحمة وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٣، ٢٤] أما القرآن الشريف فقد كذب الأناجيل في هذه الدعوى أيضاً ونص على أن المسيح كان باراً بوالدته ولم يكن جباراً شقياً كما في سورة مريم (١٩: ٣٢) أي لم يكن عاقاً لها ولا قاسياً على أحد بخلاف ما يفهم من الأناجيل كما ستعرف.

يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني) وقوله (لو ١٢: ٤٩) «جئت لألقى ناراً على الأرض. ليتها قد اضطربت ٥١ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض كلا أقول لكم، بل انقساماً كل ذلك ينطق بأن إلقاء الحرب في الأرض وإيجاد التفريق والانقسام وعداوة الأهل والأبناء سيكون صادراً من جانبه وجانب أتباعه لا من جانب خصومهم كما هو صريح هذه العبارات.

وإن أولها المبشرون تعسفاً بغير ما ذكرنا فلا نعبأ بتأويلهم لتكلفه وتعسفهم فيه، ولذلك قال (لو ١٤: ٢٦) «إن كان أحد يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» فكيف يقول المبشرون بعد ذلك: إن البغض والعداوة والحرب ستكون من جانب الناس لهم لا من جانبهم للناس والمسيح نفسه يقول إنهم هم الذين يجب عليهم أن لا يحبوا أهلهم وأولادهم أكثر منه بل يبغضوهم، فهم البادئون بالتفريق وبالعداء لا المبدوءون به كما يزعمون^(١).

(٨) جاء في إنجيل متى ١٥: ٢٢-٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت إليه ليشفي ابنتها المجنونة وكانت تقول له «ارحمني ياسيد يا ابن داود» فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة: «ياسيد أعني» فقال لها: «لبس حسناً أن يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب» فقالت: «نعم ياسيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها» حيث شفى لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والإلحاح الكبير.

(١) إذا كانت هذه الذنوب كلها وغيرها من النقائص كما سيأتي منسوبة للمسيح بشهادة كتبهم فكيف بعد ذلك يكون شفيحاً للمذنبين (١ يو ٢: ١) وكيف يكون موفراً عن خطيئاتهم جميعاً؟ وأين إذاً قداسته وعصمته؟ وأين قداسة إلههم الذي يقبل خاطئاً كهذا ليكون وسيطاً بينه وبين الناس المساكين الضعفاء (١ تي ٢: ٥)؟ وهل يريد الله أن يكون الناس أقدر على ضبط أنفسهم من المسيح نفسه وهو لم يضبطها مع أنه إله كما يزعمون؟!

فانظر إلى مقدار عطفه ورحمته بالضعفاء!! وهو الرجل الذى يقولون إنه جاء لخلاص الناس أجمعين . ألا يدل ذلك على أن كل ما جاء فى تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمسامحة والإحسان إلى الناس ما كان يريد به إلا أمته اليهودية فقط لا غيرهم من الأمم كما هو صريح عباراته فى هذه القصة التى تدل على القساوة المتناهية حتى حركت أعمال المرأة عطف تلاميذه أنفسهم قبله ولذلك طلبوا منه إجابة طلبها فأبى أولاً . فهذه هى أخلاق هذا الرجل الذى يمدح نفسه بقوله (مت ١١: ٢٩) (لأنى وديع ومتواضع القلب) فهل يتفق هذا مع فعله مع المرأة الكنعانية؟ نعم هو وديع ومتواضع القلب ولكن مع من؟ مع الأقوياء من أمة اليهود^(١) ومع الرومانيين حكامه وحكام أمته . أما الضعفاء الأجانب فهم عنده «كلاب»!! فهذا هو مبلغ تعاليمه إلى السلم والرحمة على غلواها أحيانا . فهو نفسه كان يخص بها اليهود رغما عن دعواهم الآن إنها للبشر أجمعين!!

وهذه القصة تدل على أنه ليس بإله؛ لأنه مقيد بإرادة من أرسله كما يفهم من قوله (لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كعادته، وأتى بقصة المرأة السامرية وهى تغايرها بالمرّة (يو ٤: ٧-٣٠) وغرضه منها أن يظهر أن بعثته كانت عامة فقال: إنه كان يتكلم مع هذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لا يجوز لهم معاملة السامريين حتى صار تلاميذه يتعجبون من ذلك .

(١) نعم إنه لما يتس من اليهود أخذ يسبهم ويلعنهم بأفحش الألفاظ كقوله (مت ٢٣: ١٣ - ٣٦) «أيها الراؤون والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الأفاعى» الخ وقوله لهم مت ٢١: ٣١ «إن العشارين والزواني (وهم الذين كان يحبهم بنص الإنجيل، انظر مثلا يو ١١: ٥) يسبقونكم إلى ملكوت الله» فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لأعدائه . ولكن أتدرى ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة؟ هم أخذوه وصلبوه وأهانوه شر إهانة ثم قتلوه . فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الأقوياء بعد يأسه منهم وفشله فى أمره!! كل هذا نقوله ونحن بريثون منه إلى الله وإنما نقوله إلزاما للخصم وإظهاراً لما تجر إليه قصص هذه الأناجيل .

وهذه القصة - كغيرها مما تقدم - تدل على تأخر زمن هذا الإنجيل عن الأناجيل التي قبله؛ ولذلك أتى بها ليظهر أن بعثته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت ١٠: ٦ و٥). أما قول متى ١٩: ٢٨ (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) فهو إن لم يكن إضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٦: ١٥) الذي ثبت عندهم إضافته أيضا كما سبق فالمراد له أمم اليهود كافة فإنهم - كما قال سفر الأعمال - كانوا في اورشليم وحدها من كل أمة تحت السماء (أع ٢: ٥ - ١٣) فما بالك بمن كانوا في أرض اليهودية كلها؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠: ٢٣ «فإني الحق أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما أريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله في مرقس ١٣: ١٠ «ينبغي أن يركز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم» وقوله في متى ١٤: ٢٤ «في كل المسكونة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى» ولا تنس قول لوقا ١: ٢ «صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة» أي أرض اليهودية خاصة كما قال صاحب «كتاب الهداية» المسيحي في مجلد ٢ ص ٢٥٥، وغيره.

ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته

غير ما تقدم: ما جاء في إنجيل متى (١٨: ٢١ و٢٢) : أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه في الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له: «اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم» والظاهر من هذا القول أن أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حقد عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه، ولا ندري ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حي؟ فهل هذا خلق الرجل الذي أمر غيره بمحبة الأعداء؟! وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التواراة بإكرام الوالدين، وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله «يو ٢: ٤ ما لي ولك يا امرأة». ولكن كان في أول الأمر وخوفا

من اليهود يقول لهم «مت ١٧:٥ لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» فما أصدق كلامه هذا وغيره!!

وهذه القصة تظهر أيضاً أنه ما كان يريد بتعاليمه الداعية إلى السلم والرحمة والإحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلاً (ص ١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبعه ولذلك قال متى (١٢: ٤٦ - ٤٩) إن أمه وإخوته جاءوا مرة إليه ووقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال «من هي أمى ومن هم إختوتى ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمى وإختوتى لأن من يصنع مشيئته أبى الذى فى السموات هو أختى وأمى» يعنى من آمن به فقط ^(١) ولذلك أمر أتباعه ببغض غيرهم كما سبق (لو ١٤: ٢٦) فهل هذا هو الأمر بالإحسان إلى الناس كافة حتى الأعداء؟! ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استغاثت الأرض من سفكهم دماء بعضهم بعضاً لأقل الأسباب ودماء غيرهم من الأمم بغير حق إلى الآن.

كره المسيح لإخوته

(١)

الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها فى الأناجيل أن مريم أمه وإخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٥: ٧ ومر ٣: ٢١)، ولا عن أعماله راضين، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجموده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتتظر ابنها وقلدة كبدها وهو مصلوب!! (يو ١٩: ٢٥ - ٢٧) فلما رآها يسوع خاطبها مرة أخرى بقوله «يا امرأة» فهذه هى أخلاق المرأة التى عبدها النصارى منذ القدم، وهذه هى قيمتها عند ابنها. ولكن صورتها بحسب الأناجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذى أثنى عليها مراراً وعظمها وقال إن الله اصطفأها وطهرها واصطفأها على نساء العالمين وجعلها للناس آية. فالظاهر أن قصتها فى الأناجيل مما دسّه اليهود على النصارى ولشدة جهلهم وبعدهم عن التمحيص والتحقيق إذ ذاك دخلت عليهم الغفلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم فى غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم فى فسق أنبياء بنى إسرائيل ومعاصيهم الكبيرة الكثيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويعتبرونها مقدسة إلى الآن!! فحاشا لله أن يصطفى من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الخونة (تك ٢٦: ٧ و٢٧: ١٩) الكفرة (١ مل ١١: ٥ و٦) الأشرار كما صورهم اليهود لا سامحهم الله.

ومن منهم أدار خده الآخر للضاريين (مت ٥: ٣٩) وأحب أعداءه؟ أليست هذه التعاليم كلها حبراً على ورق، وهى ذلك غُلُوّ مذمومٌ مخالف للعقل والعدل وللطبيعة البشرية، وإيجابها فى جميع الأحوال مؤد إلى المذلة وإلى الفساد بطغيان الأشرار وبتشبيط همة الأصدقاء وتنفيرهم لمساواتهم بالأعداء فيهملون ولا يبالون.

ومن منهم ترك ما اعتادوه من الانغماس فى الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما فى لوقا (١٨: ٢٢) ووزعه على الفقراء؟ وإذا أطاع الناس هذا الأمر أتصلح أحوال هذا المجتمع ويتقدم إلى الأمام أم يبطل فيه كل عمل واختراع واكتشاف واجتهاد ما دامت الأموال كلها توزع من الأغنياء على الفقراء بلا عمل ولا حساب؟

قال ملحدوهم الظاهر أن يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ أموال الأغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة إلى أخرى صارفين فى حاجاتهم كلها من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨: ١ - ٣) كما هو شأن أهل البطالة والكسل المتشردين، وإذا كان كل شئ ينال بالصلاة (كما قال فى مت ١٨: ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد إلى أموال الناس التى كان يأخذها منهم ويحملها فى صندوق مع يهوذا الإسخريوطى (يو ١٢: ٦)؟ فلماذا لم يترك المال لأهله ويسأل أباه السماوى فيعطيه كل ما احتاج إليه هو وتلاميذه الفقراء الذين لا عمل لهم بعد اتباعه (مت ٤: ١٩ - ٢٢) سوى الإنفاق من المال الذى كان يلقي لهم فى الصندوق من الناس.

فهذا شئ قليل من كثير مما أصبح بعض الأفرنج يقولونه فى المسيح. ومن أراد أكثر منه فليقرأ مثل كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» المذكور آنفاً (The Truth about Jesus of Nazareth) وإنى أستغفر الله من كل هذا ومما جاء فى هذا الكتاب الإنكليزى وغيره من تأليف ملحدى النصارى أنفسهم.

وقال هؤلاء الملحدون أيضاً «إذا صح أن يسوع صدق فى نبوة واحدة من نبواته فهى قوله (مت ١٠: ٣٤) (لا تظنوا أنى جئت لالقى سلاماً على الأرض. ما جئت

لألقى سلاماً بل سيفاً) فإن الأرض لم تخضب بدم أكثر مما خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة، ولم يصدر عن أمة في العالم ما صدر من أمته - حتى من رؤساء الدين منهم^(١) من ظلم الأبرياء والأذى والاضطهاد وسائر أنواع المفسد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد» انظر مثلاً ص ١٣٠ و ١٣١ من كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» ويقولون إذا كانت هذه ثمرة دينه في الأرض فبئست الثمرة، وإذا كان ذلك كله مما فعله في ثلاث سنين وهو فقير حقير ضعيف مضطهد (أش ٥٣: ٣) فكيف به لو كان أوتي عزا ومالاً وجاهاً وملكاً كبيراً وعمراً طويلاً. لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ما جاء به وألقوا المؤلفات الضخمة في مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس في أوربة جهراً إلى آرائهم وأفكارهم.

فليتأمل في ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم في بلاد المسلمين (خوفاً من أن يسمعهم ملحدوهم فيضحكون منهم) يطعنون في محمد بمطاعن ضعيفة واهية لا تعد شيئاً بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الآن أتباعه كثيراً كالانتحار وشرب الخمر والربا والمقامرة وحب المال لدرجة الفناء فيه والفسق والخلاعة والتبرج والزنا والقتل والظلم والانغماس في اللذات والشهوات وغير ذلك مما أتت به إلى بلادنا مدنيتهم الأفرنجية التي يسمونها مسيحية ولا يدخلون ويظنون أن المسلمين يدخلون من حكم الطلاق وتعدد الزوجات في الإسلام وجهاد الأعداد^(٢) في سبيل الله بسبب ظلمهم لنا، فهذه الأشياء - على فرض قبحها - ليست كالأشياء التي رووها

(١) ولذلك تراهم الآن، وقبل الآن، في كل زمان ومكان، يباركون الجيوش، ويدعون «يسوع» لاجلها، ويصلون فرحاً بانتصاراتها ونجاحها في سفك الدماء، وتبتييم الأطفال، وهتك الأعراس، وتخريب الديار، وهدم معالم التوحيد، وعبادة الرحمن، واستبدالها بالسجود للصور والصلبان، وعبادة (ابن الإنسان) وهو في الحقيقة من كل ذلك برئ وعليه حاقد ناغم، وما هم فيه إلا متبعون أهواءهم وشياطينهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) إن شئت أن تقرأ بحثاً مستفيضاً في هذه المسائل كلها فافقرأ رسالتنا «الإسلام» في الرد على اللورد كرومر.

هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا إلى بعضها هنا، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشرى كمسائلهم تلك بل هي أمور اعتبارية.

ألا ترى أن مسألة تعدد الزوجات في الإسلام هي من المسائل التي يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهي أقل من مسألة التزوج عند بعض الأمم بالأقارب الأقربين مثلاً. فنحن وإن كنا نستفزع ذلك التزوج بالأقربين ونستبجحه ونمقتته إلا أنه ليس من المسائل المجمع على قبحها بين سائر البشر، وكذلك عادة رقص النساء مع غير أزواجهن وإبداء زيتهن لغير محارمهن هي عندنا قيحة شنيعة وعند الأفرنج حسنة وتعمل رسمياً في قصور ملوكهم فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر:

نحن عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف .

جواب المسلمين عما ذكر عن المسيح من النقائص

فإن قيل: إذا كانت هذه المسائل التي حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهي تنافي معتقدهم في المسيح الذي عظمه القرآن تعظيماً، وإن كانت كاذبة فهل يعقل أن الإنجيليين وهم أحباب المسيح يخترعونها وينسبونها إليه كذباً؟

قلت: إننا لا نقول إن كل هذه المسائل اخترعها الإنجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة افتجرتها بعض أعداء المسيح الأولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخلت الغفلة على رواة النصرانية (حتى على كتاب الأناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثي المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المنافقين والوضاعين توجب الطعن في محمد ﷺ والإسلام مع الفرق العظيم بين رواة المسلمين ورواة غيرهم في نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الأفرنج أنفسهم (راجع مثلاً كتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٣٨ و٢٣٩ لمؤلفة المستر روبرتسن J.M Robertson). ومع

ذلك فقد ترك بعض الإنجيليين بعض هذه الأشياء ولم يشر إليها أو ذكرها - لذيوعها بين الناس - بطريقة مخففة لرفع الإشكال بقدر الإمكان بحيث لا يرى منها أصل القصة جلياً واضحاً إلا بالرجوع إلى الأناجيل كلها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة، كمسألة تردد المسيح على بيت مريم ومرثا في قرية (بيت عنيا). فإن علاقة المسيح بهما وكونهما عاهرتين يحبهما المسيح ويكثر مخالطتهما والمبيت عندهما إلخ إنما يستتج ذلك كله من مجموع ما روه فيهما لا من واحد منهم فقط.

ومن أعظم الأسباب أيضاً أن بعض هذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين في المسيحية وقد تأصلت في نفوسهم فلم يهن عليهم تركها فأدخلوها في دينهم الجديد ليجعلوا المسيح كأحد آلهتهم لكي لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين شأن البشر فيما ألقوه من آرائهم ومعتقداتهم وقد قبل منهم أكثر النصارى ما أدخلوه جهلاً منهم بحقيقة دينهم أو فرحاً بهم واستمالة لهم لعلهم لا يرجعون.

وربما كان غرض بعضهم أيضاً من ذكر هذه المسائل إظهار أن المسيح - وهو عندهم يغفر لمن يشاء (لو ٧: ٤٧ - ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضاً كما سبق (مت ١٨: ١٨ و يو ٢٠: ٢٣) - إظهار أنه فوق الناموس والشريعة وغير مقيد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء ويفعل ما شاء لأنه هو واضعها - على زعمهم - وشارعها للناس^(١) وأنه إذا اقترب من المعاصي فلا يقع فيها إلا بمشيئته ولحكمة

(١) هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته الحقيقية لأنهم يقولون إن ذلك مما أعطاه الله إياه كالقدرة على الخلق وغيره (انظر يو ١٤: ٢٤ و ٥: ٣٠) وقال يوحنا أيضاً (٣: ٣٥) (الأب يحب الابن وقد دفع كل شئ في يده) وهو صريح كما قلنا مراراً في أن الله هو الذى أعطاه كل شئ فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته.

فإن قيل لعل هذا القول في (الابن) باعتبار الناسوت.

قلت: إن هذا الناسوت باعتراف النصارى عاجز جاهل بباقي البشر وليس في يده شئ وهو أيضاً حادث ولم يخلق شيئاً من العالم، وإنما الذى في يده - بزعمهم - كل شئ وخلق العالم (يو ١: ٣) هو (الله الابن) وهذا بنص الإنجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذى =

نجهلها، ولذلك ترى أن أكثر مثل هذه القصص التي أريد بها غالبا إظهار كبريائه وعدم مبالاته بالناموس وأنه فوق كل شيء واردة في إنجيل يوحنا دون غيره أو مستوفاة فيه أكثر، وهو الإنجيل الذي ذكر أيضا (٢:٨ - ١١) قصة عدم حكم المسيح بالرجم على الزانية (عدد ١١) بحجة تعطل تنفيذ جميع حدود الله، وتبطل شريعة موسى في ذلك وفي غيره (لا ٢٠: ١٠) (راجع أيضا يو ٩: ٤ - ٣٠).

وأما عبارة إنجيل لوقا (٩: ٥٦) التي تشبه في المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتها فيه ليجعلوا إنجيل لوقا كإنجيل يوحنا (انظر يو ٣: ١٧ و ١٢: ٤٧) فيجوز أن يكون اختراع هذه المسائل والقصص هو لمثل ذلك الغرض (أى إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شيء) وإن كان هذا الاختراع قد أدى إلى عكسه فذم الناس المسيح ذما شنيعا بسبب ما نسب إليه، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصول هذه النتيجة المحزنة. وأيضا فقد كان الاستهتار بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها وبأحكامها أكبر ما سعى إليه بولس وتبعه في ذلك كثير من الأمم لسهولته كما هو معلوم، فلذا قالوا عن المسيح ما قالوا فإن مبادئهم كانت أقرب إلى الإباحية والاشتراكية من أي شيء آخر كما سبق.

أما غرضنا نحن من ذكر هذه المسائل هنا مع أننا نبرأ منها إلى الله مرارا وتنفرد منها طباعنا، والإسلام يحرم علينا نسبتها إلى عيسى عليه السلام ويوجب علينا التأدب في حقه وحق سائر الأنبياء - فهو أن نظهر أننا يمكننا أن نقابل النصرى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نرى متعصبيهم أن الطعن في محمد عليه السلام بالروايات الضعيفة والأحاديث الموضوعية أو بالمسائل المختلف بيننا وبينهم في قبجها وحسنها ليس من العقل ولا من الإنصاف في شيء وعندهم في أناجيلهم القانونية (لا الموضوعية) ما يوجب الطعن في المسيح بأشد مما يوجد عندنا في محمد، حتى نفر عقلاؤهم وعلمائهم في أوروبا من المسيح والمسيحية. «ومن كان في بيت من زجاج لا يليق به إن كان عاقلا أن يرمى بالحجارة الساكنين في بيوت من حديد».

وما تقدم ترى أن الاعتقاد بهذه الأنجيل ضار بمقام المسيح عليه السلام ضرراً

بليغا ولا خلاص للناس من كل الإشكالات المتقدمة وغيرها التي أوقعت المفكرين والعقلاء في الإلحاد إلا بنبذ هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فإنه هو الذى برأ المسيح - بالحق - من كل عيب ومن كل دعوة إلى عقيدة باطلة ورفع مقامه رفعا حقيقيا عاليا.

أما هذه الأناجيل فقد حطته من حيث لا تشعر وهى تسعى فى تأليهه بنسبة أقوال إليه تدل - لو صحت ولن تصح - على جنون قائلها لشدة بساطة كاتبها وبعدهم عن العلم الصحيح والعقل وشدة تأثرهم بالوثنية. ومع أن رواية هذه الأناجيل هى عند النصارى أصح الروايات بل مكتوبة بالوحي الإلهى، فقد رأيت ما تودى إليه من نسبة ما لا يليق إلى المسيح وهو منه براء عليه السلام.

فكيف يكون الحال إذا عاملنا النصارى كما يعاملوننا فى طعنهم فى محمد ﷺ وأخذهم بكل سخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديننا يحول بيننا وبين ذلك، وهو أيضا لا يتيسر لنا لأنهم أضاعوا الروايات الأخرى وأغلب الأناجيل ولم يبق إلا ما وافق آراءهم وأهواءهم، ومع ذلك فنحن قد أخذنا بأصح رواياتهم فى اعتقادهم وأريناك كيف تودى إلى الطعن فى المسيح عليه السلام.

مقارنة بين عيسى و محمد

وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات عندنا وأسخطها بل بالموضوع منها وأحيانا يفتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا.

فهل أمكنهم بعد ذلك كله نسبة شئ قبيح قبحا حقيقيا لمحمد ﷺ (١) كخلوته

= دفعها له كما قال يوحنا وغيره (انظر أع ٢٢:٢ و أف ١: ٢٢ و ١ كو ١٥: ٢٧ و ٢٨

ومتى ١١: ٢٧) فكيف إذا يكون إليها حقيقيا مساويا للأب فى كل شئ كما يزعمون؟!

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذى نشأ فيه محمد ﷺ من أكثر الوجوه عن الوسط الذى =

بالزانيات وحبه لهن، وتردده عليهن مرارا هو وتلاميذه، وذلكهن قدميه بالطيب، ودهن رأسه به ومسح رجليه بشعورهن، وعدم إنكاره على الناس شرب الخمر، ومساعدتهم على ذلك، بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه، وعشقه لأحدهم وإجلاسه له في حضنه، وكذبه على إخوته، وعقوقه لوالدته، ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحقده على كل من لم يؤمن به الخ.

وهو مع ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، فما بالك إذا أوتى ما أوتيه محمد من الملك والعز والمجد والعظمة وسعة الرزق وطول العمر. وقد حث عيسى تلاميذه - وهو ضعيف - على المقاومة للدفاع عنه وحمل السيوف واستعمالها في ذلك وأمر الناس كافة بيبغض آبائهم وسائر أقاربهم الأقربين وإلقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمه موجبة لضعة النفس والذل، وهي ليست عملية، ولا يمكن إطاعتها وفيها من الغلو ما فيها وتؤدي إلى خراب هذا المجتمع، بل القيام ببعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كمحبة الأعداء وهو

=نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها. وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منغمسين في الشهوات كالخمر، وحب النساء، وفي سفك الدماء، وواد البنات، والسلب والنهب والأذى، والقسوة ففاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال الكمال بينهم في كل شئ.

وأما المسيح فلا نعلم في أى شئ فاق قومه - بحسب هذه الأناجيل - وجميع تعاليمه الحسنى توجد في كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الأفرنج أنفسهم نعم نحن لا ننكر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علماً وعملاً بعد أن كانت فى كتبهم لا يقرؤها إلا بعض خاصتهم ويندر وجود من يعمل بها كلها منهم ولذلك قال تعالى فيهم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5] وبسبب عيسى عليه السلام انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت فى العالم الرومانى كله واشتهرت بين الناس إلى اليوم، ولكنها مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم - كالفيلسوفين تولستوى وريتان - تجريدتها منها.

نفسه لم يحبهم بل كان يسبهم سبا شنيعا (مت ٢٣ : ١٣ - ٣٦) ويحقد عليهم وما منعه من الانتقام منهم إلا ضعفه كما بينا، ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل^(١) (مت ٥ : ٤٤)

(١) تعاليم المسيحية ومنافاتها للمدنية

مقتضى هذه التعاليم (مت ٦ : ٢٥ - ٣٤) و (لو ١٢ : ٢٢ - ٣١) أن لا يهتم الإنسان بشئ من حاجاته الجسدية من مأكّل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة الثوب وراثته ووساخة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقر من المستحبات ودلائل التوكل والإيمان فى المسيحية فمن من النصارى يعمل بهذه الأوامر؟ وإذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقى العلوم الطبية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية؟ وما حاجة الناس إلى هذه العلوم إذا وإهمال الجسد والذل والفقر والكسل عن كل عمل دنيوى من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والإيمان والتوكل على الله بحب الإنجيل؟

وهل اتهام متعصبى النصارى الإسلام بأنه هو السبب فى قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التى أخذ بها متصرفو المسلمين ثم عمتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكاً بها من أهلها الذين أهملوها البتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من جديد كما هو مشاهد فى كل زمان ومكان.

قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقوله: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] وقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه هنا.

وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢: ٢٢-٣١) لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للسجد بما تلبسون تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها. كم أنتم بالحرى أفضل من الطيور. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزداد لكم فضلا عما فيه من الحظ الصريح على ترك السعى والعمل والجد والاجتهاد فى الدنيا - هو أيضاً غير صحيح فإن سنة الله فى هذا الكون أن الإنسان إذا ترك السعى والعمل خسر كل شئ، ولو طلب ملكوت الله كل يوم ألف مرة لما زيد له شئ من مطالب الحياة إلا إذا أصبح عالة =

٦: ٢٥ و ١٩: ٢١ - ٢٥) وحضه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاء (مت

= على الناس يحسنون إليه بشئ من كدهم وعملهم حتى إذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسرته تدريجيا إلى أن يفقده . فإذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل إلى ما وصل إليه من الرقى والتقدم؟

وهل ما وصل إليه الأفرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعى المبشرون؟ ومن منهم يعمل بها إلا أهل البطالة والكسل أو الشحاذون؟ وهل هذه الأوامر تتفق مع سنن الوجود؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أى شئ زيد له من مطالب الحياة؟

أما القرآن الشريف فقال ﴿وَلَا تَسْ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] وقال ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥] وقال ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩) في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩]

أى فى أمورهما معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى؟

وقال القرآن الشريف أيضا ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ (١٩) كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ [الإسراء: ١٨]

ونحوه فى القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أوتيتها ولو كان كافرا أو من أراد الآخرة كذلك أوتيتها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العاملون ولو كان صالحا تقيا طالبا ملكوت الله، وهو الحق كما هو مشاهد بخلاف قول الإنجيل فإنه يفيد أن من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتى الدنيا أيضا.

وقال القرآن ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ [آل عمران: ١٤٥] فطلب الدنيا شئ وطلب الآخرة شئ آخر ولا يعطاهما إلا من طلبهما معا ولا يغنى

طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا، كما هو صريح الإنجيل، فإن ذلك مخالف لسنن الكون المعروفة، وقد كانت هذه الافكار المسيحية من أسباب تاخر المسلمين فإنها انتقلت إليهم ممن دخل فى دينهم من النصرارى الأولين وفشت فيهم مع ترك النصرارى أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سجنًا لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الإنسان كبعض أهل الهند!! وهى مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن فى شئ كما لا يخفى على الباحثين.

سر فى المدن الأوربية أو فى الإحياء الأفرنجية الشرقية، فى أيام الأحاد، أو الاعياد، وانظر =

١٩: ١١ و ١٢) وإيجابه الطاعة العمياء والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة

= إلى جمال الأفرنج والأفرنجيات وأنفهم وجمال مساكنهم وملابسهم ولذيد مشاربهم ومآكلهم وتمتعهم بسائر أنواع اللذات والشهوات والمسرات وخصوصا التمتع بالنظر إلى الكاسيات، العاريات، من الغانيات الحسان، والفتيات الفاتنات الكاعبات، الأبكار والشيبات، وقل لى بأبيك فى أى شئ تتفق هذه المدينة الأوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحاتة على الفقر والتقشف وترك مطالب الحياة وإهمالها كلها، والحاضة على الزهد فى الدنيا والناهية عن الاعتناء بالجسد والأمره بطلب الخبز الكفاف من الله يوما بيوم (مت ٦: ١١) والمحرمه النظر بشهوة إلى الأجنبيات (مت ٥: ٣٨) مع أنه لا توجد نساء فى الدنيا تبدى من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطن بالرجال والرقص معهم وتبادلهن معا كؤوس بنت الكروم أكثر من الأفرنجيات المسيحيات!!

فبأى حق أو عقل يسمون هذه المدينة الأوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والأرض، إنى والله لا أجد فى الدنيا اسماً أكذب من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر، الختامى لهم بل كان فقط درجة تمهيدية فى ذلك الزمن زمن بعد اليهود عن روح الدين وتعلقهم بشوره وانتشار المدينة الرومانية وما فيها من الإسراف والترف والملاذ والإغراق فى الماديات، مع عدم ارتقاء العقل البشرى إلى الدرجة التى ارتقى إليها فيما بعد فأتت المسيحية بالغلو أيضا لتقدر به على مقاومة كل ذلك ولتتهيم النفوس لقبول الإصلاح الإسلامى الختامى الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والخالى من الإفراط والتفريط لعدم حاجة الناس فى زمنه إلى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس عن ذى قبل فيكفيها الاعتدال فى بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف المسيحية عن الإسلام فى أوامرها وتعاليمها فإنها لا تناسب إلا زمنها .

ولكن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ولذلك تجده أقرب إلى الفطرة البشرية والعقل من كل دين آخر، ولا تجد سواء يتفق مثله مع أصول المدينة الصحيحة والحضارة والعمران والعلم. والذى يدل على ارتقاء الناس فى الجملة علما وعقلا ونفسا فى عهده عن ذى قبل (مع أن ذلك من مقررات العلم الحديث القائل بترقى المتأخر عن المتقدم) إنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل إلى التنزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظمت فى البحث والنقد والتمحيص، حتى حفظت أصول ديننا كلها بدون تحريف ولا تبديل، وقد بلغوا فى علم النقد والفلسفة العقلية مبلغاً لا نكون كاذبين إذا قلنا إن الأفرنج إلى الآن لم يساووهم تماما فى ذلك، ولذلك جاءهم الدين خالياً من التكليف بالمحال ومن الغلو، معتدلاً فى جميع =

خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن سلطتهم هي من الله (مت ٢٢: ١٥-٢٢ ويو ١٩: ١١) ولذلك قال بولس اتباعا له «إن من قاومهم قاوم ترتيب الله وسيأخذ لنفسه دينونة» (رو ١٣: ٢و١) (١).

= ما شرعه لهم، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التي كانوا فيها من قبل وأصبح عندهم من التمييز والعقل وقوة الإرادة ما لم يكن عند الأولين، ولو جاءت المسيحية معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير في تلك العقول الضعيفة، والنفوس الصغيرة، ولبقى الناس حيث كانوا، فتبارك الله أحكم الشارحين.

(١) قارن ذلك بقول القرآن الشريف ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [لاحظ قوله هنا: منكم] فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول وهو صريح في أن طاعة أولى الأمر لا تجب علينا إلا فيما لا يخالف الدين، فإن اشبه علينا الأمر جاز لنا أن نتوقف وننازعهم فيه، ووجب أن نرده إذا إلى الله ورسوله (أى إن كان حيا) حتى لا نعمل إلا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط المبنيين على العقل والتفكير فيما أوحاه الله إلينا.

= لرد إلى الرسول في زمنه واجب لأنه عليه الصلاة والسلام كان أعقلهم وهو أدري الناس وأعلمهم بأسرار شريعته، ومع ذلك فهو مأمور بالشورى بنص قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٨] ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يعارضه في أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم، ولكن إذا قرر شيئا بعد الشورى وبعد النظر في الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الإذعان له وإطاعته فإنه كان يرى ما لا يرونه ولذلك قال تعالى ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء: ٨٣] والرد إليه خاص بزمنه.

وفي القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [الور: ٣٦٢] وقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وقوله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١٢] أما بعد وفاته ﷺ فيرد الأمر كله إلى كتاب الله أو إلى ما علم عنه ﷺ باليقين، والذين يردون الأمر هم نواب الأمة ورؤساؤها وأوليائها أمرها لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبْطِنُوهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فالمستبطنون الأمر من كتاب الله =

لهذا كله كان اليهود معاصروه يرون أنفسهم أرقى منه علما ونفسا وأخلاقا

= هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليهم فى بحثهم واستنباطهم مشاورة بعضهم بعضا بحيث لا يستبد أحد بالأمر فيهم لقوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فإذا قرروا شيئا بعد ذلك وجب على عامة الأمة إطاعته، ما لم يكن مخالفاً لدين الله، فإن ذلك بالضرورة لا يكون مستتباً منه، وإذا اختلف هؤلاء المستنبطون معاً وتساوى عددهم ولم يمكن الترجيح بينهم كان للأمة الحق فى أن تعمل بما تراه آراءهم أقرب إلى نصوص الدين.

هذا هو ما يستفاد من مجموع آيات القرآن فى هذا الباب فأى مبادئ أدعى من هذه إلى العدل ومنع الاستبداد وإيجاب الشورى والتفكر والحرية وعزة النفس؟ وأى فرق بينها بين نظمات أرقى أم العالم الخالى النياية الدستورية؟ وإلى أى الدينين (الإسلام أم المسيحية) ترى أن مبادئ هذه الأمم الراقية أقرب أو أشبه؟ وأنت ترى أن المسيحية توجب عليك الخضوع للسلطين ولو كانوا ظالمين وتنص على أن سلطتهم هى من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال: سلطتهم هى من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء للقوة الحاكمة فى زمنه وتملقا لها كعادته (رو ١٣: ١ - ٧) وقال بطرس أيضاً (١ بط ٢: ١٣) (فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو للولاية فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير) إلى قوله (١٨ أيها الخدام (أى العبيد) كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط للعنفاء أيضاً) فأين ذلك من القرآن الذى قال: ﴿ولا يعصينك فى معروف﴾ وقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ٣] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] والذى أزم الناس بعق من طلب الحرية من الأرقاء مكاتبه إن علمنا صلاحيته لذلك وأوجب عليهم إمداده بالمال حتى يقدر على مكاتبه سيده فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وأحكام الرق فى الإسلام شهيرة وهى من أعظم ما افتخر به فى هذا العصر وما وصلت إلى مثلها أوروبا إلا بشق الأنفس وبعد قرون عديدة بفضل ديننا وكتبه وقد بينا شيئا منها فى كتابنا (الإسلام) فى الرد على اللورد كرومر (ص ١٧-١٩ و ٤٠ - ٤٦) فليراجعه من شاء.

ولكننا نعذر مؤسسى النصرانية كبولس وبترس فيما قالوا فإنهما لو فاها بنت شفة يفهم منها

وتدينا^(١) وما كانت تعجبهم أحواله وأعماله حتى كانوا يعيرونه بكثرة شرب الخمر وحب الخطاة كما سبق (لو ٧ : ٣٤).

وأما محمد ﷺ فلم ير فيه معاصروه أدنى عيب، ولم يطمع أحد منهم في مسابقتها في العلم والفضل، والكمال والعقل، والصدق والإخلاص، والصلاح

الانتقاد على نظمات الرومان إذ ذاك أو الخروج عليهم لما أبقوا للنصرانية باقية فكانت تلك السياسية في منتهى الحكمة في زمن ضعفهم وذلمهم فإنهم كانوا يتقون كل ما يوجب إيذاؤهم واضطهادهم وخصوصاً مثل تلك المسائل السياسية ولذلك ترى الآن محققى المؤرخين من الأفرنج أنفسهم يشكون في أكثر قصص اضطهاد النصارى الأولين بعد أن علمت مسالمتهم وخنوعهم إذ لا يفهم هؤلاء المحققون سبباً لها وقد كان الرومانيون واسعى الصدر أحراراً في المسائل الدينية وخصوصاً مع رعاياهم الضعفاء الأذلاء الخاضعين لهم كمال الخضوع كهؤلاء النصارى الأقدمين.

(١) هذا الكلام كله مبنى على فرض صحة جميع ما فى هذه الأناجيل كما قلنا مراراً، فلا تنس ذلك، والحق أننا لا نؤمن بها ولا نعبأ بروايتها.

الكبائر (راجع القرآن ٢: ١٠٢ و ٢٠: ٨٧ - ٩٧) ولم يذكر من تاريخ الآخرين إلا ما فيه عبرة وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقامة وتحصين الأخلاق والآداب بسياج الفضائل، فلم ينسب لهم شرب الخمر ولا السكر به، ولا الخيانة ولا الزنا، ولا الغش ولا الكذب، ولا التعدي على بناتهم بالفسق فيهن، ولا عمل الأصنام لأعمهم ولا الشرك بالله وعبادة غيره، إلى غير ذلك مما لا فائدة في نشره عن الأنبياء إلا إشاعة الفاحشة بين الناس والاستخفاف بالدين ومخالفة أوامره ونواهيه والكفر بالله أو الشرك به وخصوصا لأن كتبهم ذكرت بعض هذه الجرائم ولم تذكر معها ما ينفر كما ترى في سفر التكوين مثلا، فللناس أن يقولوا إذا كانت الأنبياء لم تقو على الاستقامة فكيف تقوى عليها ونحن أقل منهم في كل شيء، وإذا كان الله لم يبندهم مع أننا نرى أن بعضهم لم يتب من ذنبه أو كفره فلم نخافه أو نخشاه؟

ومن ذلك يعلم أن القرآن قد امتاز عن كتبهم بالفضائل والآداب العالية وبالحث الكثير على الصلاح والتقوى والتوبة حتى أنه لم يذكر لنبي هفوة إلا ذكر معها استغفاره وإنابته إلى الله وتوبته منها مع أنه لم يذكر عنهم مثل ما ذكرته كتبهم عن نوح مثلا (تك ٩: ٢٠ - ٢٧) (١).

سُكْرُ نوح

(١)

من العجيب أن الله قد أظهر رضاه عن نوح بعد جريمة السكر بأن تقبل دعاءه لأولاده حتى أنه ظلم لأجله حفيده كنعان بن حام وآخذه بذنب أبيه (تك ٩: ٢٢ و ٢٥) فكيف يطيع الله نوحا لدرجة أن يعول على دعائه على كنعان البرئ مع أن الظاهر من قصته أنه ما دعا على كنعان إلا لأنه لم يقف تماما من سكره فلم يميز بين ولده المذنب إليه وحفيده البرئ؟! ولم يذكر في كتبهم أن نوحا تاب من ذنبه هذا، فأية عبرة للناس في هذه القصة سوى أنهم يعلمون منها أن الله تقبل دعاء السكران حتى ظلم لأجله حفيده؟ فليكثر الناس إذا من شرب الخمر ليكون دعاؤهم مقبولا عند إله النصارى هذا المحب للخمر وشاربيها حتى شبهته كتبهم بالسكران (مز ٧٨: ٦٥) وامتلات بذكر سكر الأنبياء وإسكارهم لغيرهم وبإيجاب تقريرها للرب!! (راجع مثلا تك ٩: ٢١ و ٣٢: ١٩ و ٢٣ و ٣٥ و ٢٧: ٢٥ و خر ٢٩: ٤٠ ولا ٢٣: ١٣ و ٢ صم ٩: ٦ و ١١: ١٣ و يو ٢: ٧ - ١٠ و مت ٢٦: ٢٧).

ولوط (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) ^(١) و إسحاق (تك ٢٦ : ٧) ويعقوب (تك ٢٧ : ١٩)

جريمة لوط

(١)

يقول بعض المتعذرين عن سيئات كتبهم وأنبياهم : إن جريمة لوط - سكره وزناه بابنتيه (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) هي منحصرة في السكر فقط لأنه ارتكب ما ارتكب وهو لا يعي شيئاً، والحكمة عندهم في ذكر هذه القصة هي إظهار درجة قبح شرب الخمر وبيان ما تؤدي إليه، مع أن القصة ذكرت في كتبهم كأنها أمر عادي وكان لوطاً وابنتيه لم يرتكبوا منكراً حتى لم يذكر أن الله وبخهم أو عقابهم على ذلك أو أن لوطاً تاب من ذنبه أو علم به، بل قال إن ابنتيه حملتا من هذا الزنا ومنهما تناسل بعض الأمم (الموآبين وبنو عمون) ويعد ذلك سمي في العهد الجديد باراً (٢ بط ٢ : ٧ - ٩) فأية عبارة أتى بها الكاتب في قصته هذه لبيان شناعة هذا العمل الفظيع واستباحه له أو وجوب التوبة منه؟

ومن من الناس يجهل مضار الخمر وهي عند السكيرين أنفسهم أم الخبائث وكلهم يعرفون ذلك ويعترفون به ويضعف إرادتهم عن تجنبها، فما فائدة هذه القصة إذاً؟ ولماذا لم ينتخب الكاتب حادثه أخرى من التي وقعت على أيدي أحد الأشرار السكيرين - وهي كثيرة في كل زمان ومكان - بحيث تكون العبرة فيها أظهور وأوضح لبيان شناعة الخمر وقبحها وضررها إذا صح أن هذا هو حقيقة غرض الكاتب من ذكر هذه القصة؟ أما كان الأولى بكتبهم أن لا تبيح لهم الخمر ولا تأمرهم بشربها بدلا من ذكر هذه القصص الساقطة؟! أو لا يشعر الإنسان عند قراءتها أنها تهين الأشرار الأذنياء لارتكاب أفظع المنكرات أكثر مما تزجرهم عنها، لأنه إذا كان لوط نبي الله الذي اختاره الله لوحيه وكلامه وإرشاد الناس لم يقدر على منع نفسه من السكر وأقبح الفسق فكيف بهم وهم من أضعف المخلوقين؟ وكيف يقدر على مالم يقدر عليه الأنبياء المختارون المؤيدون بعناية الله ورعايته؟ وإذا صح أن لوطاً كان لا يعي شيئاً حتى لم يقدر أن يميز بناته من غيرهن فكيف أمكنه مجامعتهن والحالة هذه مع العلم بأن الإنسان إذا اشتد سكره إلى درجة عدم تمييز بناته ومعرفتهن وفقد شعوره حتى لم يعلم باضطجاعهن ولا بقيامهن كما قال سفر التكوين (١٩ : ٣٣ و ٣٥) فلا يقوى على أى عمل أو أية حركة مقصودة. إذا لوط ما زنى إلا بعلمه وإرادته وإنما كان تأثير الخمر عليه - كعادته - أنها جرأته على ارتكاب أكبر جريمة وأضعفت قدرته عن مقاومة شهوته هذه البهيمية (بل لاحظ) وإذا فهو مسؤول عما اقترف كما في قوانين الأمم الراقية.

ومن أعجب العجائب أنه مع علمه بذنبه هذا ومعرفته لابنته - كما بينا - وزناه بها في أول ليلة وشعوره بأنه لم يقدر على مقاومة نفسه بسبب تأثير الخمر عليه عاد في الليلة الثانية فسكر مع ابنته الأخرى وزنى بها أيضاً وافتضحها كالأولى!! فلم كال الله له بغير ما كمال به لقومه =

وهرون (خر ٣٢ : ١ - ٦) ^(١) وداود (٢ صم ١١ : ٢ - ٢٧) وسليمان (١ مل

= ولم يخسف به الأرض مثلهم مع أن إثمهم أكبر وجرمهم أفظع؟ أفلا تنفر النفوس من مثل هؤلاء الأنبياء وهم أنفسهم لم يعملوا بما يعظون به غيرهم؟ ثم ألا تضيع بذلك الفائدة من بعثهم؟

فالحق أن هذه القصص مستحيلة على أنبياء الله بل على فضلاء البشر ولولا ذلك ما سمي كتابهم لوطاً باراً تقياً كما سبق ، وإنما افتجر اليهود هذه القصص تبريراً لشروهم الكثيرة وعصايتهم لله مرات عديدة واعتذاراً بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة فكان كاتبها يقول: «إذا كان أنبياء الله لم يقروا على الاستقامة فكيف يقوى أمثالنا عليها ونحن أضعف منهم طبعاً وكيف بعد ذلك يطالبوننا بالصلاح والتقوى أو يلوموننا على العصيان والفسوق؟ وإذا كان الله غفر للأنبياء هذه الجرائم كلها ولم يغضب عليهم ولم ينبذهم نبذ النواة بل رضى عنهم فلم لا يرضى كذلك عن اليهود ويغفر لهم كل ما اقترفوه؟ هذا وغيره - كما يأتي - ربما كان هو الحامل لكتاب اليهود على افتجار هذه الأقايصص واختراع هذه الأكاذيب لإرضاء أمتهم وملوكهم الفاسقين ومكانها من الصحة لا يخفى إلا على من فقد كل تمييز فكاتبها إنما هو دسّاسٌ فاسقٌ يريد بها غالباً ترويح النفس والفجور وإشاعة الفاحشة في الصالحين وستر قبائحهم وقبائح قومه وإسكات اللاتمين ، فهذه يا قوم إحدى قصص هذه الكتب التي يقولون إنها لا تنشر إلا الفضيلة بين الناس!

وقال العلامة «النج» في كتابه (الأصول البشرية) ص ٨٧ ما مضمونه: إن السبب الذي حمل اليهود على افتجار قصة لوط هذه هو بغضهم الشديد لنسله الموابيين والعمونيين مع أنهم أقاربهم، فقد كانت العداوة بين الفريقين شديدة جداً ومتأصلة فيهم من قديم الزمان كما لا يخفى على المطلعين على كتب اليهود (انظر مثلاً ت ٢٣ : ٣ - ٦).

(١) حقيقة السامري

إذا أردت الاطلاع على الجواب تفصيلاً عن شبهتهم في لفظ «السامري» الوارد في القرآن أنه هو الذي صنع العجل فاقراً مقالات «القرآن والعلم» في المنار مجلد ١١ جزء ٤ ص ٢٨٦ وكذلك كتاب «الدين في نظر العقل الصحيح» ص ١١٤ - ١١٦ و ص ٩٨ و ٩٩ من الجزء الأول من كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» لأحد علماء الشيعة المحققين .

وملخص الجواب وأحسنه: أن تعريب لفظ «شِمرون» العبري (بكسر الشين وبضمها كما في يش ١ : ١ و ١ مل ١٦ : ٢٤ و ١ أى ٧ : ١) هو سامر أو سامرة، فالسامري (وبالعبرية شمروني بكسر الشين) هو أحد الشمرونيين (عد ٢٦ : ٢٤) أولاد شمرون بن يساكر بن يعقوب (تك =

١١ : ٦, ٥) وغيرهم من أنبياء الله الأمناء الطاهرين الذين أقامهم الله ليكونوا قدوة حسنة ومثالاً صالحاً للناس.

= (١٣: ٤٦) وكانوا من عشائر بنى إسرائيل المعدودين فى الجند على عهد موسى عليه السلام وخرجوا معه من أرض مصر (انظر تك ٤٦ : ٨ و١٣ وعد ٢٦ : ٤ و ٢٤).

فالسامريون الذين منهم سامرى القرآن هم أولئك الشمرونيون ، لا السامريون الحاضرون الذين وجدوا بعد موسى بقرون.

واعلم أن لفظ (شمرون) بكسر الشين ورد فى كتبهم علماً لشخص «كما فى ١ أى ٧: ١» واسما للمدينة «كما فى يش ١١ : ١ و ١٩ : ١٥» و (شمرون) بضم الشين وردت اسما لجبل ولمدينة كما فى «١ مل ١٦ : ٢٤» وكلا اللفظين من مادة واحدة فى العبرية ومعناها «الحفظ» وربما كان ضبطهما فى الأصل واحداً فأخطأوا فيه على مر الأزمان وخصوصاً لأن جمهورهم كان قد نسى اللغة العبرية القديمة بعد سبى بابل «انظر نح ٨ : ٨» وما كانوا يحفظون كتبهم المقدسة فى صدورهم كالمسلمين وهذا الضبط «الشكل» الحالى لم يكن عندهم قديماً بل أحدثوه بعد المسيح بقرون وإذا صح فلا يمنع مما ذكرنا.

وليس هذا التعريب المذكور هنا بيدع فى اللغات، ألا ترى أن الأفرنج تسمى «جبل طارق» مثلاً فى لغاتهم (جبرولتار) (Gibraltar) وكان العرب يستبدلون فى لغتهم «شين» العبرى المعجمة «بالسين» المهملة، حتى أن أهل الكتاب «اليهود والنصارى» يعربون شين العبرية سينا فشمرون «بضم الشين كما فى ١ مل ١٦ : ٢٤» يسمونها السامرة وكذلك موسى «بالشين» موسى و (يشوع) يسوع أو عيسى كما سماه القرآن الشريف وكما هو فى اللغة اليونانية وغيرها ايسس (Iosous) وفى الإنكليزية جيسس (Jesus) ويسمى الأفرنج أيضاً شمرون هذه ساميريا (Samaria) فكل اللغات تتصرف بالأسماء المنقولة، فلم يستيحبون لأنفسهم وللناس ذلك ولا يبيحون للقرآن أن يسمى أحد «الشمرونيين» بالسامرى وهو من التعريب المعروف فى لغته.

فإن قيل : إذا كان هذا الرجل معروفاً شهيراً بين بنى إسرائيل حتى إذا أطلق لفظ السامرى فى زمنه فلا ينصرف إلا إليه فلماذا لم تذكره كتبهم !؟

قلت : الظاهر أن كتبهم - مع طولها ولغوها - لم تستقص كل شئ فكم من أشياء تُرك ذكرها فيها لسبب ولغير سبب. ألا ترى أن بولس ذكر فى إحدى رسائله أن ينس ويميريس قاروما موسى ٢٢ : ٣ و ٧ : ٣) ولا وجود لهذين الاسمين فى الأسفار الموسوية أو غيرها مطلقاً ولا تعرفهما اليهود وكذلك ذكر يهوذا فى رسالته أن ميخائيل خصم إبليس بخصوص جسد موسى «عدد ٩» وأن أخنوخ تنبأ عن مجئ الرب مع قديسه «عدد ١٤» ولا وجود لشئ =

فهل قدرة الشيطان عندهم وصلت إلى حد أن قلب على الله غرضه أيضا في

= من ذلك في باقى أسفار كتابهم المقدس .

فهل يدل هذا على كذب بولس ويهوذا؟ فالحق أن اليهود لم تخص السامرى هذا بالذكر لأنهم أرادوا أن ينسبوا لهارون عمل العجل كما نسبوا لسليمان الكفر وكما نسبوا لغيرهما ما نسبوا، ولم يعمل السامرى شيئا آخر بينهم قبل ذلك أو بعده حتى يذكره به فى غير هذا المقام، فلما طال عليهم الأمد نسوا قصته واسمه إلا قليلا منهم فإن الظاهر أن القرآن لم يخالف فى ذلك بعض روايات أهل الكتاب من العرب وهى التى كان يرويها عنهم ابن عباس وغيره كما فى التفاسير ولذا لم يسمع أنهم انتقدوا عليه هذه القصة ولو خالفهم لانتقدوها عليه كما انتقدوا عليه قوله عن مريم أنها أخت هارون وغير ذلك (راجع كتاب «الجواب الصحيح» لابن تيمية جزء ١ ص ٧٠ - ٧٣) على أن من راجع ما يكتبه الآن علماء الأفرنج فى كتبهم المقدسة علم أن هذه الكتب أصبحت مشكوكا فيها لدرجة أن الإنسان لا يصح له أن يجزم بأى خبر فيها ولو كان مما يتوهمه متواترا بين أهل الكتاب إذ لا شئ متواتر بينهم، ولا مقطوع بصحته، ولا مجزوم بأصله وحقيقته إلا القليل فذكرها للشئ وعدمه عندنا سيان .

ألا ترى مثلا أن لوقا ذكر اسم (قينان) بن ارفكشاد (٣٦:٣) أخذا عن الترجمة السبعينية التى ذكرته فى سفر التكوين (١٠ : ٢٤ و ١٢:١١) مع أنه لا وجود لهذا الاسم فى الأصل العبرى فى هذين الموضعين . فإن كان سقط من النسخة العبرية كان دليلا على جواز حصول مثل ذلك أيضا فى اسم السامرى مثلا قبل أن يترجم هذا الأصل إلى أية لغة أخرى، حتى الكلدانية تُرجم إليها بعض الأسفار بعد موسى بأكثر من ألف سنة، وإن كان زيد فى الترجمة السبعينية وفى إنجيل لوقا كما اعترف به أشدهم تعصبا كصاحب كتاب الهداية (ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٨) كان دليلا على ميل نفوس اليهود والنصارى من قديم الزمان إلى التلاعب والتحريف فى كتبهم المقدسة حتى فى مثل هذه المسألة التى لا يظهر لها سبب يحملهم على تحريفها!!

فكيف إذا نعمل على نقل من كان هذا شأنه وهو لا يخشى الله ولا يخشى الناس؟ وكيف لم ينه المسيح ولا تلاميذه اليهود عن هذا التلاعب مع أن الترجمة السبعينية هى التى كان يعول عليها الناس فى زمنه حتى هو نفسه وتلاميذه كما يقولون، فهل جهل المسيح ذلك أم جارى الناس فى الغش والخطأ والضلال - حاشاه - فالحق أنه ترك بيان ذلك للبارقليط وإلا فكيف يترك الله الناس فى هذه الفوضى وهذا الضلال فى أمر هذه الكتب؟ فلو لا القرآن ما اهتدى أحد إلى حقها من باطلها فله الحمد على نعمته وهدايته برسوله خاتم النبيين وإمام المصلحين والمرسلين .

ذلك كما قلبه عليه مرارا غير ذلك مما بيناه آنفا حتى جعل الذين أراد الله أن يكونوا مثالا حسنا للناس وهداية لهم وقدوة صالحة جعلهم شر الأشرار فاتوا من الشرور ما تنفر منه طباع أخط البشر أخلاقاً كزنا الإنسان بيناته!! وكيف يقبل الناس على تعاليمهم بعد فعالهم هذه؟ وكيف سردت كتبهم أكثرها - كما قلنا - بطريقة لا تشعر بشناعتها ولا ببشاعتها ولا بالإنكار على فاعلها ونبذته كنبذ النواة؟! راجع كتاب دين الله (ص ٦٧ - ٧١) ثم راجع أيضا قصة داود وسليمان مع شمعى بن جيرا (فى ١ مل ٢: ٨ و ٩ و ٣٦ - ٤٦) وفيها ترى أن داود وهو على سرير الموت يوصى ابنه سليمان بقتل هذا الرجل (شمعى بن جيرا) بعد أن أقسم له بالله أنه لا يقتله فسلط ابنه عليه وهو محتضر.

وسيرة داود عندهم معروفة مشهورة وقساوته وظلمه لا مثيل لهما (حاشاه) حتى أنه عذب أسرى بنى عمون بالمنشير ونوارج الحديد والفؤوس (٢ صم ١٢: ٣١ و ١ أى ٢٠: ٣) وسيرهم فى أتون الأجر أى أحرقتهم بالنيران (راجع كتاب دين الله ص ١٢٥ و ١٢٦) وداود هذا هو الرجل الذى نصت كتبهم على أنه كان باراً ولم يعص الله قط إلا فى مسألة أوربا وزناه بزوجه وتعريضه للقتل بكتاب أرسله معه وهو لا يعلم ما فيه فقال سفر الملوك الأول (٥: ١٥) عنه (لأن داود عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب ولم يحد عن شئ مما أوصاه به كل أيام حياته إلا فى قضية أوربا الحثي^(١)) وهو صريح فى أن الله راض عن داود فى كل أعماله السيئة الشنيعة

(١) بمقتضى هذه العبارة تكون جميع أفعال داود الآتية وغيرها مرضية عند الله، وكلها مستقيمة فى عينى الرب وطبق وصاياه، فمن ذلك ما فعله بينى عمون كما ذكر فقط فى المتن وقتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول مع أن شاول طلب منه قتل ١٠٠ (١ صم ١٨: ٢٥) و ٢٧ (تعليمه يونانان) أن يكذب على (شاول) (١ صم ٢٠: ٦) وكذبه على (أخيمالك) الكاهن (١ صم ٢١: ٢) وشكره لله على موت (نابال) لكى يتمكن من زواج امرأته المسماة (أبيجايل) لأنها جميلة الصورة (١ صم ٢٥: ٣ و ٣٩) وكذبه على (أخيش) بعد قتله الرجال والنساء (١ صم ٢٧: ٩ - ١١) وصيته وهو محتضر لابنه بقتل رجل أقسم له بالله أن لا يعاقبه على ما فعل (١ مل ٢: ٨ و ٩) وزواجه بنساء كثيرة وأخذ سرارى عديدة (٢ صم ٥: ١٣) وحزنه على (أمنون) ابنه حينما قتل ويكائه من أجله بكاء مرأ كل يوم مع أنه فسق =

القاسية إلا مسألة أوربا وهم لا يزالون يرتلون مزاميره ويعبدون الله بها!! فما بهم

= بأخته ابنة داود أيضاً وافترضها كرهاً وهي عذراء بعد أن خدعها خدعة دنيئة «٢ صم ١٣» فخالف داود بذلك أمر الله القاضى بقتله «لا ٢٠: ١٧» حتى أنه لم يحزنه لخبه إياه لأنه بكره كما فى الترجمة السبعينية «٢ صم ١٣ : ٢١»، وحقد على ابنه «أبشالوم» الذى قتل «أمون» هذا انتقاماً لاختهما حتى طرده داود بعد رضاه بعودته إليه ولم ير وجهه مدة ستين «٢ صم ١٤: ٢٤ و ٢٨».

قارن ذلك بفعل عمر بن الخطاب الذى جلد ابنه حتى مات لزنائه وهو غير معصن بامرأة، فلم يشفق عليه ولم يرحمه حتى أنفذ فيه حكم الله (راجع أيضاً كتاب «التوارة غير موثوق بها» فى الإنكليزية ص ١٠٢ و ١٠٣) وإذا كانت عبارة الترجمة السبعينية المذكورة هنا مكذوبة على داود فلمَ لم ينبه عيسى الناس إلى تحريف هذه الترجمة مع اختلافها عن العبرية فى كثير من العبارات غير هذه؟ وكيف اعتمدها - كما يقولون - هو وتلاميذه حتى عول عليها النصارى جميعاً بعده إلى القرن الخامس عشر ولا يزال يعول عليها كثير منهم إلى اليوم؟ أو إن كانت هذه العبارة صحيحة أفلا يدل سقوطها من الأصل العبرى على حصول التحريف والتبديل فيه؟ فكيف إذا يطمئن الإنسان أو تثق نفسه بشئ مما جاء فيه؟ وكيف رضى إلههم لدواد عن كل ذلك وغيره ولا يرضى الله تعالى لمحمد تعدد الزوجات القليل - الذى كان لمصلحتهم ككفالة الأرمال أو للمصلحة العامة - وغير ذلك مما يتقدونه عليه؟! ولم يريدون أن يكيل تعالى لعباده بمكيالين؟

إله المسلمين وإله النصارى

ولو فرض جدلاً أن النبى ﷺ كان خاطئاً فى شئ ما فالله تعالى قد طالبه مراراً فى القرآن بالتوبة والاستغفار لذنبه ولم يقره على خطأ ما، فأى الإلهين أظهر وأقدس؟ إذا صح أن إلهنا غير إلههم كما يتبجح بذلك الآن متعصبو المبشرين منهم. على أن محمداً ﷺ ما ارتكب صغيرة ولا كبيرة قط إلا هفوات بسيطة لا يخلو منها بشر وهى المسماة بالذنوب فى القرآن على حد قول القائل «حسنت الأبرار سيئات المقرين» وعدم ذكر مثلها لغيره من الأنبياء كشعيب وهود وصالح وعيسى ويحىى وزكريا وغيرهم سببه: أنه لا فائدة من ذكرها بالنسبة لهم بعد أن انقضى زمنهم، ولأن القرآن لم يأت بدقائق تواريخهم كلها، إلا ما كان فيه عبرة لنا ولا يخفى أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول. أما ذكرها بالنسبة لمحمد ﷺ فهو لإرشاده وتأديبه وتكميله ولتعليم أمته وهدايتها لما فيه الخير والصلاح ولولا هداية الله لضل محمد كثيره من قومه وضلت أمته فلله الحمد هادى الضالين رب العالمين.

الآن يطعنون على محمد لجهاده الأعداء الذين آذوه وآذوا أمته وفعّلوا بهم من الاضطهاد والقتل ما فعلوا. أما اغتياله لبعض أعدائه المحاربين له ولأمرته فقد تكلمنا عليه في كتاب «الإسلام» ص ٥٨ - ٦٠ (راجع أيضا كتاب «صدق المسيحية» في الإنكليزية ص ٢٥١ و ٢٥٢ ففيه كلمة في هذا الموضوع دفاعا عن كتبهم الأمرة بإبادة الكنعانيين^(١) يصح أن تكون أيضا دفاعا عن الجهاد وقتل الأعداء ولو غيلة) وكان لداود أيضا نساء عديدة وامتن الله عليه بإعطائه إياهن (٢ صم ١٢: ٨).

فما بال نصارى لا يرون الخشبة في أعينهم ويرون القذى (إن سلم أنه قذى) في أعين غيرهم! فتراهم يستحسنون كل ذلك ويجعلون المسيح المثال الأكمل للبشر على ما وصفته كتبهم به مما سبق ذكره.

فضائل الإسلام

وأما محمد فينبذونه ويستقبحون أعماله، وهو الذي أصلح العالم كله وخلصه من الشرك والوثنية وعبادة البشر والصور والصلبان والأصنام ودعا بوحى الله إلى كل خير وحرم الخمر بتاتا وهى لا شك أم المفسد، وأمر باجتناّب كل شر وكل ما فيه ضرر وأتى بمكارم الأخلاق الصحيحة قاطبة وفرض على أتباعه الصلوات الخمس، وحث على قيام الليل فى عبادة الرحمن، وأوجب الصوم والزكاة وفعل كل خير بالأيّام والفقراء وأبناء السبيل والأسرى والرقيق وغير ذلك مما فصلناه فى كتبنا «الدين فى نظر العقل الصحيح» و«الإسلام» و«دين الله فى كتب أنبيائه» وغيرها، وأصلح حال المرأة إصلاحاً لم يسبقه إليه أحد، ودعا للعمل للدنيا والآخرة كقول القرآن ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٦] وغيره مما ذكرناه سابقاً.

(١) راجع مثلاً سفر الشثية (٢٠: ١٦) تجد فيه الأمر بإبادة ست أمم حتى نسايتهم وأطفالهم.

ثم إنك ترى أن جميع تعاليمه عملية وصالحة لخير هذا المجتمع ولا تزيده إلا عزاً ورفعةً وعلماً وتقدماً ومدنية وهي بعيدة عن كل عيب أو غلو أو استحالة، قارن مثلاً قول القرآن الشريف ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] بقول عيسى (لو ١٨: ٢٢) «بيع كل مالك ووزع على الفقراء» فأى القولين مؤد إلى العمل والاجتهاد والكد وسبب لعمارة هذه الأرض؟ وقس على ذلك باقى تعاليم الدينين (راجع أيضاً لو ١٨: ٢٤ و ٢٥ و ١ ع ٢: ٤٤ و ٤٥ و ٤: ٣٢ ومت ٦: ٢٤) ولا يرد علينا بحال المسلمين اليوم فإن الإسلام (كما فى القرآن والسنة النبوية) غير مسلمى هذا الزمان وفقهم الله لمعرفة حقيقة دينهم التى أخفاها عنهم الجهل والتقليد ومن تمسك بحال مسلمى اليوم فهو كالتمسك بحال نصارى القرون الوسطى أو نصارى الحبشة ونحوهم الآن مستدلاً بذلك على قبح المسيحية وانحطاطها وسقوطها فهل هذا من الإنصاف والعقل فى شئ؟!

تذييل للفصل السابق فى النبيذ عند العرب

ننقل هنا ما يأتى بحروفه عن كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» لأحد علماء الشيعة المحققين بالعراق، قال حفظه الله فى ص ٦٨ - ٧١ من الجزء الأول:

إن المتكلف (يريد صاحب «كتاب الهداية») كان شاعراً بما فى كتب العهدين من تلويث قدس الأنبياء وخصوصاً المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبت لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها، ولو أنها صحت، وكانت لها مداخلة فى أصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه.

فقال فى الهداية ج ١ ص ١٢: إن محمداً شرب الخمر، وذكر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى السقاية فى مكة وقال اسقونى من هذا فقال العباس ألا نسقيك مما فى البيوت؟ فقال ﷺ: لا ولكن اسقونى مما يشرب منه الناس، فأتى بقدر من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء، ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثاً ثم قال إذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا.

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ عطش وهو يطوف بالبيت فأتى بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب (أى دلو) من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل: أحرام هذا يارسول الله؟ فقال لا.

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن أن اسم النبيذ مأخوذ من النبيذ وهو الطرح. وقد كان النبيذ على قسمين «أحدهما» أن يطرح التمر أو الزبيب فى الماء فى الأوانى التى تصير على التمدادى إلى أن يبلغ حد الإسكار كأوانى الدباء وهو القرع اليابس، والمزفت وهى أوان تطفى بالزفت، والختمة وهى أوان خزفية تدهن بالقلى، ونحوها فيترك زمنا طويلا إلى أن يبلغ حد الإسكار.

«وثانيهما»: أن ماء الحجاز كان مرامضرا فيطرح فيه لداوة طعمه وطبعه ما

يتمكن الأعرابي منه في ذلك الزمان وهو قليل من التمر فإن ترقى فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه في السقاء غدوة فيشربونه عشياً ويطرحونه عشياً فيشربونه غدوة حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب في الماء حلاوة ما .

وقد تضافرت الأخبار الكثيرة بأن رسول الله ﷺ كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحتمة بسبب أنه يصبر عليه حتى يبلغ حد الإسكار ويرخص في نبيذ الأسقية وهو أن يطرح في السقاء كف أو نحوه من التمر أو الزبيب فيشرب في يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب، لأن أسقية البيوت لا تحتمل أن تشغل زمنا طويلاً بالنبيذ، ولا تقوى على بقائه (١) إلى أن يختمر ويتعفن ويبلغ حد الإسكار، انظر إلى مسند أحمد وغيره من كتب الحديث فعلى المتكلف في تشبته بما ذكر من الحديثين إن صحَّ في الجامعة الإسلامية (يعنى إجماع المسلمين) أن يعين دالتهما على أن النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذي ذكرنا أنه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطيب طعم الماء على عادة أهل الحجاز .

ونحن نقول إن المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم لا القسم المسكر لوجوه:

(أولها) : أنه لو كانت في مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع أوروبا لما وسعت كفاية الألف العديدة من الحجيج في الأيام الكثيرة وهو يعطى مجاناً لهم، وكيف يقوى العباس على ذلك؟

(وثانيها) : أن السقاية في مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار .

(١) يعني أنها تفجر غالباً من الغاز الذي يتولد من الاختمار كما هي العادة إذا اختمر ما في الزق اختماراً شديداً وكان الزق قديماً مستعملاً من قبل كثيراً في البيوت كما يعرف ذلك يسوع نفسه ويضرب به المثل لكثرة مشاهدته لصناعة الخمر وممارسته لها حتى لم تغب عن ذهنه ولا في وقت تعليم الناس ولم ينس لذة العتيق منها!! - حاشاه - راجع إنجيل لوقا ٥: ٣٧ - ٣٩ وغيره من أناجيلهم .

(وثالثها): أن هذه الواقعة إن كانت فإنما تكون بعد فتح مكة في أواخر أيام النبي ﷺ ومقتضى الأخبار التي ذكرها المتكلف (الهداية ١ ج ص ٢٣ و ٢٤) أن الخمر حُرمت في أوائل الهجرة. وفي ما ذكره عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال فيما شربه إنه ليس بحرام، مع أن حرمة النبيذ المسكر كانت حيثئذ مقررة معلومة في الإسلام.

(رابعاً): الذي يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الإمام السادس من أهل البيت حيث قال في نبيذ السقايه: إن العباس كانت له حبله وهي الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشى وينقعه بالعشى ويشربونه غدوة ويريد أن يكسر به غلظ الماء على الناس.

وأما سر تقطيه صلوات الله عليه في رواية ابن عباس فليس لأن النبيذ الذي أعطي له كان من القسم المسكر، بل لأن حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ الأسقية، فإن الحلاوة إذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهوعات، فزاد عليها من الماء إلى أن ردها إلى النحو المتعارف، وأرشدهم إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه هذا النحو من المشروب لإصلاح طعم الماء.

ولو تنزلنا وفرضنا أن النبيذ المذكور في الروايتين كان من القسم المسكر لكائنا دليلاً على أنه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه، ولم يشربه حتى أخرجه عن موضوعه وصورته بإراقة الماء الكثير عليه^(١).

(١) يقول مؤلف هذه الرسالة: سلمنا صدق هذه الرواية وأن رسول الله شرب - وهو مسافر في الحج وفي الحر الغالب في بلادهم - من هذا الشراب المخفف المشتمل فرضاً على أثر من الكحول المتولد من قليل من التمر أو الزبيب ما روى به ظمأه حيث لم يجد ماء صالحاً للشرب سواه، وهو - على فرض أنه كان متخمراً - أقل في ذلك عادة مما في البيوت لقصر زمن التخمير، ولذلك أبي أن يشرب مما في البيوت وشرب هذا بعد إضعافه بالماء الكثير.

ولا يخفى أن تحريم شرب مثل هذا الشراب المخفف جداً لإرواء الظمأ في وقت الحر والسفر والتعب هو لسد الذريعة إن كان يوجد غيره صالحاً وخالياً من كل أثر من الكحول، وقال =

أفهبذا يتشبه الكاتب ويقول بملء فمه ومهوى قلمه إن رسول الله ﷺ شرب

=الفقهاء: «إن ما حرم سداً للذريعة يباح للمصلحة» فما بالك إذا كان ثم ضرورة حيث لا يوجد ماء عذب غيره؟

أما من الوجهة الطبية فشرب ما كان به أثر من الكحول في الحر والسفر وبعد التعب لإرواء الظما هو مغذ منه مزيل للتعب ملطف للحرارة ولا ضرر فيه مطلقاً خصوصاً إذا لم يشربه الإنسان في حياته إلا مرة أو مرات قليلة جداً في مثل تلك الظروف ولم يعتده في جميع أوقاته كما يفعل مدمنو الخمر.

فترى من هذا أن المصلحة بل الضرورة تبيح ما فعله رسول الله إن صح الحديث، وهو لا ضرر فيه مطلقاً بل هو مما يدل على سماحة الإسلام وأنه لا يحرم إلا ما كان ضاراً أو ما يخشى ضرره فشرائعه ليست عبثاً ولا إعناتاً، وإلاً فليخبرنا هذا العنيد أى ضرر في ذلك الشراب والنبي لم يرو أنه شربه أو شرب غيره بعد التحريم إلا في هذه المرة، حتى في أضعف الأحاديث وأسخطها التي يتمسك بها النصارى عادة في الرد علينا.

فأين هذا من سكر أنبيائهم وإسكارهم لغيرهم كما بينا ومن شرب المسيح مرارا الخمر بمقتضى قوله لو ٧ : ٣٣ «لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان ٣٤ جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشرب خمراً محب للشاربين والخطاة».

وهو صريح في اعترافه بشرب الخمر بخلاف (يحيى) حتى عيّر معاصروه بذلك، ولو كانوا كاذبين لأنكر عليهم قولهم هذا ولما كانت عبارته كما ترى، وقد ذكرنا أيضاً أنه حول الماء خمراً للسكرى في العرس (يو ٢ : ١٠) وسقاهم أو أمرهم بشربها «عدد ٨» وكذلك فرض على أتباعه شربها في العشاء الرباني، ولو أنها كانت قليلة إلا أن شربها يتكرر كلما تكرر عمل هذا العشاء لذكراه، وهو يعمل عندهم كثيراً فيجرهم إلى شربها الكثير وقد كان.

وجاء في سفر التثنية ١٤ : ٢٦ قوله «وانفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكلّ هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك» وأمرت كتبهم اليهود بتقديمتها للرب، وامتنعت عليهم بإنعام الله بها عليهم، وقدمتها أنبياؤهم للناس مرات (راجع خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥ و ٧ : ٢٨ وراجع أيضاً تث ١٤ : ٢٣ و ٣٣ : ٢٨ و ٢ صم ٦ : ١٩ إلخ إلخ راجع «كتاب دين الله» صفحة ٩٨.

فترى من هذا أن النصارى واليهود بمقتضى كتبهم يجب عليهم صناعة الخمر لاحتياجهم إليها في فرائض دينهم ولهم أن يشربوها قليلاً أو كثيراً كما شاءوا. فمن يلوم الأفرنج إذا على =

الخمر؟! وقد فات المتكلف المثبت أن في أخبار الأحاد التي لا تقيم لها الجامعة الإسلامية وزنا ما يساعفه على مقصوده بعض المساعدة فقد روى في مسند أحمد : أن رجلا كان إذا قدم المدينة أهدى لرسول الله ﷺ خمرأ فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه إلى رسول الله ﷺ فقيل له إن الخمر قد حرمت .

ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر في مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قُدسَ رسول الله لا تحوم حوله هذه الأوهام، وقد جاء عنه صلوات الله عليه في مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله ﷺ: «أولى ما نهانى عنه ربي شرب الخمر وعبادة الأوثان» وكفاك أن مشركى قريش، والعرب قد تمحلوا في تكذيب رسول الله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم أنه صلوات الله عليه مجنون، ولو أنه صلوات الله عليه كان يمكن أن يرمى بشرب الخمر والمسكر لتيسر لهم أن يقولوا بلا مكابرة للوجدان أن ادعاه ﷺ للرسالة والوحى إنما هو من سورَة الخمر وعربدة السكر وخيالات الخمار.

ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقاتل فيه مغمز . فياذا الرشد والفكر الحر الذى لم يستأسر للعصبية والتقليد . سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب الكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الإلهامية فى نحلته قُدسَ الأنبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر وحضور مجلس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الأوهام . أ . هـ .

=انغماسهم فى شربها وكثرة صناعتهم لها وتجارتهما حتى وقعوا ويقعون بسببها فى كثير من الموبقات المهلكات فلهم العذر فى ذلك فإن دينهم هو الذى أداهم إلى ذلك كله!
نعم إن كتبهم قد ذمت الخمر والمسكر وشاربهما فى بعض المواضع (راجع أمثال ٢٠: ١ و ٢٣ : ٢٠ و ٣٠ وأش ٥: ١١ و ٢٢ ولو ٢١: ٣٤ و أف ٥: ١٨) ولكنها عادت فأباحتها كما بينا وهو من عجيب تناقضها واضطرابها بسبب تحريفهم لها فى ذلك وغيره اتباعا لشهواتهم، تعالى الله وحاشا لأنبيائهم أن يبيحوها لهم كما يفترون .

فصل فى رد ما يستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم

قد يقول بعض القارئین: إذا صح قولك فيما سبق بضیاع جزء عظیم من الإنجیل واختلاط الحق بالباطل فيما بقى منه توافقها فى الجملة وتصديقها فى الجوهر، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبى اخترعها بعقله بل اسألوا عنها أهل الكتاب تجدوا أنها معروفة بينهم ومروية فى كتبهم.

فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضعف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله؛ لأن النبى لم يطلع على كتب أهل الكتاب وكان أميا ولا يستتج القارئ من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوراة والإنجیل فى شئ ما.

كلا! إذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطله. فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم فى الجملة ومخالفته لها فى بعض الجزئيات كما قلنا.

ويجوز أن يكون المراد بقوله ﴿تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧] تصديق الحق الذى عندهم لا كل الذى عندهم وإلا لدخل فى ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لإزالته ومحقه، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لإبطاله، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين.

سورة المائدة وتحريف التوراة والإنجيل

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما في سورة المائدة ونحوها من مدح التوراة والإنجيل وأمر أهلها بالحكم بهما . فهناك بيان ما اشبه عليهم من آيات هذه السورة: قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ [المائدة: ٤٣] وهى شريعة موسى ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٣] وهو أمر لا ننكره ونؤمن به، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا فى إثبات دعواهم ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ وهم معلمو شريعة اليهود وعلماؤها يحكمون ويفتون ويقضون ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ بما طلب منهم المحافظة عليه من التوراة، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوراة كانت مؤقتة ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم إنما يحكمون بما لم ينسخ منها ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أى رقباء يعلمون أنه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره فمعلمو اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتنون ولا يقضون إلا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به . ولما كانت شريعتهم صالحة لزمهم ونافعة لهم، قال الله تعالى لهم ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ الخ .

وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ويقاومون المصلحين، ويقتلون النبيين (عب ١١: ٣٧) ويشركون ويرتدون، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا: سفر الثنية إصحاح ٢٨ - ٣١) ثم قال الله تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ الآية وكما قال تعالى لاتباع موسى ﴿لَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ قال أيضا لاتباع عيسى ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ وإنما خص «أهل الإنجيل» بالذكر لبيان أن الإنجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان .

وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالامة اليهودية (فى ص ١٩٣ و ١٩٤) وحذف لفظ «القول» فى القرآن كثير كما فى قوله تعالى ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟﴾ [غافر: ١٥] ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وقوله ﴿فَأَرْسَلْنَا (٤٥) يُوسُفَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥] وقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣] وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه، فكذلك هنا حذف لفظ «قلنا» قبل لفظ «ليحكم». وفى قراءة حمزة - وهى من القرآت السبعة المتواترة بين المسلمين - (لِيَحْكَمْ) بكسر اللام وفتح الميم، والمعنى آتينا عيسى الإنجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث إليهم من بنى إسرائيل ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٧] أى شاهدنا على ما فيه من الحق والباطل، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريفه كما زعم بعضهم فإن الشاهد على أى شئ كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع مرتكبيها منها وإنما هو يقرر أمام القضاء ما علمه عنها. وقد توسعنا فى بيان ذلك فى كتاب دين الله (فى حاشية ص ٨٤ و ٨٥). فراجع إن شئت

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٧] بأن تعمل بما فى كتبهم فإنهم كتبوها كما شاءوا وشاءت أهوائهم ولم يبقوا فيها من شرائع الله إلا ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالباطل زد على ذلك أننا ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ فإننا وضعنا لكل أمة سابقة ولاحقة طريقة وشريعة توافق مصلحتها وقد تخالف مصلحة غيرها فلا تعمل إلا بما أنزلناه إليك فإن شريعتهم - حتى السالمة من التحريف والتبديل - فيها مالا يوافق أمتك ولا يناسب حالها ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أى لتسارع كل أمة من السابقين واللاحقين فى طريق الطاعات وعمل الخيرات، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الأمم الغابرة فإن الجميع طولبوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة إلى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الأمم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿﴾ بعضكم مع بعض أو بعض الأمم السابقة بمن أدركوه من الأمم اللاحقة .

ثم قال تعالى ﴿وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿﴾ [المائدة: ٤٨] فأى شئ فى هذه الآيات يدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل مع أنها صريحة فى عكس ذلك وفى نسخهما والأمر بعدم الالتفات إليهما بعد القرآن؟ إلا أن الغرض يعنى ويصم !!

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿﴾ [المائدة: ٦٧] الآية فمعناها هكذا (لستم على شئ) يصح أن يقال له دين أو يعتد به (حتى تقيموا) أى تعلموا طبق الواجب بأحكام (التوراة والإنجيل) وتحبوا شرائعها وتطيعوا أوامرهما وتنتهوا بنواهيها فإن الإقامة هى الإتيان بالعمل على أحسن أوجهه كإقامة الصلاة مثلا أى فعلها على الوجه اللائق بها، ولا يدخل فى ذلك القصص التى فى التوراة والإنجيل ولا العقائد ونحوها فإنها ليست عملية .

والمراد أن يعملوا بما بقى عندهم من أحكام التوراة والإنجيل على علته على ما به من نقص وتحريف وزيادة فإن شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هى أقل أقسامها تحريفاً، وأكثر التحريف فى القصص والأخبار والعقائد وما مائلها وهى لا تدخل فى الأمر بالإقامة، ولا شك أن أحكام التوراة والإنجيل وما فيها من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لا تزال فيها أشياء كثيرة لا عيب فيها ونافعة للبشر وفيها هداية عظمى للناس، فهى مما يدخل تحت قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴿﴾ [آل عمران الأول] فإذا أقام أهل الكتاب أحكامها على علاتها كانوا لا شك على شئ يعتد به ويصح أن يسمى ديناً وإذا لم يقيموها وجروا على خلافهما كانوا مجردين من كل شئ يستحق أن يسمى ديناً وكانوا مشاغبين معاندين وبيدينهم غير مؤمنين إيماناً كاملاً .

وهذه قضية صحيحة لا يشك فيها عاقل وهي المعنى المتبادر من الآية. فأى شئ فى هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل وعلى وجودهما عند أهلها كاملين وخصوصا بعد قوله تعالى كما سبق فى اليهود والنصارى ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٢] فالآية تشبه قول تعالى ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] أى (وكيف يحكمونك) وهم لا يعتقدون صدقك وصحة نبوتك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٢] فى المسألة التى تحاكموا فيها إلى النبي وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة.

ووجود هذا الحكم الخاص فيها لا ينافى القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) إما باعتبار عرفهم - كما نسميها نحن الآن وكما نسمى معبودات الوثنيين «بالهتهم ودعاة النصرانية بالمبشرين» - أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوراة الحقيقية ، ولولا ذلك ما صح أن نسمى هذه الكتب بالتوراة والإنجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذى عندهم فى توراتهم التى يدعون الإيمان بها ويعتقدون صحتها (وما أولئك بالمؤمنين) بك ولا بكتابهم وإنما هم قوم مشاغبون معاندون متلاعبون مستهزئون لا يخافون الله ولا يخشون عقابه فى الدنيا والآخرة لقساوة قلوبهم وخلوها من الإيمان الصحيح، ولذلك لا يبالون بما خالف أهواءهم ولو كان فى كتبهم المقدسة عندهم.

ولنا أن نقول أيضا: إن معنى تلك الآية ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّورَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ الحقيقين، . وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد فى نقد ما عندهم منهما نقدا علميا عقليا تاريخيا صحيحا حتى يستخلصوا حقهما من باطلهما بقدر الإمكان كما يفعل علماء الأفرنج الآن، ونتيجة ذلك العناد كله أن يكونوا على شئ من الدين الحق، وهذا أمر لا شبهة فيه. ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واسترحوا، ولكنهم كما قال تعالى لا يزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا، وحسدا وعنادا فلا

يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم بإصلاح دينهم من الفاسد وتنقيته من الشوائب فلم يدركوا خير هذا ولا ذلك فكان الآية تريهم أنهم إذا لم يتبعوا القرآن يجب عليهم القيام بعبء ثقیل جدا من البحث والتمحيص وبعد ذلك يكونون على شئ من الحق لا على الحق كله ولو أقاموا التوراة والإنجيل الحقيقيين غاية الإقامة، فما بالك إذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقتهما؟ فهم ليسوا على شئ مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليه، فإن كتبهم قد صارت خلقة بالية؛ لذلك قال رسول الله لعمر - حينما رأى ورقة من التوراة بيده - «ألم آتكم بها بيضاء نقية؟ والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي» (انظر كتاب «انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامى» ص ٥٦ و ٥٧).

فإن قيل وكيف يحتمل الله على العمل بأى شئ من دينهم ومنه ما جاء القرآن ناسخاً له؟ قلت لا شك أن كل عاقل مهما كان دينه يقول كما قال القرآن فإنه خير لأهل الكتاب ولنا وللعالَم أجمع أن يعملوا بشرائع دينهم فإنهم حيثئذ يتجنبون الكذب والتحرير والعناد والأذى والإفساد فى الأرض وإهلاك الحرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعملُه الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جميعاً «ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك» فمراد القرآن - على التفسير الأول للآية - حثهم إن أصروا على عدم الإيمان به على العمل بدينهم على الأقل ليستريح النبى وأتباعه من أكثر شرورهم ووزائلهم، ولكن هل بعد العمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا؟ فالذى يفهم من الآية أنهم يكونون على شئ من الدين وهو - لا شك - خير من لا شئ، ولا يفهم أنهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذى لا غاية أعظم منه فإن ذلك لا يكون إلا بالإسلام ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢].

مراجع الكتاب

- الأصول البشرية :
 إظهار الحق لرحمة الله
 انتقاد مؤلفات زيدان .
 الترجمة السبعينية .
 الترجوم الكلداني .
 ترجمة سيل للقران .
 التلمود .
 التوراة غير موثوق بها
 التوسل والوسيلة
 الجواب الصحيح
 الحقيقة عن يسوع الناصرة
 حكايات من العهد الجديد
 حكمة سليمان .
 خطب أكليمنديس الروماني .
 دين الخوارق .
 شهود تاريخ يسوع
 صدق المسيحية
 طوييت سفره .
 علم الأعلام في حقيقة الإسلام
- تأليف لينج .
 رحمة الله الهندي .
 لولتر جيكل .
 لابن تيمية .
 لابن تيمية .
 لفليب سيدني .
 لجولد .
 لأثر دروز .
 لرتون .
 لجماعة المبشرين .

- قاموس بوست .
- قاموس تشمبرس .
- لهيكل .
- لغز العالم
- مانيثو تاريخه .
- مذكرات الرسل .
- المسحاء الوثنيون
- لروبرتسن .
- مصادر النصرانية
- لتوماس ويتاكر .
- ملخص تاريخ الدين
- لجولد .
- مسند أحمد ابن حنبل .
- نشوء القرآن التاريخي
- للقس إدورد سل .
- النصرانية والأساطير لروبرتسن .
- للقس روس .
- نقد العهد القديم بنور العهد الجديد
- الهداية للمبشرين .
- لعالم شيعي بالعراق .
- الهدى إلى دين المصطفى
- يوسيفوس كتبه يوستينوس الشهيد .

الفهرس

صفحة	الموضوع
٥ مقدمة
١٦ كتاب: نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية
٢٢ نظرة (فى كتب العهد الجديد وفى عقائد النصرانية)
٢٣ سند الإناجيل التاريخى
٢٣ * إنجيل متى
٢٤ * إنجيل مرقس
٢٥ * إنجيل لوقا
٢٥ * إنجيل يوحنا
٢٥ عقيدة الكلمة قديمة
٢٦ مدح يوحنا نفسه
٢٧ سفر الرؤيا
٢٩ صورة المسيح فى الأناجيل الثلاثة الأولى
٣٠ صورته فى إنجيل يوحنا
٣٥ يحيى والمسيح
٣٦ كذب إنجيل يوحنا
٣٧ غلو يوحنا فى المسيح
٣٩ مؤلف إنجيل لوقا موحد

٤٣ جهل يوحنا بأرض فلسطين
٤٤ كتاب مذكرات الرسل
٥٤ قرب مجئ المسيح
٤٩ تحريف كتبهم فى القرون الأولى
٥٠ نبوات اليهود والمسيح
٥٤ تلاميذ المسيح المسمون بالرسل وبولس
٥٥ بطرس وضعفه
٥٦ متى
٥٦ لباس
٥٦ يوحنا. الشك فى كتبه وتحريفها
٥٧ بولس
٦٠ مبالغات بولس فى رؤية المسيح
٦٣ ظهور المسيح
٦٥ تناقض الأناجيل
٦٦ مبالغات أخرى
٦٦ رؤية المسيح والأناجيل
٧١ سبب قول بولس بظهور المسيح للناس
٧١ مدح بولس نفسه
٧٥ عدم دعواهم ظهور المسيح للكفرة
٧٧ نص الإنجيل على أن التلاميذ عديمى الإيمان أشراراً

- ٧٨ آمال التلاميذ وأوهامهم
- ٨١ أول شهداء النصرانية
- ٨٢ المبشرون وقيامه المسيح
- ٨٤ اضطهاد المسيحية
- ٨٥ ظهور المسيح للنساء
- ٨٧ دعوى بولس الوحى
- ٩٠ تذييل للفصل السابق إشراك النصارى غير الله به
- ٩٤ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآثارها
- ٩٦ الإسلام امتداد للأديان الحققة
- ٩٦ العوامل المشتركة بين الإسلام والأديان الأخرى
- ٩٧ فائدة الوحى
- ٩٧ استمداد المسيحية من موارث الأمم السابقة
- ١٠٠ بين المسيح والحكماء السابقين
- ١٠١ جهل «يهوه» وظلمه
- ١٠٢ تعدد العوالم فى القرآن وعلم الفلك
- ١٠٧ نص القرآن على فساد الأناجيل
- ١١١ مصطلح الأب والابن فى القرآن!!
- ١١٦ الله وتصوير القرآن له
- ١١٩ معنى حب الله عندنا
- ١٢٠ معنى الحب عند النصارى

- ١٢٠ سبب فشو الانتحار والخمر
- ١٢١ عقيدة الفداء والرد عليها
- ١٢٤ كلمة فى عدل الله
- ١٢٥ فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته فى القرآن وصورته فى الأناجيل
- ١٢٦ عقيدة البعث عند اليهود والمصريين
- ١٣٠ شهادة القرآن بضعف الحوارين
- ١٣١ تاريخ عيسى فى القرآن
- ١٣٦ معائب عيسى وذنوبه فى كتبهم
- ١٣٩ قساوة المسيح على من لم يؤمن به
- ١٤٢ ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته
- ١٤٦ جواب المسلمين عما ذكر عن المسيح من النقائص
- ١٤٩ مقارنة بين عيسى ومحمد
- ١٦٤ فضائل الإسلام
- ١٦٦ تذييل للفصل السابق فى النبذ عند العرب
- ١٧١ فصل فى رد ما يستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم
- ١٧٢ سورة المائدة وتحريف التوراة والإنجيل
- ١٧٧ **مراجع الكتاب**
- ١٧٩ **الفهرس**